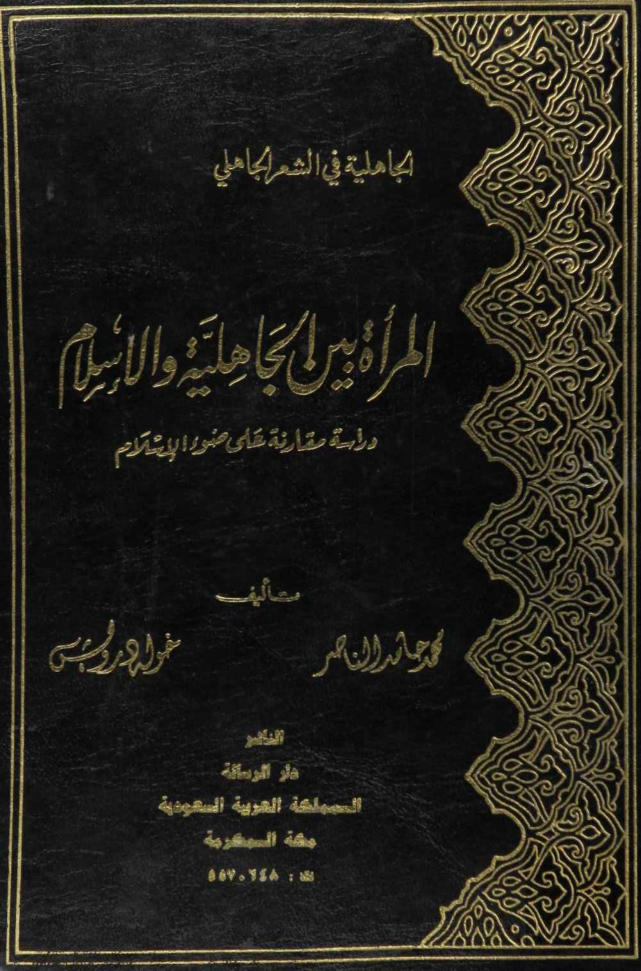

الجاهلية في الشعر الجاهلي
المرأة بين الجاهلية والإسلام
دراسة مقارنة على ضوء الإسلام
تأليف
محمد حامد الناصر
خولة درويش
الناشر
دار الرسالة
المملكة العربية السعودية
مكة المكرمة
ت : ٥٥٧٠٦٤٨


مركز المراة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣

المرأة بين الجاهلية والإسلام

الجاهلية في الشعر الجاهلي

المرأة بين الجاهلية والإسلام

دراسة مقارنة على ضوء الإسلام

تأليف

محمد حامد الناصر — خولة درويش

الناشر

دار الرسالة

المملكة العربية السعودية

مكة المكرمة

ت : ٥٥٧٠٦٤٨

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونصلي ونسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ [النساء : ١] .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾ [الأحزاب: ٧٠،٧١].

أما بعـد :

فهذا هو الكتاب الثالث من سلسلة : (الجاهلية في الشعر الجاهلي) ، نقدمه للقراء الكرام .

وقد جعلناه مختصا بأحوال المرأة وحياتها في الجاهلية والإسلام ، معتمدين في دراستنا على الشعر الجاهلي الذي صور لنا المرأة الجاهلية زوجة وابنة وأماً ..

وعلى تعاليم الشريعة السمحة خلال بحثنا في أحوال المرأة المسلمة ، متوخين

المقارنة بين العصرين مع إطلالة مستمرة على حال المرأة المعاصرة .

نريد من بحثنا هذا أن تأخذ المرأة العبرة من الماضي الجاهلي المشين لتنهض بواقعها المتردي ، جاعلة نصب عينها نساء السلف الصالح عندما كنَّ يترجمن الإسلام إلى واقع عملي في حياتهن وتربية أبنائهن ... وإذا عرفت المسلمة مداخل السوء تحصنت واكتسبت مناعة ضده . وإذا عملت بهدي دينها ارتقت بأسرتها ومجتمعها ، بدلاً من أن تكون ألعوبة بيد أعدائها لتروج ما تقذفه حضارة الضياع من مستحضرات التجميل ودور الأزياء ، أو تذهب أوقاتها بالثرثرة الفارغة وقتل الوقت في زيارات تافهة ... فالمسلمة لابد أن تعرف دورها الفعال في أسرتها ومجتمعها ، لا أن تكون في مكان هامشيّ لا يزيد أمتنا إلا تبعات ومشكلات ، عليها أن تصبح رائدة نهضة لا عبء أمة ، بانية لا هادمة ، مصلحة لا كارثة ، موجهة لنفسها وبنات جنسها ، مساهمة في إعداد الأجيال المؤمنة ...

وباختصار نريد المرأة المسلمة العابدة لربها على بصيرة ... نريد دعامة خير لأسرتنا المسلمة حيث تعد معايير مجتمعنا المؤمن ومثله العليا . وفي ظل تربيتها الصالحة يتلقى الأطفال مشاعر الخير وبذور الإيمان ، لينجح المجتمع ويتمكن من تحقيق أهدافه وغاياته .

نريد أن تعرف هذه الأجيال حقيقة التربية الإيمانية لأمهات فضليات في مجتمعات الطهر والعفاف ، عندما قضى الإسلام على انحرافات الجاهلية ، وأقام الحواجز بين الجنسين درءاً للفتنة ، ومن ثم ربط المؤمن والمؤمنة بالعقيدة الصافية ، وخشية الله في السر والعلن .

إلى الأسرة المسلمة نقدم بحثنا هذا عسى أن يكون فيه ما يعينها على أداء رسالتها ؛ لتعود الأجيال المؤمنة في ركب النصر المبين محققة آمال هذه الأمة ، وليس ذلك على الله ببعيد ...

وقد جعلنا هذا البحث في ثلاثة أبواب :

الباب الأول :

يبحث في دور المرأة في حياة الأسرية ، سواء أكانت أماً أو زوجة أو ابنة وذلك في الجاهلية والإسلام ، ثم تحدثنا عن آثار الزواج والطلاق في حياة الأسرة ، وعن تعدد الزوجات ، وما آثير حول هذه الأمور من قبل المغرضين، موضحين عدل الإسلام وصفاءه .

الباب الثاني :

يبحث في دور المرأة في المجتمع ، وقد تحدثنا عن دورها في الجاهلية ثم في الإسلام ، وجاء الحديث مستفيضاً عن السفور والحجاب ، وتعليم المرأة وعملها ، ودورها في الدعوة إلى الله ، ثم تعرضنا لدور المرأة في السياسة والحرب ، ما يباح شرعاً وما يحرم .

الباب الثالث :

يدور حول المرأة في الجاهلية المعاصرة ، ويتحدث عن المؤامرة على المرأة في ديار المسلمين ، وعن رؤوس هذه المؤامرة ، من القيادات السياسية والفكرية والجمعيات النسائية .

وعن الغزو الفكري لليهود والنصارى ممثلاً في المؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام المختلفة .

ثم ختمنا البحث بعرض صور من مأساة المرأة في الجاهلية المعاصرة ، وخاصة في ديار الغرب ، حيث تمزقت روابط الأسرة ، وعاشت المرأة في قلق واضطراب خلال أوساط الانحراف والرذيلة وما تزال تئن من واقعها الأليم .

ولعلنا نكون بهذا الاستعراض قد أمطنا اللثام عن المفاسد التي تغزو نساءنا باسم التقدم والتحرر ، وها هم أصحابها يشتكون من ويلاتها ...

وأن نكون قد وضعنا بين يدي أخواتنا المسلمات حقائق التآمر عليهن وعلى أمثالهن ، وأملنا فيهن كبير عسى أن يقلبن هذه الموازين المضطربة ، وإنا لنراهن كثيرات في هذه الأيام – ولله الحمد – وعليهن المعول في تغيير كريم نحو خير المجتمع وصلاحه .

والله نسأل أن يحفظ للمسلمة دينها الذي هو عصمة أمرها ، وأن يلهمها رشدها ، ويقيها شر الفتن إنه سميع مجيب .

والحمد لله رب العالمين

مكـــة المكـرمـــة

يوم الجمعة ١٤١٢/٧/٥ هـ

أبو أســامـة ، أم أســامـة

تمهيـــد

مكانة المرأة عند الأمم القديمــة

إذا عرفنا حالة المرأة في الشرائع القديمة ، والمعاملة المتردية التي كانت تلقاها، أدركنا عظمة الإسلام في نظرته اللائقة للمرأة .

ولعل حديثنا عن المرأة عند الأمم الأخرى المعاصرة للجاهلية العربية ، يلقي علينا الضوء خلال دراستنا للمرأة العربية قبل الإسلام ... وأثناء الجاهليات البشرية كلها ، عندما تتخبط في دياجير الظلمة والجبروت ، إذ كان ينظر للنساء على العموم بأنهن نجسات غير طاهرات ... وكان كثير من القبائل الهندية في أميريكا الشمالية يعاملون نساءهم كالمعاملة التي كانوا يعاملون بها كلابهم[1] .

فالمرأة عند الفرس :

كانت في شريعة مزدك مباحة كالمتاع ؛ حتى صار الرجل لا يعرف ولده ، والولد لا يعرف أباه .. وحاول مزدك أن يفلسف مذهبه ، حيث يرى أن أكثر ما بين الناس من شحناء وسفك دماء ، سببه النساء والأموال ، فأحل النساء وأباح الأموال ، وجعل النساء شركة فيها كالماء والنار والكلأ[2] .

وكان قدماء الفرس يبيحون للرجل أن يتزوج بابنته وأخته ، ويبيحون الأمهات ، والجمع بين الأختين[1] .

على أن تعدد الزوجات كان مباحاً أقرته شريعة زرادشت ، كما أباحت

---

(١) المرأة في القديم والحديث : عمر رضا كحالة ص ٩٧ .
(٢) الكامل لابن الأثير : ٢٤١/١ ، والملل والنحل للشهرستاني .
(٣) الأسرة والمجتمع : د. علي عبد الواحد وافي ط ١٩٤٥ م ، وصبح الأعشى ٢٩٥/١٣ طبعة دار الكتب بمصر .

التسري واتخاذ الحظايا والحليلات ... وكان الحجاب شديداً على نساء الطبقة الراقية ، أما الفقيرات فكن حرات في التنقل ، وكذلك الحليلات والحظايا .. لأن المفروض فيهن أنهن يرفهّن عن سادتهن وعن ضيوفهم . أما البنات فكانت ولادتهن تجلب اللوعة والحسرة ؛ لأنهم يربونهن لمنزل رجل آخر يجني فائدتهن[1] .

أما الرومان :

فقد كانت المرأة في نظرهم شراً يجتنب ، وإن كانت مخلوقة للمتعة ، وهي دائما خاضعة لرجل أباً أو زوجاً . وكان زوجها يملك مالها ويقيم عليها وصياً قبل موته .

والمرأة في نظرهم أمةٌ شرعية يتصرف فيها رب الأسرة، كما يتصرف في عبيده وقطعانه[2] .

إلا أنها في عصر روما الذهبي تحررت وسادت ، وأمسى الرجال أسارى النساء ، كأنما تواضع الرجال والنساء على تبادل ما كان سائداً في القديم .

أما المرأة الإغريقية :

فلم تكن أسعد حالاً ولا أرفع مكانة ؛ لأن الإغريق عامة اعتبروا النساء من المخلوقات المنحطة ، وليست المرأة عندهم إلا بطناً يدفع النسل ... وما نال إبان ازدهار الحضارة اليونانية الحظوة من نساء الإغريق إلا بنات الهوى اللائي كن وحدهن لا يتحرجّن ، وكان الزنا غير محظور في اسبرطة ، ولم يجد سقراط حرجاً في أن يقرض الرجل أصدقاءه زوجته ، وأكد أفلاطون في جمهوريته ، في أن الواجب أن يتداول الرجال النساء كما يتداولون الحاجات .

وكان الزوج في قوانين اسبرطة قد أبيح له أن يمتع زوجته رجلاً آخر بإذن منه ، وخولته هذه القوانين أن يدفعها للاستبضاع من رجل آخر على أن يكون

---

(١) المرأة في الشعر الجاهلي : نقلاً عن قصة الحضارة الفارسية ص ٥٨ – ٦١ .

(٢) المرأة في العصور ص ٢٥ ، والمرأة في الشعر الجاهلي ص ٦٢ ، والإسلام والحضارة العربية .

الولد للزوج[١] .

وإضافة إلى ذلك كان قدماء اليونان في أثينا يبيعون النساء في الأسواق ، ويبيحون تعدد الزوجات بغير حساب[٢] .

المرأة الفرعونية في مصر :

كانت المرأة عند الفراعنة تتمتع بمكانة مرموقة « ولم يكن احترامها فلسفة يؤمن بها علية القوم فحسب إذ دلت البحوث على أنه كان للمرأة في مصر الفرعونية مركز ممتاز على المستويين الشعبي والرسمي ، ربما لا تتمتع به المرأة الأوربية في العصر الحديث ، فالنقوش التي ظهرت على الآثار عامة ، تمثل المرأة دائماً إلى جنب الرجل .

ولعلك لا تستطيع أن ترى تمثالاً لرجل في ناحية من نواحي الأبنية الفرعونية إلا وهناك تمثال لزوجته في الناحية الأخرى »[٣] . وكان الملك لا يكاد يصور على الآثار إلا مع زوجته .. ومما يوضح ذلك أن فتاح حتب – ابن أحد ملوك الأسرة الخامسة– أذاع وصايا لما طعن في السن منها: إذا كنت عاقلاً فأجد تموين بيتك ، وأحبَّ امرأتك ، ولا تشاحنها وغذها وزينها ، وعطرها ومتعها ما حييت فهي ملك يجب أن تكون جديرة بالمالك ، ولا تكن معها فظاً غليظاً[٤] .

وكانت المرأة المصرية تتناول مهراً من زوجها بعقد زواجها .

ومن نصوص عقد الزواج أن يطيع الرجل المرأة .

وكانت المرأة تمارس التجارة ، فقد ذكر هيرودوت : أن النساء المصريات كن يذهبن إلى السوق ، ويفرغن للتجارة أما الرجال فكانوا في منازلهم

---

(١) المرأة في الشعر الجاهلي ص ٦٤ ، وحضارة العرب : جستاف لوبون ص ٤٩٢ .
(٢) حقوق المرأة في الإسلام : محمد رشيد رضا ص ٤٥ .
(٣) المرأة بين الدين والمجتمع : د. زيدان عبد الباقي ص ٢٣ .
(٤) انظر المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ٧١ – ٧٣ ، والحضارة المصرية القديمة : غستاف لوبون ص ١١٦ ، المطبعة العصرية بمصر .

ينسجون[1] .

المرأة عند اليهود :

كانت المرأة تسبى وتباع عند اليهود وللآباء أن يؤجروا أبناءهم لموعد وأن يبيعوا بناتهم القاصرات بيع الرقيق وأن يقتلوهن[2] .

وكانت المرأة في المجتمع اليهودي تعتبر مملوكة لأبيها قبل زواجها تشترى منه عند نكاحها ، لأن المهر كان يدفع لأبيها أو لأخيها على أنه ثمن شراء ، ثم تصير مملوكة لزوجها وهو سيدها المطلق ، فإذا مات زوجها ورثها وارثه ، لأنها جزء من التركة وله أن يبيعها أو يعضلها .

وكان الزواج بالأخت ذائعاً عندهم قديماً .. ثم بعد ذلك حرموا الأصول والفروع .. وطبيعي أن المرأة التي تورث كالمتاع لاحق لها في الميراث ، والزوجة لا نصيب لها من تركة زوجها بل ظلت جزءاً من متاعه يرثها ذوو قرباه[3] .

وعند النصارى :

ساهمت المرأة في خدمة المسيحية في التبشير ، وقد اعُترف بهن قسّيسات ، واحتملن العذاب راضيات .

وقد حرّمت الديانة المسيحية تعدد الزوجات وحرمت التسري ، وحدّت من الطلاق ، إلا أنها لم تُطلقها من سلطان الرجل ، ولم يحمها الدين الجديد من عسف الرجل وازدرائه ...

ومن العجيب أن يبحث المجتمعون في مجمع ماكون عام ٥٨١ م فيما إذا كان للمرأة نفس ، وهل تُعد من البشر أم لا !؟.

---

(١) الحضارة المصرية القديمة : ص ٧١ ، ٧٢ .

(٢) حضارة العرب : جستاف لوبون ص ٤٩٢ .

(٣) النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية : الأستاذ محمد جمعة ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، وانظر المرأة في الشعر الجاهلي : د. أحمد محمد الحوفي ص ٣٢/ ١٩٤٩م .

وبعد جدال طويل كان الجواب أن لها نفساً ، وأنها بشر ولكن بأغلبية ضئيلة[1] .

أما المرأة عند العرب :

في العصر الجاهلي فقد كان لها شأنها في بعض فترات التاريخ ، إذ أصبحت ملكة في اليمن وفي تدمر مثلاً . كما اشتهر بعضهن بالفطنة والدهاء واللسن ، وكانت المرأة تجير وتقبل إجارتها ، وكانت الحروب تنشب بسبب إهانة امرأة أو الاعتداء على شرفها ... كما أنها كانت تُظلم حيناً آخر ، وتوأد عند بعض القبائل حية ، كان أمرها خليطاً بين الإعزاز والامتهان ، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصول القادمة . (إن شاء الله) .

(١) انظر المرأة في التاريخ والشرائع : محمد جميل بيهم ص ٦٢ ، طبعة بيروت ١٩٢١م ، والمرأة في الشعر الجاهلي : د. أحمد محمد الحوفي ص ٤١ ، ٤٢ .

الباب الأول

المرأة في الحياة الأسرية

الفصل الأول : مكانة الأم في الجاهلية والإسلام .

الفصل الثاني : البنت بين الجاهلية والإسلام .

الفصل الثالث : الزوجة في الجاهلية والإسلام .

الفصل الرابع : الزواج وآثاره في الجاهلية والإسلام .

الفصل الأول
مكانـــة الأم

١ – الأم عند أهل الجاهلية[1] :

الأم أساس كل أسرة ، فهي موطن الحب والإنجاب وموئل العطف والشفقة .

ولقد كان العرب يجلونها ، ويفتخرون بها ، ويخصون المنجيات من الأمهات بالإعزاز والتكريم .

فإذا ولدت المرأة ارتفع قدرها لما للأولاد من أهمية في حياة الأسرة والعشيرة .. وكثيراً ما ذكرت الأم كرمز لصلة الرحم .

يقول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك[2] :

تقول ابنة العمريّ مالَكَ بعدما أراكَ حديثاً ناعم البال أفرعا

فقلت لها: طولُ الأسى إذ سألِتني ولوعةُ حزن تترك الوجه أسفعا

وفقد بني أمٍ تداعوا فلم أكن خلافهمُ أنْ أستكين وأضرعا

ويقول النابغة الجعدي[3] :

ومِنَ قبْله ما قد رزئتُ بوحْوَحٍ وكان ابنَ أمي والخليل المصافيا

---

(١) انظر المرأة في الشعر الجاهلي : د. أحمد الحوفي ص ٧٤ – ١٤٨ .

(٢) المفضليات رقم القطعة : ٦٧ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، طبعة دار المعارف .
ابنة العمري : زوجته – أسفع : من السفعة وهي سواد يضرب إلى حمرة .

(٣) شرح الحماسة : ٥٢٣/١ تحقيق العسيلان ، ١٩٨١م .

وكان العرب مغرمين بأن يفخروا بأنسابهم ، وأن يشيدوا بآبائهم ، وأن يباهوا بأمهاتهم ، ويزهوا بحريتهن وعراقة نسبهنّ ، فالحرّة لا يتزوجها العبد ، والحرب والكرب لا يكشفهما إلا ابن الحرة الشجاع ؛ لأنه بريء من شوائب الهجنة . يقول جعفر بن عُلبة الحارثي[1] :

لا يكشف الغماء إلا ابنُ حرة ‏ ‏ ‏ يرى غمرات الموت ثم يزورها

ويبرأ ذو الإصبع العدواني من عبودية أمه ، ويلوم ابن عمه معرضاً به . إذ يقال : إن أمه كانت أمةً[2] :

عني إليك فما أمي براعية ‏ ‏ ‏ ترعى المخاض ومَا رأيي بمغبـون

وكانت **الأم المنجبة** تزهو بنجابة بنيها ، ويفخر أبناؤها بها ، وسميت الأم التي يَشْرُف بنوها منجبة ، وقد رفع العرب من أقدار المنجبات ، وضربوا ببعضهن المثل ، فقالوا :

أنجب من ماوّية وأنجب من أم البنين[*] .

« ويكون الذكور فخراً للأمهات ، وقوة لهن ، ويقال للمرأة التي تلد الأولاد الكرماء الأشراف : منجبة ومنجاب ولم تكن العرب تعد منجبة من لها أقل من ثلاثة بنين أشراف[3] ومن هنا يفخر لبيد بجدته أم البنين على مسمع من النعمان بن المنذر بقوله[4] :

نحن بنو أم البنين الأربعة ‏ ‏ ‏ ومن خيار عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنـة المدعدعــه ‏ ‏ ‏ والضاربون الهام تحت الخيضعه

---

(١) شرح الحماسة : العسيلان ٦٤/١ .
(٢) المفضليات : رقم : ٣١ ، راعية : أي : لست ابن أمة ، مغبون : ضعيف .
(*) ماوية بنت عبد مناة من تميم أم لقيط ، وحاجب ، وعلقمة ومعبد بن زرارة .
أم البنين : ابنة عمرو بن عامر ولدت ملاعب الأسنة ، وطفيل الخيل ، وربيع المقترين، ومعوذ الحكماء «المرأة في الشعر الجاهلي ص ٨٦» .
(٣) المحبر لابن حبيب ص ٤٥٥ ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت .
(٤) ديوان لبيد ، والأغاني : ٢٢/١٦ طبعة ساسي .

وهؤلاء كانوا أشراف بني عامر .

وقد نسبت بعض قبائل العرب إلى أمهاتها إعزازاً لهن وتقديراً .

فمثلاً : باهلة كانت قبيلة تنسب لأمهم ، وكذلك نسبت قبيلة خندف إلى أمهم زوجة إلياس بن مضر .

وبنو طهية من تميم نسبة لأمهم طهية ، وكانت قبائل الأوس والخزرج تنسب إلى أمهم : قَيْلة فسموا بنو قيلة .. ونسب المناذرة لأمهم (ماء السماء) وهي ماويّة بنت عوف ، ونسب ملكهم عمرو بن هند لأمه ، ونسب الغساسنة لأمهم مارية .

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه .

لله در عصابـة نـادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل[1]

دور الأم في التربية :

لقد أحبت الأم العربية أبناءها ، وأحسنت تربيتهم جسدياً وخلقياً ، فقد كانت تعدهم لمهام الأمور ، وللدفاع عن الذمار . حتى أنها كانت تهتم بالجنين قبل الولادة ، فمن العرب من كان يعتقد أن الحمل في أعقاب الحيض أو قبيل الحيض ، لا ينتج إلا الولد السقيم .

ومن هنا يتحدث أبو كبير الهذلي عن تأبط شراً وكان ابن زوجته[2] :

ومَبرأ من كل غبّر حيضـةٍ ورضاع مُغْيلة وداءٍ معضل

وقبله :

ممن حملْن به وهن عواقد حبك النطاق فشبّ غير مُهبّل

---

(۱) ديوان حسان : ص ۱۷۹ ، دار بيروت للطباعة والنشر ۱۹۸۳م .

(۲) الشعر والشعراء : ۲/٦۷۰ .

أي أن ابن زوجته حملت به أمه وهي فزعة فنشأ مرضي السيرة ، وإذا وضعته سقته من لبنها صافياً ، ولا ترضعه وهي حبلى ؛ لأن لبن الحامل ضار .

وللبن الأم شأن كبير عند العرب لما يتركه من أثر في طبيعة الولد ، ولذلك كانوا يرون أن تكون الأم هي المرضعة لولدها إلا إذا تعذر ذلك لسبب ، فترضعه قريبة من أهل المولود ، أو من المرضعات السليمات من المرض ، ومن ذوات العرق الطيب ، لأن اللبن دساس يؤثر في شاربه .

واهتم العرب باختيار المرضعات ، لما يكون للبن الرضاع من أثر في الرضيع ، ولما يكون للمرضعة ولبيتها من أثر فيه[1] وقد نظم القرآن الكريم حق الرضاعة قال تعالى : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف** ﴾[2] .

وذلك يبين بجلاء أهمية الرضاعة ودور الأم في تربية الطفل .

ومن الناحية الخلقية :

كان للأم دورها إذ تتعهد طفلها فتسكب في سمعه غناءها، وتأمل أن يكون كما تشتهي مجدا وكرماً وشجاعة ، وقد طلق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء مخافة أن تجيئه بولد ألثغ :

لثغاء تأتي بحيفس[3] ألثغ   تميس في الموشّي والمصبّغ

طلقها رغم جمالها ولباسها الموشى الملون .

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٦٤٣/٤ جواد علي .

(٢) سورة البقرة : ٢٣٣ .

(٣) الحيفس : الولد القصير الصغير الدميم .

وقد تمنت أم الفضل بنت الحارث الهلالية لطفلها عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ، أن يسود العرب جميعاً حسباً وكرماً تقول[1] :

ثكلت نفسي وثكلت بكْري إن لم يسد فِهْراً وغير فهر
بالحسب العد وبذل الوفـر حتى يوارى في ضريح القبر

وفيها يقول ابن يزيد الهلالي[2] :

ما ولدت نجيبة من فحل بجبـل نعلمـه أو سهـــل
كستة من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة وكهـل

من أمثال هؤلاء النسوة كان ابن عباس وأمثاله من الصحابة الكرام الذين كانوا خيار أهل الجاهلية والإسلام .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده »[3] .

ولقد يتوفى الزوج فتعكف الزوجة على رعاية أولادها ، وتأبى أن تتزوج وإن كانت في عسرة من أمرها .

آمت أم إثال وكانت أجمل نساء اليمامة ، فخطبها أشراف قومها فردتهم وقالت : إنها لا تؤثر أحداً على ابنها ، وأنها تبقي على كرامته بين الناس حتى لا يحزن ويوذى بزواجها تقول :

لعمري إثال لا أقذّي بعينه وإن كان في بعض المعاش جفاء
إذا استُجمعت أم الفتى غض طرفه وشاعَرَه دون الدثار بـلاء[4]

---

(١) السيرة الحبية ١ / ١١٤ والحسب العدّ : الرفيع .
(٢) سير أعلام النبلاء : ٨٥/٢ .
(٣) متفق عليه : مشكاة المصابيح ٢٣/ص ٩٢٨ .
(٤) بلاغات النساء لابن طيفور : ص ١٣٢ طبعة القاهرة .

حب الأبناء لأمهاتهم : ولقد حفظ الأبناء لأمهاتهم الحب والود وكانوا بهنّ في الغالب بارّين ، وكثيراً ما كانوا يفدّون بالأم إشعاراً بأنها أعز إنسان .

يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه مفتخراً بانتصار الخزرج على الأوس قبل الإسلام :

فدى لبني النجار أمي وخالتي   غداة لقوهم بالمثقفة السمر

ويؤكد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص : « ارم فداك أبي وأمي » « فتح الباري » .

وكثيراً ما كان الأولاد يستجيبون لمشورة أمهاتهم ، كما فعل أوس بن حارثة الطائي عندما أسر بشر بن أبي خازم الأسدي ، وقد هجا أمه ، وأراد حبسه أو قطع لسانه ، فأشارت عليه أمه بأن يكسوه ويطلق سراحه ، ويهبه مائة ناقة فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه ، ففعل ما أمرت به أمه ، فقال بشر : لا مدحت أحداً حتى أموت غيرك ، ومدحه بقصيدته التي يقول فيه[1] :

إلى أوس بن حارثة بن لأم   ليقضي حاجتي وقد قضاها
فما وطيء الحصا مثل ابن سُعْدى   ولا لبس النعال ولا احتذاها

وقد يتزوج الرجل فتفتر علاقته بأمه وقد يشعر بأن أمه أكثر إخلاصاً له عند الملمّات فيفضلها في شعره ، كما حصل لصخر بن عمرو بن الشريد ، إذ تزوج ابنة عمه سلمى وكان يحبها ويكرمها ، ومرض حولاً على إثر طعنة في جنبه ، وكان نساء الحي يسألن سلمى عن صخر فتجيب : لا حي فيرجى ولا ميت فينسى ، فسمعها صخر وكاد أن يقتلها إذ لم يقو على حمل السيف ، وفي رواية الأصمعيات أنه لما أفاق بعض الإفاقة عمد إلى امرأته سلمى فعلقها بعمود الفسطاط حتى ماتت . وفي ذلك يقول[2] :

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير : الجزء الأول .
(٢) الأصمعيات : ص ١٤٦ ، والشعر والشعراء : ٣٤٥/١ تحقيق شاكر .

أرى أم صخر ما تمل عيادتي   وملت سليمى مضجعي ومكاني
فأيُّ امرىء ساوى بأم حليلة   فلا عاش إلا في شقاً وهوان
أهُمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه   وقد حيل بين العيْر والنزوان
لعمري لقد أيقظت من كان نائماً   وأسمعت من كانت له أذنان

إعزاز الخال :

كثيراً ما كان العربي يعز أخواله إكراماً لأمه ، حيث أن الولد أحياناً يشبه الخال جسدياً ، وأحياناً يرث منه الخلق أو ميله ، كما ورث زهير عن خاله بشامة بن الغدير ، إذ قال له زهير لما حضرته الوفاة : لو قسمت لي من مالك ؟ فقال : والله يا ابن أختي لقد قسمت لك أفضل من ذلك وأجزله قال : وما هو ؟ قال : شعري ورثتنيه .. وقد أتى الشعرُ امرأ القيس من قبل خاله مهلهل كذلك[1] ...

ولذلك كثيراً ما كان الخال ينصر ابن أخته ، ويؤيد ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا الأنصار فقال : « هل منكم أحد من غيركم » ؟ قالوا : لا ، إلا ابن أخت لنا . فقال صلى الله عيه وسلم : « ابن أخت القوم منهم »[2] .

وقد كان الرجل في الجاهلية لا يغتفر لأحد أن ينتقص من قدر أخواله، حتى أن حسان بن ثابت طلق امرأته عمرة الأوسية غضباً لأخواله عندما بخستهم أقدارهم وفضلت الأوس عليهم إذ يقول[3] :

لا يكن حبك حباً ظاهراً   ليس هذا منك يا عمْر بسرْ
سألت حسانَ مَنْ أخوالُه ؟   إنما يُسأل بالشيء الغمُر
قلت أخوالي بنو كعب إذا   أسلم الأبطال عورات الدبُر

---

(١) طبقات الشعراء : محمد سلام الجمحي ص ٥٦٤ .
(٢) فتح الباري : ٥٥٢/٦ ، ط مكتبة الرياض الحديثة .
(٣) ديوان حسان : ص ١١٦ دار بيروت للطباعة والنشر .
سر : حسن – الغمر : غير المجرب الجاهل ، الخصر : البارد يريد وقت الجدب .

رب خال لي لو أبصرته سبط الكفين في اليوم الخصر

وقد ذكر الجاحظ أن العرب تقول : « عرق الخال لا ينام » ، ويقولون : « عرق فيه أعمامه وأخواله » فقدموا الأعمام على الأخوال ، واعترفوا بأثر عرق الاثنين في الولد من كرم ولؤم إذ يكون دس العرق في اللؤم والكرم[*] .

وقد يثأر الولد من خاله لأبيه كما فعل الهجرس بن كليب عندما قتل خاله الجساس ثأراً لأبيه، رغم نشأته بين أخواله، ولم يقبح ما فعل وقال في ذلك[*]:

ألم ترني ثأرت أبي كليباً وقد يُرجى المرشّحُ للذُّحول
غسلت العار عن جشم بن بكر بجساس بن مرة ذي البتُول

عقوق الأمهات :

على أنه لم يكن كل الأبناء يبرون أمهاتهم ، وخاصة بعد زواجهم ؛ لأن العرف وحده بعيداً عن المنطلق الديني لا يستقيم على حالة واحدة .

فقد يقع أحدهم في الحيرة بين بره بأمه التي حملت وأرضعت وربت وتأملت منه خيراً ، وبين زوجته ، هذه الفتاة الطارئة التي تريد أن تنتزعه انتزاعاً فجائياً .

ومثال ذلك أم ثواب الهزانية ، التي تتذكر تربيتها لابنها وتتوجع من عقوقه لها ، تنظر إليه وتتذكر طفولته وتدهش من لحيته ولمته .. ثم تأتي كنتها وتوغر صدره ، وتزين له أن يضرب أمه ويمزق ثوبها على أنها تتظاهر بالعطف عليها ، وإن كانت تود إهلاكها[٢] .

(*) تاج العروس : ١٠٧ عرق ، وجواد علي ٤ / ٦٤٢ .
(١) معجم الشعراء : المرزباني ص ٤٨٩ ، مكتبة المقدسي بالقاهرة ١٣٥٤هـ .
(٢) المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ١٤٤ .

تقول في أبياتها التالية تصف مأساتها[1] :

ربيتُه وهو مثل الفرخ أعظَمُهُ   أمُّ الطعام ترى في جلده زغبا
أنشا يمزق أثوابي يؤدبني   أبعد ستين عندي تبتغي الأدبا
إني لأبصر في ترجيل لمته   وخط لحيته في وجهه عجبا
قالت له عِرْسُه يوماً لتسمعني   مهلاً فإن لنا في أمنا أرَبا
ولو رأتني في نار مسعرة   من الجحيم لزادت فوقها حطبا

على أن العقوق ربما تعدى الأمهات إلى الآباء .

يقول أمية بن أبي الصلت في ابنه أبياته الشهيرة[2] :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً   تُعَلُّ بما أحني عليك وتنْهلُ
إذا ليلة نابتك بالشكوى لم أبت   لشكواك إلا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي   طرقت به دوني فعيني تهمُلُ
فلما بلغت السنّ والغاية التي   إليها مدى ما كنت منك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة   كأنك أنت المنعم المتفضِّلُ
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي   فعلتَ كما الجار المجاورُ يفعل

هذه حالة الوالدين عند أهل الجاهلية ، وسوف نرى مكانتهما – والأم خاصة في الإسلام – حيث جعل العقوق للوالدين مساوياً للشرك بالله ، ودعا إلى البر بهما ... وذلك ما سنفصل القول فيه إن شاء الله في الصفحات القادمة .

٢ – مكانة الأم في الإسلام :

رفع الإسلام من مكانة الأم ، ودعا إلى البر بها ، بشكل ليس له نظير ، ويكفي أنه اعتبر عقوقها من الكبائر .

---

(١) شرح الحماسة : تحقيق العسيلان ص ٣٦٥ .
أعظمه أم الطعام : أكبر ما فيه بطنه .
أبعد ستين : أبعد شيبتي في رواية أخرى .

(٢) ديوان أمية : ص ٣٧ ، طبعة ١٩١١م.

عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس »[1] .

لقد كرم الله جل وعلا المرأة المسلمة بتكريم ابن آدم قال تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾ .

ثم إنها خلقت والرجل من نفس واحدة : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء** ﴾ [النساء : ١] .

ويوم كانت أمتنا تقود ركب الإنسانية إلى الخير ، وتحمل مشعل الهداية إلى الشعوب ، كانت في داخل بيوتها تنعم بما لا يعرف له التاريخ مثيلاً من استقرار السعادة الزوجية ، وشمول الطمأنينة والحب والتعاون لجميع أفرادها .

ذلك أن الإسلام وضع لكل من الزوجة والزوج والآباء والأبناء حدوداً واضحة ، يتميز فيها حق كل فئة عن حق الفئة الأخرى وهي حقوق متكافئة منسجمة تؤدي إلى ملء القلوب بالحب، وملء البيوت بالنعيم، وملء المجتمع بالنسل الصالح الذي يبني ولا يهدم ، ويسمو ولا ينحدر .

هذه الحقوق أقامها الإسلام على دعامتين من العدل والحب . ولا ينبع خير في هذه الحياة إلا منهما ، ولا يستقيم شأن في المجتمع بدونهما[2] .

وقد أحل الإسلام المرأة المكانة اللائقة بها في ثلاثة مجالات رئيسية :

١ - المجال الإنساني :

فاعترف بإنسانيتها كاملة كالرجل ، طالما كان محل شك أو إنكار عند أكثر الأمم المتمدنة سابقاً .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، انظر صحيح سنن النسائي ٣/٣٧٤٥ .

(٢) أخلاقنا الاجتماعية : الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله ص ١٤٠ .

٢ – المجال الاجتماعي :

فقد فتح أمامها مجال التعلم ، وأسبغ عليها مكاناً اجتماعياً كريماً في مختلف مراحل حياتها ، منذ طفولتها حتى نهاية حياتها .

بل إن هذه الكرامة تنمو كلما تقدمت في العمر . من طفلة إلى زوجة إلى أم ، حيث تكون في سِنّ الشيخوخة التي تحتاج معها إلى مزيد من الحب والحنو والإكرام .

٣ – المجال الحقوقي :

أعطاها الإسلام الأهلية المالية الكاملة في جميع التصرفات حين تبلغ سنّ الرشد. ولم يجعل لأحد عليها ولاية من أب أو زوج أو أسرة[١] .

واختص الإسلام الأم بالرعاية :

عن أبي هريرة قال ، جاءرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » قال : ثم مَنْ ؟ قال : « أمك » قال : ثم مَنْ ؟ قال : « أمك » قال : ثم مَنْ ؟ قال : ثم أبوك »[٢] .

وجاء في شرح الحديث : « قال العلماء : وسبب تقديم الأم : كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ، ومعاناة المشاق في حمله ثم إرضاعه ، ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك ، ونقل المحاسبي إجماع العلماء ، على أن الأم تُفضّل في البر على الأب » .

وجعل الله تعالى الإحسان بالوالدين مقترناً بعبادته سبحانه إذ يقول : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً**

(١) المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي ص ٣٠ .
(٢) رواه الإمام مسلم : ١٠٢/١٦ (بشرح النووي) .

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ [الإسراء : ٢٣-٢٤] .

« فالوالدان يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد ، إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات . وكما يمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر . كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية — إن أمهلها الأجل – وهما مع ذلك سعيدان .

ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء ، إنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف »[١] .

فالتوصية ضرورية بالوالدين ، ومن هنا تؤكد الآيات الكريمة على هذا الجانب . يقول تعالى : **﴿ وبالوالدين إحساناً وبذي القربى ﴾** [النساء : ٣٦] .

وقال جل شأنه : **﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهْناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾** [لقمان : ١٤-١٥] . فالمعاملة لابد أن تكون حسنة حتى في حال شرك الوالدين.

ولذلك : فالبر بالوالدين وبالأم خاصة من أوائل ما تركز عليه الأحاديث الشريفة .

فعن عبد الله بن عمرو : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني جئت أبايعك على الهجرة ولقد تركت أبويّ يبكيان قال : « ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما »[٢] .

حتى في أمر الهجرة والفرار بالدين ، ينصح رسول الله هذا الرجل بأن

---

(١) في ظلال القرآن : ٢٢٢١/٤ .

(٢) صحيح سنن النسائي : رقم : ٣٨٨١ ، وصحيح الجامع : ٨٩٢ .

يرضي والديه ، وأن يضحكهما كما أبكاهما .

هكذا يكون فقه الدعوة إلى الله ، لا كما يفعل بعض الشبان حاليا، من إغتصاب والديهم ولو بحسن نية وتأول دعوي خاطىء .

وذلك كله لمكانة الوالدين . عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيعتقه »[1] .

إن البر بالوالدين أو بأحدهما نعمة من الله مآلها جنة عرضها السماوات والأرض .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه ، من أدرك أبويه عند الكبر ، أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة »[2] .

حتى الجهاد ذروة سنام الإسلام ، جعله الإسلام دون بر الوالدين . فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : جاء رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال : « أحي والداك ؟ » قال : نعم . قال : « ففيهما فجاهد »[3] .

لذلك نرى أن البر بالوالدين أصبح عند المسلمين مضرب الأمثال ، فاستقرت الأسر واطمأنت الأمهات خلافاً لواقع الأمم الأخرى قديما وحديثاً .

« أخرج البيهقي عن عمرو بن حماد قال : حدثنا رجل قال : خرج عليّ وعمر رضي الله عنهما من الطواف ، فإذا هما بأعرابي ، معه أم له يحملها على ظهره وهو يرتجز ويقول : أنا مطيتها لا أنفر ، وإذا الركاب ذعرت لا أذعر ، وما حملتني

---

(١) شرح صحيح مسلم : ١٥٢/١ .

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته : ١/ ٦٥٩ .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .
وعن حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة ص ٥١٤» .

وأرضعتني أكثر ، لبيك اللهم لبيك . فقال علي : يا أبا حفص ، ادخل بنا الطواف لعل الرحمة تنزل فتعمنا .. فدخلا الطواف والرجل يلبي ويقول ما قال آنفا ... وعلي رضي الله عنه يقول : إن تبرها فالله أشكر . يجزيك بالقليل الأكثر »[1] .

ولعل قصة أصحاب الغار تبين لنا فضل البر بالوالدين عندما توسلوا بصالح أعمالهم ، فانفرجت الصخرة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ، ولي صبية صغار أرعى عليهم ، فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بنّي ، وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت ، فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحِلاب ، فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء . ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء[2] .

حتى أن البر بالوالدين يتعداهما إلى البر بأصدقائهما وهو خلق اجتماعي سام ، يبعث على الغبطة والمسرة في حياة الوالدين ، وعلى البر بهما حتى بعد وفاتهما .

عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، فقال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله ، إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير فقال عبد الله : إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب ، وإني

---

(١) كذا في الكنز : ٣١٠/٨ ، بنظر حياة الصحابة : ٦٠٧/٢ .

(٢) شرح صحيح مسلم : ٥٦/١٧ «ومعنى يتضاغون : يصيحون ، الحلاب : الإناء الذي يحلب فيه ، نأى : بعُد» .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أبرّ البر صلة الولد أهل ود أبيه »[1] .

فحمداً لك اللهم على نعمة الإسلام ، في الحياة وبعد الممات . والنصوص من الكتاب والسنة كثيرة ، تلك التي تحث على البر بالأم وبالأب ، واكتفينا بنماذج منها فقط توضح المقصود ، ومن شاء الزيادة فليرجع إلى التفصيل في كتب الحديث والسير والتاريخ ، ففيها ما يبين مزية هذه الأمة – أمة التوحيد – على أمم العالم في هذا الجانب .

وسوف نرى مدى التردي الذي وصلت إليه أمم الغرب في الجاهلية المعاصرة ، حيث العقوق للوالدين ، وتمزيق روابط الأسرة كلها[2] .

الدور التربوي للأم المسلمة :

إن أسرتنا المسلمة صورة مصغرة لمجتمعاتنا الإسلامية ، وهي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع المؤمن ... فيها تُعد معاييره ومبادئه ومثله العليا .

وفي ظلها يتلقى الأطفال مشاعر الخير وبذور الإيمان ، وكلما نجح الأبوان في أداء هذا الواجب نجح المجتمع وتمكن من الوصول إلى غاياته وأهدافه .

ولذلك اهتم الإسلام بالدور التربوي العقدي للأسرة المسلمة. يقول صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »[3] .

لذلك كان من أهم واجبات الأبوين المسلمين ، رعاية الفطرة ، والاجتهاد في تحسين تربية الأبناء ، وهي أمانة سيسألان عنها .

وعندما عرف أعداؤنا في العصر الحديث دور الأسرة ، حاولوا

(١) شرح صحيح مسلم : ١٦/ ١٠٩ .
(٢) سنفصل ذلك إن شاء الله في الباب الثالث : المرأة في الجاهلية المعاصرة ، فصل مأساة المرأة .
(٣) متفق عليه .

تمزيق أواصرها ، وسلكوا من أجل ذلك كل سبيل ومن هنا اهتم علماء المسلمين في التربية الأسرية[1] .

ولقد قامت الأم بدورها الريادي ، إذ نلمس أثر الجو المنزلي في شخصيات من سلف هذه الأمة ، لا تعد حصراً حيث الأريج الفواح في أجواء الإيمان والإيثار .

فهذا الصحابي الجليل أنس بن مالك الخزرجي رضي الله عنه ، كانت أمه أم سليم رضي الله عنها قد أتت به النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، وقالت له : هذا أنس غلامك يخدمك ، فقَبِله عليه الصلاة والسلام ، وقال عنه ابن سيرين : كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر[2] .

والحسن البصري من كبار التابعين .كانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وكانت أم سلمة تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو طفل فتسكته أم سلمة بثديها، وتخرجه إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طفل صغير[3] .

فهذه الأسر الطاهرة في هذه الأجواء الشفافة ، أخرجت للأمة مثل هؤلاء الصالحين على منهج النبوة وصفاء العقيدة، أما المجرمون المنحرفون فتجد أن بيئاتهم الأولى كانت قلقة غير مستقرة ، أو منحرفة مشبوهة ، كما يحدثنا التاريخ عن نشأة كمال أتاتورك وهتلر ، وأبي نواس الشاعر ، أو الحطيئة وأمثال هؤلاء كثير[4] .

كانت الأم المسلمة مربية وداعية إلى الله . عن وكيع قال : قالت أم سفيان لسفيان : اذهب فاطلب العلم حتى أعولك بمغزلي، فإذا كتبت عشرة أحاديث

---

(١) انظر كتابنا : تربية الأطفال في رحاب الإسلام ، الباب الأول: رسالة الأسرة في الإسلام ص ٣٥ - ٦٩ .

(٢) رواه ابن عساكر : ٨٤/٣ ، وانظر الإصابة ص ٨٤ ، وأعلام النبلاء ص ٤٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٥٦٣/٤ - ٥٨٨ .

(٤) تربية الأطفال في رحاب الإسلام (رسالة الأسرة في الإسلام) ص ٣٥ .

فانظر هل تجد في نفسك زيادة فاتبعه، وإلا فلا تتعَنَّ «أي لا تتعب نفسك»[1].

كانت هذه الأم الفاضلة وراء إمام الحفاظ وشيخ الإسلام في عصره، وأمير المؤمنين في الحديث رضي الله عنه وعن أمه، لقد عرفت المرأة المسلمة رسالتها، أدتها وهي تنتظر وعد الله لها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »[2] .

لقد تغيرت المرأة العربية بتأثير الرسالة الجديدة ؛ لأن القيم والموازين اختلفت في نظرها .

فالخنساء التي أمضت حياتها تبكي أخاها صخراً في مراثيها الشهيرة ، هي التي وعظت أبناءها الأربعة عندما حضرت القادسية بقولها : « إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، وإنكم لابن أب واحد ، وأم واحدة ، ما خبث آباؤكم ولا فضحت أخوالكم » فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا .

وقد أنشد كل واحد منهم قبل أن يستشهد رجزاً ، أنشد الأول :

يا إخوتي إن العجوز الناصحه   قد نصحتنا إذ دعتنا البارحه

وأنشد الثاني :

إن العجوز ذات حزم وجلد   قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبراً بالولد   فباكروا الحرب حُماةً في العدد

وهكذا حتى استشهدوا كلهم ، أدخلهم الله فسيح جناته .

وقالت الخنساء لما بلغها الخبر : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته »[3] .

---

(١) أعلاء النبلاء : ٢٦٩/٧ .
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته : ١/ ص ١٩٩ .
(٣) الإصابة : ٢٨٠/٤ .

لقد تحولت الخنساء من شاعرة باكية جزعة ، إلى مؤمنة ترضى بقدر الله وتشجع أبناءها على الشهادة .

انظر إلى قولها[1] :

يذكرني طلوع الشمس صخراً	وأبكيه لكل غروب شمس
فلا والله لا أنساك حتى	أفارق مهجتي ويشق رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي	على إخوانهم لقتلت نفسي
فيا لهفي عليه ولهف أمي	أيصبح في الضريح وفيه يمسي

وهي التي تقول في أخيها صخر[2] :

قذي بعينك أم بالعين عوّار	أم ذرَّفت إذ خلت من أهلها الدار
تبكي خناسٌ على صخر وحُق لها	إذ رابها الدهر إن الدهر غرار
وإن صخراً لتأتم الهداة به	كأنه علم في رأسه نار
جلد جميل المحيا كامل ورع	وللحروب غداة الروع مسعار
حمال ألوية هباط أودية	شهاد أندية للجيش جرار

هكذا تفعل العقيدة بالنفوس فتتغير المواقف، لا تذرف الخنساء دمعة على أبنائها الأربعة ، وتمضي حياتها تبكي أخاها صخراً. هذا في الجاهلية وذاك في الإسلام .

إن أثر الإسلام في أتباعه يفعل الأعاجيب ، وقصة أم عمارة « نسيبة بنت كعب المازنية » خير شاهد على ما تقول .

« عن عبد الله بن زيد قال : جرحت يوم أحد جرحاً ، وجعل الدم لا يرقأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اعصب جرحك » ، ثم أقبلت أمي إلي ومعها عصائب في حقوها فربطت جرحي ، والنبي عليه الصلاة والسلام واقف ، فقال : «أنهضيه»، فقالت : انهض بني فضارب القوم ، وجعل يقول: من يطيق ما

---

(١) ديوان الخنساء .

(٢) انظر ديوان الخنساء ص ٤٩ ، ط دار الأندلس للطباعة والنشر ١٩٨١م .

تطيقين يا أم عمارة ، فأقبل الذي ضرب ابنها فقال رسول الله : « هذا ضارب ابنك » قالت : فاعترضت له فضربت ساقه فبرك ، فرأيت رسول الله يبتسم حتى رأيت نواجذه وقال : « استقدت يا أم عمارة » ثم أقبلنا نعله بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « الحمد لله الذي ظفرك »[1] .

---

(١) ابن سعد : ٤١٤/٨ ، وأعلام النبلاء : ٢٨٠/٢ .
«الحقو : معقد الإزار ، استقدت : اقتصصت ، نعله : نتابع ضربه بالسلاح» .



الفصل الثاني

البنت بين الجاهلية والإسلام

١ - نظرة العرب للبنات في الجاهلية .
٢ - الوأد عند العرب .
٣ - الإسلام يرفع من مكانة البنت .



البنت ومكانتها عند العرب

المال والبنون من مفاخر العرب ، فقد كانوا يفخرون بميلاد الولد الذكر ، لأن كثرة الأولاد من أهم أسباب العزة والقوة ، إذ بهم يدافع الرجل عن نفسه وعن بيته ، وبهم يؤخذ الحق ويرجع المال المسلوب ، ويؤخذ الثأر ، إنهم رأس مال العربي وحماة عشيرته .

كانوا يفتخرون بالبنين أيما فخر ، فهم فخر للآباء والأمهات . وقد عرفنا أن المرأة التي تلد ثلاثة أولاد أشراف كانت تعد منجبة ومنجاب ، وتعرف بأم البنين ، قال تعالى يذكر نعمة المال والبنين : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾[1] .

فبينما كان العرب يفرحون لولادة المولود ، ويذبحون شاة عند ميلاده ويقال لها : « **العقيقة** » ، كانوا يغتمون ويحزنون لولادة البنت ، وقد أشار الإسلام إلى نفرة العرب من البنات وما كان يصاب به الرجل من ضيق صدره إذا ولدت له أنثى[2] قال تعالى : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾[3] .

وكان يزداد كرب الرجل إذا زاد عدد بناته ، وقد يعمدون إلى الوأد ، أي دفن البنات أحياء خشية العار أو خوفاً من الفقر ، حيث كانت البنت تعتبر من الأعباء الثقيلة على والدها ، لأنها تأخذ ولا تعطي ، وذلك في بيئة تكثر فيها

---

(١) الكهف : ٤٦ .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ص ٦٥٠ - ٦٥٣ ، الجزء الرابع .

(٣) النحل ٥٨ ، ٥٩ .

الفواجع والمجاعات .

ومن هنا تصور الآية الكريمة حالة القتل للأبناء قال تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم** ﴾[1] .

١ - نظرة العرب للبنات في الجاهلية[2] :

إن الفكرة الشائعة لدى العرب هي بغض البنات ... إلا أن هذا الحكم ليس عاماً ، فقد سجل الشعر الجاهلي مواقف أخرى مخالفة . كان بعض العرب يحب بناته ويحدب عليهن ، وهذه هي الفطرة السوية ويصور لنا معن بن أوْس ، الشاعر المخضرم اعتزازه ببناته ؛ لأنهن وفيات للآباء يمرضنهم إذا مرضوا ، وينحن عليهم إذا ماتوا[3] .

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وفيهن لا تُكذبْ نساء صوالح
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى عوائد لا يمللنه ونوائح

ويتجلى حبّ الأب لابنته في قول عامر بن الظرب لصعصعة بن معاوية لما خطب إليه بنته عمرة : يا صعصعة إنك أتيتني تشتري مني كبدي ، وأرحم ولدي عندي ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب[4] .

وربّما كان الأب يعتد برأي ابنته فيستشيرها عند زواجها وفي أموره الخاصة ، كما كان يفعل لقيط بن زرارة ، كان يرجع إلى رأي ابنته دختنوس ، ويستصحبها معه في غزواته ويرجع إلى رأيها[5] .

وإذا أجارت البنت نفذ أبوها إجارتها ، فقد أجارت فكيهة بنت قتاد السليك بن السلكة من بعض قومها ، حتى كُشف عنها خمارها وهي تذب عنه ،

---

(١) سورة الإسراء : ٣١ .
(٢) انظر المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ٢٧٩ - ٢٨٩ .
(٣) الأغاني : ١٥٧/١٠ ، ومحاضرات الأدباء : ٢٠٤/١ الراغب الأصبهاني .
(٤) البيان والتبيين : ٥٩/٢ ، ومجمع الأمثال الجزء الأول .
(٥) الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ص ٢٨٥ نقلاً عن الكامل لابن الأثير ٢١٢/١ .

وصاحت بإخوتها وولدها فجاءوها، ودافعوا عنه، حتى نجا من القتل، فمدحها السليك بقوله[1] :

لعمر أبيك والأبناء تنْمى ... لنعم الجار أخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح أباها ... ولم ترفع لإخوتها شنارا
وما عجزت فكيهة يوم قامت ... بنصل السيف وانتشلوا الخمارا

وقد أبقى الإسلام على حقها في الإجارة ، من ذلك أنه لما أسر أبو العاص ابن الربيع في غزوة بدر ، وشرعت قريش تفدي أسراها بعثت زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت بمكة بمال تفدي به زوجها أبا العاص ... ثم لحقت بالمدينة ، وبعد أن قابلت سريةٌ لرسول الله- بعد مُدة- أبا العاص عائدا من الشام فأصابوا ما معه وهرب منهم ، ثم دخل في الليل على زينب رضي الله عنها واستجار بها فأجارته ، إذ نادت من صفة النساء أيها الناس ! إني قد أجرت أبا العاص ابن الربيع فلما سلم الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إنه يجير على المسلمين أدناهم »[2] .

وكثيراً ما كان العرب يكنون بأسماء بناتهم ، كربيعة بن رياح والد زهير ، اشتهر باسم أبي سلمى ، والنابغة الذبياني كان يسمى أبا أمامة ، وحاتم الطائي : أبو سفّانة ، ومثل هذا كثير مما يدل على إعزاز البنت وتكريمها .

حب البنت لأبيها[3] :

كانت البنت تتعلق بأبيها منذ طفولتها ، فهو حاميها ، وعائلها وراعيها ، وإذا تزوجت ظلت تحبه وتذكره ، **ومن مظاهر حبها لأبيها** :

١ – أنها كانت تتخوف عليه أن يقتل في حروبه ، فتحاول أن تثنيه ، وقد يحاول السفر فتحاول البنت أن تصرف أباها عنه خشية عليه ، وربما استشفعت

---

(١) المحبر لابن حبيب : ٤٣٣ .
(٢) سيرة ابن هشام : ٦٥٨/٢ ، تحقيق مصطفى السقا والأبياري الطبعة الثانية ، البابي الحلبي بمصر .
(٣) انظر المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٠٥ – ٣١٤ .

بشريف من العشيرة ليصرف أباها عن رحلته ، كما فعلت بنت الأعشى،ولما يئست دعت ربها أن يحفه برعايته ليعود سالماً .

يقول الأعشى[1] :

تقول بنتي وقد قربتُ مرتحلا	ياربّ جنب أبي الأوصاب والوجعا
واستشفعت من سراة الحي ذا شرف	فقد عصاها أبوها والذي شفعا
كوني كمثل التي إذ غاب وافدها	أهدت له من بعيد نظرة جزعا
ولا تكوني كمن لا يرتجي أوبَا	لذي اغتراب ولا يرجو له رجعَا

٢ – وكانت تبكي أباها وتتفجع عليه إذا مات ، وأحياناً كانت تبكيه في المواسم ، فإنه لما قتل رجل من جهينة ، حصين بن عمرو الكلابي ، قامت صخرة ابنة عمرو تبكيه في المواسم حتى ضرب بها المثل .

قال الأخنس[2] :

كصخرة إذ تسائل في مراح	وفي جَرْم وعلمهما ظنون
تسائل عن حصين كل ركب	وعند جهينة الخبر اليقين

وقد تعدد البنت مناقب أبيها ، وتشيد بمفاخره وهي تصور فجيعتها فيه ، ومن أمثلة ذلك رثاء هند بنت عتبة عندما هلك أبوها في غزوة بدر تقول[3] :

لله عينا من رأى	هُلكا كهلك رجاليَة
يارُب باك لي غدا	في النائبات وباكيَة
قد كنت أحذر ما أرى	فأنا الغداة مُواميه
يارب قائلة غدا	يا ويح أم معاويه

٣ – وربما كانت المرأة تؤثر قومها على قوم زوجها ، فهي لا ترضى أن

---

(١) ديوان الأعشى : ص ١٠٥ ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٣م .

(٢) لسان العرب : ٢٤٣/١٦ ، ومراح : حي من قضاعة .

(٣) سيرة ابن هشام : ٣٩/٢ ، ومواميه : مختلطة العقل .

يباغت زوجُها قومها فيغزوهم وينتصر عليهم ، لذلك كانت تنذرهم وتحذرهم كما فعلت سلمى بنت عمرو زوجة أحيحة بن الجلاح ... إذ خدعت زوجها حتى نام وتدلت من الحصن ، وأخبرت قومها من بني النجار بما أعده زوجها وقبيلة الأوس ؛ فطلقها وتزوجها بعده هاشم بن عبد مناف ، فولدت له عبد المطلب[1] . وتكرر مثل هذه القصة كثيراً في العصر الجاهلي .

على أن كثيراً من العرب كانوا يبغضون بناتهم ، ويتشاءمون من ولادتهن ، وهذا ما نتحدث عنه في الفقرة القادمة .

٢ – الوأد عند العرب :

وهو من أسوأ عادات العرب الجاهليين ، إذ كانوا يدفنون البنت وهي حية .

ويعود ذلك إلى بغض بعضهم للبنات ، وهو المشهور وإلى أسباب أخرى سيأتي بيانها .

كانوا يكرهون ولادة البنت ، وقد هجر أبو حمزة الضبي خيمة امرأته حين ولدت له بنتاً ، والتجأ إلى خيمة جيرانه ، ومرّ يوماً بخبائها فسمعها تتغنى لابنتها بقولها :

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلدا البنينا تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

فثاب إلى رشده وولج الخباء ، وقبل رأس زوجته وقبل ابنته[2] .

---

(١) الكامل : لابن الأثير ٤٠٤/١ ، ط دار الفكر بيروت .
(٢) البيان والتبيين : ١٨٦/١ ، ٤٧/٤ ، ومجمع الأمثال ٩٠/١ ط بيروت .

وكانوا إذا هنأوا بها قالوا : آمنكم الله عارها ، وكفاكم مؤونتها ، وصاهرتم القبر[1] .

وكان إسحق بن خلف البهراني يود أن تموت ابنته أميمة وهو يعلم أنها كلفة بحياته قال[2] :

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً	والموت أكرم نزّال على الحُرَم
إذا تذكرت بنتي حين تندبني	فاضت لعبرةِ بنتي عبرتي بدم

فلما ماتت قال أبياتاً منها[3] :

فالآن تمتُ فلا هم يؤرقني	بعد الهدوء ولا وَجْدٌ ولا حلم
للموت عندي أيادٍ لست أنكرها	أحيا سروراً وبي مما أتى ألم

وقد سجل القرآن الكريم هذا البغض في مواطن شتى قال تعالى : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾ [النحل : ٥٧-٥٩] .

وأسوأ من هذا جريمة قتل البنت وهي طفلة صغيرة، وقد كان الوأد على مذاهب عند العرب ، ويرجع لأسباب عديدة نوجزها فيما يلي[4] :

١ - فمن العرب من كان يئد البنات لمزيد الغيرة وخوفاً من العار ، ومن هؤلاء : بنو تميم وكندة وقبائل أخرى .

وكان السبب في ذلك أن بني تميم لما منعوا النعمان بن المنذر الإتاوة التي كانت عليهم ، وجرد إليهم جيشاً ، واستاق الأسرى والسبايا ، ثم وفدت وفود

---

(١) محاضرات الأدباء : ٢٠٤/١ نقلاً عن المرأة في الشعر الجاهلي .
(٢) فوات الوفيات لابن شاكر : ١٠/١ .
(٣) زهر الآداب : ٢٠٤/١ .
(٤) انظر بلوغ الأرب : للآلوسي : ٤٢/٣ - ٤٧ .

تميم على النعمان بن المنذر وكلموه في الذراري ، فحكم النعمان أن يجعل الخيار في ذلك إلى النساء فأية امرأة اختارت زوجها رُدّت عليه ، فاختلفْنَ في الخيار ، وكانت فيهن بنت لقيس بن عاصم ، فاختارت سابيها على زوجها ، فنذر قيس ابن عاصم أن يدس كل بنت تولد له في التراب ، فوأد بضع عشرة بنتاً .

ورُوي أن أول قبيلة وأدت من العرب « ربيعة » ، وذكرت عنها قصة مشابهة لما سبق من قصة بني تميم ، وعلى العموم كانت غالب قبائل العرب تئد للغرض الآنف الذكر .

يتبين مما سبق أن الخوف من العار كان باعثاً قوياً من بواعث الوأد ، لأن الحروب والغارات كانت لا تخبو نيرانها ، وكان السبي من آثارها ، والمعلوم أن العرب غيرُ على النساء والسبي يعتبر معرة في نظرهم ... فكان من أسباب الوأد الغيرة على البنات أن يسبين أو يزوجن بغير أكفاء .

٢ - ومن العرب مَنْ كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر ، وهم الفقراء من بعض قبائل العرب ، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً** ﴾ [الإسراء : ٣١] . والمراد بالقتل هنا الوأد مخافة العجز عن النفقة عليهن ، وإن كان الظاهر في النهي يشمل الأولاد والبنات ، حيث كانت البيئة شحيحة بالزاد ضنينة بالخير ، كثيرة الفواجع والمجاعات ، والإناث في هذه البيئة عبء على الآباء ؛ لأنهن يأخذن ولا يعطين .

ولذلك كان العرب يستكملون حاجتهم بالإغارة على القبائل المجاورة وبوأد بناتهم خشية الإملاق .

ويبدو أن الفقر وحده ليس سبباً كافياً ، إذ أن بعض الأغنياء وأدوا ، فمهلهل بن ربيعة أمر زوجته حين ولدت له بنتاً أن تقتلها فأمرت خادماً لها أن تغيبها عندها ثم بدا له فأمرها بإحسان تربيتها ، فكبرت حتى تزوجت[1] .

---

(١) انظر : بلوغ الأرب : ٤٤/٣، والمرأة في الشعر الجاهلي ص ٢٩٣ .

ويروى أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يحيي الموؤدة . يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤونتها .

وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق يفتدي الموؤدات من بني تميم ، فامتدح الفرزدق جده بذلك في قوله :

وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد[1]

وقوله [2] :

ومنا الذي أحيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاجب الأقارع
أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

٣ - ومن أسباب الوأد أيضا وجود عيب خلْقي، حيث أن منهم من كان يئد من البنات، من كانت زرقاء أو شيماء أو برشاء أو كسحاء تشاؤماً منهم بهذه الصفات .

وفي السيرة الحلبية ما يشير إلى قصة كاهنة قريش وهي سودة بنت زهرة ، أن أباها لما رآها زرقاء شيماء كان يريد أن يئدها[3] .

٤ - ومنهم من كان ينذر إذا بلغ بنوه عشرة نحر واحداً منهم، كما فعل عبد المطلب في قصته المشهورة مع أبنائه ، وقد وقعت القرعة على عبد الله والد الرسول صلى الله عليه وسلم[4] .

أما طريقة الوأد :

فقد تنوعت وسائلها عند القوم: كان بعضهم يحفر حفرة تمخض المرأة على حافتها ، فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة ، وإن ولدت ولداً احتفظت به ،

(١) الإصابة : ١٨٠/٢ .
(٢-٣) بلوغ الأرب : ٤٣/٣ - ٤٦ .
(٤) سيرة ابن هشام : ١٥١/١ ، الطبعة الثانية ، البابي الحلبي بمصر .

وكان بعضهم يرميها من شاهق جبل ، ومنهم من كان يغرقها ومنهم من كان يذبحها[1] .

والأعم الأغلب أن توأد البنت حين ولادتها ، وإن وردت أخبار عن الوأد في الكبر ...

يذكر الزمخشري : أن الرجل كان إذا أراد أن يستحيي ابنته ألبسها جبة صوف أو شعر ، وأرعاها إبله أو غنمه في البادية ، وإن أراد أن يقتلها تركها حتى إذا بلغت السادسة من عمرها قال لأمها : طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها ، وقد حفر لها بئراً في الصحراء ثم يدفعها فيها ويهيل عليها التراب[2] .

فهذا العمل الشنيع على اختلاف أنواعه أبطلته الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة .

قال تعالى : ﴿ **وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت** ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ **وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون** ﴾ [الأنعام : ١٣٧] .

﴿ **قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم** ﴾ [الأنعام : ١٤٠] .

هكذا تشجب هذه الآيات الكريمة العادات القبيحة ، والأعمال الوحشية ، التي لا تنم عن رحمة ولا تتناسب مع أبسط قواعد الفطرة ، حتى أن الحيوانات لا تفعل هذا بصغارها ، ولكنها كبرياء الجاهلية وأوضارها .

---

(١) انظر تاريخ الطبري : ٨٤/١٤ .
(٢) الكشاف للزمخشري : ٥٢٦/٢ .
(٣) سورة التكوير : ٨ ، ٩ .

هل كان الوأد عاماً عند العرب ؟

ذهب بعضهم إلى أن الوأد كان عاماً في القبائل كلها ، ونقل الميداني عن الهيثم بن عدي أنه كان في قبائل العرب قاطبة يستعمله واحد ، ويتركه عشرة ، فجاء الإسلام وقد قل إلا في تميم ، فإنه تزايد فيهم قبل الإسلام[1] .

وذهب الباقون إلى أنه كان في بعض قبائل العرب ولم يكن في جميعها ، وذكروا هذه القبائل وهي : تميم وقيس وأسد وهذيل ، وبكر بن وائل .

وممن لم يئدوا : أهل اليمن وحضرموت وعكّ وعجيب وإياد بن نزار[2] .

وكانت الأمم الأخرى تفعل مثل ذلك في جاهلياتها القديمة . فقد كانت المرأة في أثينا خاضعة للزوج ، حتى أنه إذا شاء انتزع من الأم ابنتها وتركها في الجبل أو في الطريق في جرة من الفخار تبكي بكاء يفتت الأكباد إلى أن تلفظ أنفاسها ، ولا تستطيع الأم أن تعارضه أو تنطق بكلمة .

وكان الفينيقيون في عبادة (عشتر وهي الزهرة) يستبيحون النساء عامة ، وفي عبادة (مولوخ) يضحون بالأولاد إحراقاً في النار الملتهبة ، وكان الأب الإسرائيلي يملك أن يقتل أبناءه سواء أكانوا كباراً أم صغاراً ، وكان أهل أسبرطة يقتلون المشوهين والمرضى والضعاف من الأولاد عقب ولادتهم .

وقريباً من هذا النظام ما كان سائداً في أثينا وروما، وقد أيد ذلك فلاسفة اليونان وفي مقدمتهم أفلاطون وأرسطو[3] .

هذه هي الجاهليات كلها لا تخضع إلى شريعة، ولا إلى صفاء الفطرة وسوائها ، ولذلك فهي تحكم الأهواء والنزوات وشريعة الغاب إذ يأكل القوي الضعيف .

---

(١) مجمع الأمثال : ٣٨٩/١ ، وبلوغ الأرب : ٤٢/٣ .
(٢) الكامل للمبرد : ١٨٨/١ ، والمحبر لابن حبيب : ١٨١،٨٩ .
(٣) الحوفي المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٠١-٣٠٤ عن تاريخ العالم، عدد ٧، مجلد ١ ص ٣٩٩

إلى أن جاءت الشرائع السماوية فأنصفت المرأة عموماً حتى حُرفت كتبها ، فجاء الإسلام ليعم البشرية بنوره وعدله وإنصافه ، وهذا ما سنراه في الصفحات القادمة عدلاً ورحمة بالبنات الصغيرات ، وبالنساء عموماً « فهن شقائق الرجال » وأن الإحسان إلى تربية الجواري الصغيرات سبب من أسباب دخول الجنة .

٣ – الإسلام يرفع من مكانة البنات :

لم يكتف الإسلام بأن حرم قتل الأولاد : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم** ﴾ [النساء : ١٥١] .

« وإنما وضع النظام الصالح لإيجاد جيل من الفتيات يبنين المجتمع ولا يهدمنه ، يؤسّسْنَ الأسرة ولا يهربن منها ، وينشرن الخير والحب ولا يتمادين في الشر والبغض »[(١)] .

دعا إلى الرحمة بهن والبعد عن الغلظة « لأن القسوة لا تربي في الفتاة حصانة ولا تزينها بفضيلة ... وهبك ضربت فتاتك في البيت أو أكرهتها على العبادة ... فمن الذي يضمن لك أن لا تنحرف حين تخرج ... إن كانت في المدرسة أو كانت في السوق أو في الشارع »[(١)] فالعطف والحنان مع القناعة ، والتربية والمتابعة ، كل ذلك هو الذي يوصلنا إلى التربية المستقيمة الجادة ... أما القسوة والظلم والنظرة الخاطئة في التربية ، والتفريق بين البنين والبنات فليس من هدي هذا الدين ، وليس من الحق في شيء .

إن إعالة البنت وإحسان تربيتها ستر لعائلها من النار كما جاء في الحديث الشريف : « ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، فيحسن إليهن إلا كن له ستراً من النار »[(٢)] .

وإن الرحمة بالبنات من تعاليم هذا الدين ، وفيها العتق من النار .

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية : د. مصطفى السباعي رحمه الله ص ١٣٢ ، ١٣٧ .

(٢) صحيح رواه البخاري في الأدب ، ومسلم في البر وأحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها . صحيح الجامع الصغير : ٩٤٨/٢ .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها ، فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها ، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله قد أوجب لها بها الجنة ، أو أعتقها بها من النار »[1] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو وضمَّ أصابعه »[2] .

والواقع المرير مليء بالأخطاء التي لا يقرها الإسلام : « فهناك من يرى أن المرأة ليست جديرة بالتقدير والاحترام ، وهناك من يكلفها فوق طاقتها ولا يرحم ضعفها ، وهناك الآباء القساة والأزواج الجهلة الذين يضربون بناتهم وزوجاتهم ضرب غرائب الإبل ... إن هذا مرض من أمراض كثيرة تحيط بالأمة الإسلامية في رجالها ونسائها وأطفالها ... ولابد من تقويم المعوج وإصلاح الفاسد ، وتسديد المتجه إلى الحق .. ولا نريد علاج الخطأ بخطأ آخر ... ورحم الله الإمام مالكاً حيث يقول : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها[3] .

وإن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم العطرة مع بناته وحفيداته لخير قدوة للمسلمين على مدار التاريخ «ولكم في رسول الله أسوة حسنة». فقد حمل عليه الصلاة والسلام أمامة ابنة زينب بنت رسول الله وهو يصلي .

عن أبي قتادة الأنصاري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ، ولأبي العاص بن ربيعة ، فإذا

---

(١) رواه مسلم : ينظر صحيح مسلم مع الشرح : ١٧٩/١٦ .
(٢) رواه مسلم : المصدر السابق : ١٨٠/١٦ .
(٣) المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم الدكتور عمر سليمان الأشقر ص ٣٩ .

سجد وضعها وإذا قام حملها »[1] .

جاء في الفتح : قال الفاكهاني : وكأن السر في حمله « أمامة » في الصلاة دفعاً لما كانت العرب تألفه من كراهة البنات وحملهن فخالفهم في ذلك حتى في الصلاة للمبالغة في ردعهم ، والبيان بالفعل قد يكون أقوى من القول[1] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : جاءت فاطمة تمشي ما تخطي مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام إليها وقال : « مرحباً بابنتي »[2] .

لم يكتف رسول الله بحسن الاستقبال لابنته ، وكريم اللقاء والترحيب ، وإنما قال أيضاً[3] : « فاطمة بضعة مني ، يقبضني ما يقبضها ، ويبسطني ما يبسطها » .

أين من هذه المشاعر الشفافة أولئك القساة الذين يظنون أن العبوس والتجهم من علامات إثبات الرجولة والقوامة مع الأبناء والبنات ؟!.

وإن احترام مشاعر البنات بالحق مما يدعو إليه الإسلام . جاء في الحديث : « خطب علي ابنة أبي جهل ، فلما سمعت فاطمة أتت فقالت : إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد فقال : أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني ، وإن فاطمة بضعة مني ، وأنا أكره أن يفتنوها ، وإنها والله لا تجتمع ابنة رسول الله ، وابنة عدو الله عند رجل واحد »[4] .

نعم لا يجوز أن تجتمع ابنة عدو الله مع ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكلما نقبنا في سيرة سلف هذه الأمة ، سيرة الصحابة خاصة ، طالعتنا

---

(١) رواه البخاري ، وانظر فتح الباري : ٧٠٥/١ .

(٢) قطعة من حديث متفق عليه ، وانظر سير أعلام النبلاء : ١٢٠/٢ .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٦٥٠/٤ .

(٤) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ومسلم في فضائل الصحابة ، أعلام النبلاء ١٣٣/٢ .

العبر والأسس الراسخة لقيام مجتمعات الحب والمودة والتكافل .. فها هم ثلاثة من أصحاب رسول الله يختصمون علام ؟ على أيهم يكفل ابنة حمزة رضي الله عنها .

عن البراء بن عازب قال : صالح النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على ثلاثة أشياء : على أن من أتاه من المشركين رده إليهم ، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه ، وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة أيام ، فلما دخلها ومضى الأجل خرج ، فتبعته ابنة حمزة تنادي : ياعمّ ! ياعمّ ! فتناولها علي فأخذ بيدها ، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي : أنا أخذتها وهي بنت عمي ، وقال جعفر : بنت عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد : بنت أخي ، فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها ، وقال : « الخالة بمنزلة الأم » ، وقال لعلي : « أنت مني وأنا منك » . وقال لجعفر : « أشبهتَ خَلْقي وخُلُقي » وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا »[1] .

هذه مكانة البنت في الإسلام، كلٌّ يريد أن يكفلها ويرعاها وفاء لوالدها الشهيد ، وبراً له بصيانة ابنته ، وأعجب من ذلك أدب النبوة في فض الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم . حيث خاطب عليه الصلاة والسلام كلاً بما يسره ويطيب خاطره .

هذه العلاقة بين البنت وأبيها أصبحت تبنى على أساس الإسلام .. حيث طغت العقيدة السماوية على كل علاقة « لما قدم أبو سفيان المدينة ، والنبي صلى الله عليه وسلم يريد غزو مكة ، فكلمه في أن يزيد في الهدنة فلم يُقبل عليه . فقام فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم طوته دونه . فقال : يا بنية أرغبتِ بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله وأنت امرؤ نجس مشرك . فقال : يا بنية لقد أصابك بعدي شر »[2] .

---

(١) متفق عليه : مشكاة المصابيح ، ٢/ رقم : ١٠٠٧ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٩٩/٨ - ١٠٠ ، وأعلام النبلاء : ٢٢٣/٢ ، وكذا الإصابة ٣٠٠/٤ .

هكذا تكون العلاقة في الإسلام ، وهكذا يكون الولاء والبراء .

ومن هنا كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما من القلائل الذين عرفوا أمر هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبيها الصديق رضي الله عنه . فهي أهل لحفظ السر ، فتكتم خبر الهجرة وتتحمل من أجل ذلك الأذى[1] .

وما كانت الفتاة تعيش على هامش الدعوة .. بل اهتم المسلمون بتربيتها وتعليمها أمور دينها وما ينفعها في دنياها ...

فهي أم المستقبل ، اللبنة القوية في بناء المجتمعات الإسلامية ، والمدرسة الحصينة ضد موجات التغريب والتحلل .

يقول حافظ إبراهيم في أبياته الشهيرة :

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا   بالري أورق أيما إيراق

ويقول شوقي منددأ بجهالة الأمهات :

وإذا النساء نشأن في أمية   رضع الرجال جهالة وخمولا[2]

أما في الجاهلية المعاصرة ، وخاصة في ديار الغرب فسوف نرى مهانة البنت التي تلزم بالخروج من منزل والديها ؛ لتعول نفسها بمجرد أن تصبح قادرة على الكسب وهي في ريعان شبابها في السادسة عشرة أو الثامنة عشرة، وإن بقيت فعليها أن تدفع ثمن الكساء والمسكن والطعام[3] .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ١/ ٣٨٧ .
(٢) سنزيد الموضوع تفصيلاً في الباب الثاني : المرأة والتعليم .
(٣) انظر الباب الثالث : فصل مأساة المرأة في الجاهلية المعاصرة .

الفصل الثالث

الزوجة في الجاهلية والإسلام

المبحث الأول : الزوجة في العصر الجاهلي

١ – مقاصد العرب من الزواج .
٢ – الزوجة المثلى عند العرب .
٣ – الكفاءة في الزواج .
٤ – عادات الزواج وتقاليده .
حرية المرأة في اختيار زوجها .
الخطبة .
المهر والصداق .
٥ – مكانة الزوجة .
٦ – أنكحة الجاهلية .

المبحث الثاني : الزوجة في ظلال الإسلام

١ – نظرة الإسلام للزواج : صفات الزوجة المثلى .
٢ – الكفاءة في الزواج .
٣ – هدي الإسلام في عادات الزواج وتقاليده .
٤ – حقوق الزوجة وواجباتها في الإسلام .
٥ – أنكحة محرمة في الإسلام .

المبحث الأول
الزوجة في العصر الجاهلي

١ - مقاصد العرب من الزواج :

كان من مقاصد العرب في الزواج **التناسل والتوالد** ، فقد كانت العرب ترغب في النكاح طلباً للولد ، ولذلك كانوا يلتمسون حداثة السن والبكارة لأنها أدعى للإنجاب .

وكان العرب أحياناً يختارون **إنكاح البعداء الغرباء** ، ويرون أن ذلك أنجب للولد وأبهى للخلقة ، ويجتنبون الزواج من الأهل والأقارب ؛ لأنهم يرون ذلك بعيداً عن نجابة الأبناء .

ولذلك يقول الشاعر :

تجاوزتُ بنت العم وهي حبيبة　　　مخافة أن يضوي علّي سليلي

ومن هنا يتبين أن العرب كانت غاية مقاصدهم من الزواج التناسل والأولاد .. ولذلك تتبعوا الأسباب الباعثة على نجابة ذراريهم[١] .

كان العرب يؤثرون الاغتراب لأنه أنجب ، فولد الرجل من قرابته قد يأتي ضاوياً نحيفاً ، إذ جاء في المثل عندهم : النزائع لا الأقارب[٢] .

وقال الشاعر :

هو ابن غريبات النساء وإنما　　　ذوو الشأن أبناء النساء الغرائب[٣]

---

(١) بلوغ الأرب : ٢/٩ - ١٣ بإيجاز .
(٢) النزيعة : الغريبة .
(٣) مجمع الأمثال : ٢٧٠/١ .

ولقد أثبت العلم الحديث صدق نظرة العرب هذه حيث أن الضعف الموروث في الأسرة يتفاقم مع الزمن جسدياً وعقلياً ونفسياً .

إلا أن بعضهم كان يؤثر بنات العم ، لأنهن أصبر على ريب الزمان ، ونَبْوة الخلق ، ومن هؤلاء بنو عبس[١] .

روي أن رجلاً قال : « بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رؤوس الأبطال كابن أعجمية » .

ولعل هذا ما يدفع بعضهم للزواج من أمم أخرى كالحبشة أو من الروميات وغيرهن .

ولما كانت المصاهرة عندهم لحمة قوية بين الأفراد والعشائر إذ تطفيء نار العداوة والشحناء ، لأنها صلة جديدة من شأنها أن تمزج المتصاهرين بهذه الرابطة .

لذا كان العرب ما يزالون **يجتذبون البعداء ويتألفون الأعداء بالمصاهرة** حتى يرجع المنافر مؤانساً ويصير العدو موالياً ، وكان ذلك من مقاصدهم المعروفة في الزواج[٢] . وهكذا كان للعرب مقاصد واضحة من الزواج ، تتجلى في طريقة اختيار الزوجة ، وحسن هذا الاختيار .

٢ - الزوجة المثلى عند العرب[٣] :

كان العربي يهتم بصفات من سيختارها شريكة لحياته ومربية لأولاده ، وكان للزوجة المثلى عند العرب صفات ومزايا .

قد يرجع بعضها إلى **الحسب والشرف** ، والحسب عند العربي يتركز على مجد قومها والاشتهار بمكارم الأخلاق وحسن الأحدوثة ، سواء اقترن بذلك الثراء أم لم يقترن ، والزوجة المفضلة عند سيد بني عبس مثلاً (قيس بن زهير) ، أن

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤ - ٣ ، ١٩٧/١ .

(٢) انظر بلوغ الأرب : الآلوسي ٦/٢ ، ٧ ، والمرأة في الشعر الجاهلي ص ١٢٧ .

(٣) انظر المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ١٥٠ - ١٦٧ .

تكون ممن أذلها الفقر وأدبها الغنى . وكان العربي يعتبر أن الزوجة نبعة في قومها ، تثمر مثل ثمرهم وتتخلق بأخلاقهم ، وأبناؤها صورة منها . قال أبو الأسود الدؤلي لبنيه : قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً ، وقبل أن تولدوا . قالوا : وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟! قال : اخترت لكم من الأمهات من لا تسبّون بها . وأنشد للرياشي قوله :

فأول إحساني إليكم تخيري لماجدة العراق بادٍ عفافها[1]

وبعض الصفات المفضلة قد يرجع إلى **أوصافها الجسدية والنفسية** : كأن تكون شابة حسنة الخلق ، جميلة الوجه ، حسنة القد .. مع امتداد القامة وطول العنق ، في اعتدال .. ومن أخلاقها المحبوبة : أن تكون حيية ، منخفضة الصوت محبة لزوجها ، نفوراً من الريبة ولوداً ، عاملة اليدين ..

يقول أحد أبناء مقاول اليمن (واسمه عمرو) لما سأله أبوه عن أحب النساء إليه قال : هي التي إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرتْ ، الفاترة الطرف ..

وقال أخوه ربيعة : هي الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام ..

على أن العرب كانوا يكرهون الجمال البارع ، لما يحدث عنه من شدة الإدلال ، وقد قالوا : من بسطه الإدلال قبضه الإذلال ، وقد يكون لما يخاف من محنة الرغبة، وبلوى المنازعة ، أو لما يخافه اللبيب من شدة الصبوة ويتوقاه الحازم من سوء عواقب الفتنة[2] .

وفي الشعر الجاهلي شواهد كثيرة لأوصاف النساء المحمودة .

فقد آثروا الشابة البكرَ : فهي أسلس انقياداً وأكثر إنجاباً ، لذلك أوصى

---

(١) بلوغ الأرب : الآلوسي : ٢/ ٢١ .
(٢) بلوغ الأرب : ٢/ ١٣ - ١٨ .

الشعراء بتجنب العجوز والأيم ، كقول أحدهم متظرفاً :

لا تنكحن عجوزاً إنْ أُتيتَ بها ... واخلع ثيابك عنها ممعناً هربا
وإنْ أتوك فقالوا إنها نصَف ... فإن أمثل نصفيها الذي ذهبا

ولذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم على جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما أخبره أنه تزوج ثيباً : « هلاّ جارية تلاعبها وتلاعبك »[1] .

وهم يحبون المرأة الولود لأنهم يعتزون بالأولاد ويتكاثرون بهم لأن حياتهم القبلية تعتمد على العصبية والنصرة في الحروب .

يقول عمرو بن كلثوم مفتخراً بكثرة العدد :

ملأنا البر حتى ضاق عنا ... وظهر البحر نملؤه سفينـــا

ومن كمال الزوجة ، أن تكون أديبة فصيحة ، لتبشر أن ابنها سيكون كذلك ، فقد طلق أبو رمادة امرأته لما وجدها لثغاء مخافة أن تلد له ألثغ رغم جمالها وثيابها الموشاة . قال :

لثغاء فتـأتي بحيَـفْسٍ ألثـغ ... تميس في المَوْشِيِ والمصبّـغ[2]

صفات مذمومة :

كما أن العرب تحاموا الحمقاء ، لأنها قد تلد الحمقى ، جاء في وصية أكثم ابن صيفي : « إياكم ونكاح الحمقاء ، فإن نكاحها غرر ، وولدها إلى ضياع »[3] .

وتحاموا ضرباً من النساء يخدع مظهره ويسوء مخبره .

قال أكثم بن صيفي : « لا يغلبنكم جمال النساء على صراحة النسب فإن

---

(١) متفق على صحته . ينظر شرح السنة جـ ٩ / ١٥ .
(٢) البيان والتبيين : الجزء الأول .
(٣) جمهرة الأمثال .

المناكح الكريمة مدرجة الشرف » .

وكانوا يكرهون المرأة المتمارضة ، والغنية التي تمن بمالها ، ويمقتون غير المتصونة ، قال رجل لولده : « يا بني لا تتخذها حنانة ولا أنّانة ، ولا منانة ، ولا عشبة الدار ، ولاكية القفا »[1] .

فالثيب تحن لزوجها الأول ، أو لولدها من غيره ، وينهاه عن التي تئن من غير علة ، وعن ذات المال التي تمن على زوجها به ، وينهاه عن الحسناء في بيئة فاسدة ، وينهاه أخيراً عن المرأة التي تتناولها الألسنة ، فإذا قام زوجها من المجلس قالوا : فعلت كذا وكذا ، وكان بينها وبين فلان كذا .

على أن الثيب ربما اشتهرت بعراقة النسب أو الجمال أو الخلق الكريم مع المال الوفير ، فتتزوج مرات ، وهم يضربون المثل بأم خارجة ، كانت قد تزوجت في عدة أحياء من العرب .

وقد ذكر ابن حبيب في المحبر : أسماء المردفات من العرب وقد بلغن في الجاهلية ما ينوف عن ثمان وعشرين مردفة ، وكذلك في الإسلام أردفت كثيرات من كرائم النساء[2] .

ومن جملة أسئلة القيل الحميري ولديه أنه قال : وأي النساء أبغض إليك يا عمرو ؟ قال : القتاتة الكذوب الظاهرة العيوب ، الطوافة الهبوب ، العابسة القطوب ، التي إن ائتمنها زوجها خانته ، وإنْ لان لها أهانته ، وإن أرضاها أغضبته ، وإن أطاعها عصته[3] .

ثم قال ما تقول ياربيعة ؟ قال : السليطة اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، إن عاتبها زوجها وترته « أي أدركته بمكروه »

---

(١) الأمالي : ٢/٢٥٦ ، وبلوغ الأرب : ٢/٢٢ .
(٢) المرأة في الشعر الجاهلي : ص ١٥٩ .
(٣) القتاتة : النمامة ، الهبوب : كثيرة الانتباه .

وإن ناطقها انتهرته[1] .

٣ - الكفاءة في الزواج عند العرب[2] :

لقد تحرى العرب اختيار الزوج الكفء لبناتهم ، وكانت الفتاة وآلها يهشون للخاطب الكفء ويلبون خطبته ولا يردونه ، وبذلك أوصى قيس بن زهير النمر ابن قاسط بعد أن تزوج منهم وجاورهم بقوله : « لا تردوا الأكفاء عن النساء فتخرجونهن إلى البلاء ، فإن لم تجدوا الأكفاء فخير أزواجهن القبور »[3] .

والشروط التي راعاها العرب في الخاطب تدور كلها حول الكفاءة لهذه المصاهرة .

فالزوج **الشاب أثير مستحب** ؛ لأنه أقرب إلى الزوجة سناً ، وأشبه بها خلقاً وميلاً ، ولذلك رفضت الخنساء أن تتزوج بدريد بن الصمة لما خطبها لأنه هرم .

ومن طريف ما يروى أن الحارث بن سليل الأسدي لما خطب إلى علقمة ابن خصفة الطائي، وكان الحارث شيخاً أشار الطائي لأم الفتاة لتقنعها، وحملتها على ذلك وهي كارهة وتزوجت الحارث .

وبينما كان ذات يوم جالساً وهي إلى جانبه ، أقبل شباب من بني أسد .. فتنفست الصعداء ثم بكت . فقال لها : ما يبكيك ؟! قالت : ما لي وللشيوخ الناهضين كالفُروخ ، فقال لها : أما وأبيك لرب غارة شهدتها ، وسبية أردفتها ، وخمرة شربتها ، فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك . وقال :

تهزأت بي أنْ رأتني لابساً كِبَراً ... وغاية الناس بين الموت والكبر
فإنْ بقيتِ لقيتِ الشيب راغمة ... وفي التعرف ما يمضي من العبر

---

(١) انظر بلوغ الأرب : ٢٢/٢ - ٤٤ .
(٢) انظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الألوسي ٢٦/٢ وما بعدها .
(٣) العقد الفريد : ٣١١/٣ .

عني إليك فإني لا يوافقني عور الكلام ولا شرب على الكدر[1]

كان الشيخ عزيز النفس لا يريد أن يصاحب من لا ترغب فيه .

وأن يكون الزوج **حسن العشرة رفيقاً رقيقاً** . ولذلك فإنّ أم أبان بنت عتبة بن ربيعة لما خطبها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بعد مقتل زوجها ، وكانت قد رفضت غيره . وبعد أن سئلت عنه قالت : إني عارفة بخلائقه ، إنْ دخل ضاحكاً ، وإن خرج بساماً ، إنْ سألْتُ أعطى ، وإن سكتُ ابتدأ ، وإن عملت شكر ، وإن أذنبت غفر[2] .

ومن الصفات المفضلة أن يكون الزوج متحلياً **بالفضائل التي تعارف عليها العرب** ، كالشجاعة والكرم ، ولذلك كان الرجال يفتخرون بشجاعتهم أمام المرأة ويطلبون منها أن تسقيهم الخمر جزاء وتقديراً .

يقول المرقِّش الأكبر[3] :

يا ذات أجوارنا قومي فحيينا وإنْ سقيت كرام الناس فاسقينا
وإنْ دعوتِ إلى جُلّى ومكرمة يوماً سراةَ خيار الناس فادعينا

وقد تفضل الفتاة **ابن العم وفتى العشيرة** إيثاراً لقربها من ذويها ، ورغبة أن تقيم بوطنها . قالت بنت أوس بن حارثة الطائي لأبيها عندما استشارها في أن يزوجها للحارث بن عوف وهو سيد قومه : لست بابنة عمه فيرعى رحمي ، وليس بجارك فيستحي منك[4] .

ونصحت أختٌ أختها ألا تقبل غريباً زوجاً لها وقالت لها : إن شر الغريبة يُعلن ، وخيرها يُدفن ، تزوجي في قومك ولا تغررك الأجسام[5] .

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة : ٤٨/٤ ، طبعة دار الكتب .
(٢) أعلام النساء : ١٢/١ ، عمر رضا كحالة ، المطبعة الهاشمية بدمشق .
(٣) المفضليات : رقم : ١٢٨ ، ص ٤٣١ .
(٤) الأغاني : ١٤٢/٩ .
(٥) مجمع الأمثال للميداني : ١٨٩/١ .

ويقدّم ابن العم عادة على غيره في الزواج ، فإذا جاء رجل يريد خطبة ابنة رجل ، سئُل ابن عمها إن كان لها ابن عم عن رأيه ، فإن كانت له فيها رغبة قدم على غيره ، وإلا زوجت من غيره ..

وقد يأبى ابن العم ويصر على أن تكون له ، ولكنه يأبى أن يحدد موعداً للزواج منها .. وقد تأبى ابنة العم الزواج من ابن عمها ، ويأبى هو إلا الزواج منها ، فتنشأ بسبب ذلك منازعات وخصومات قد تصل إلى إراقة الدم .

ويقدم العرب البيت على الجمال ، فللبيت الشريف أثر في أخلاق المرأة ، وفي نجابة الأولاد ، وهو أثر دائم والجمال صورة زائلة[1] .

وكانوا يراعون أن يكون الزوج عربياً ، لأن العرب كانوا ذوي حمية وأنفة واعتداد بالنفس والجنس إلى حد الغلو ، يرون أنهم أرق الأمم وأصفاها ، فليس من شعب بكفء لأن يصهر إليهم .

وتشددوا في ذلك حتى لو كان الخاطب ملكاً ، ومن أمثلة ذلك ما حصل للنعمان بن المنذر حيث رفض أن يزوج كسرى بن هرمز ابنته ، وكان من نتائج هذا أن قتل كسرى النعمان .

ومعلوم أن الإسلام قضى على هذه النزعة وأحل محلها الكفاءة في الدين:[1] « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » .

والعرب ترفعوا عن تزويج العبد، والحر المنحدر من عبد .. وقصصهم في هذا الشأن كثيرة متداولة . ولابد أن يكون الزوج كفئاً للزوجة وقومها في عراقة النسب وأن يكون الخاطب مساوياً لها في الشرف، وكانوا يرفضون من يهبط نسبه ويضئل شرفه .. ويبقى العربي معتزاً بشرفه الموروث مهما تنزل به من نكبات تفقده ماله أو جاهه .

وعندما نفر المهلهل من قومه بعد حرب البسوس ، ونزل في حي من أحياء

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ، ٦٣٨/٤ – ٦٤٠ .

اليمن ، حي من مذحج ، وكانوا قد خطبوا إليه ابنته قال : إني طريد فيكم ومتى زوجتكم قالوا : اقتسروه ، وهو يريد أن يتنصل ، ولكنهم أجبروه على تزويجها ، وساقوا إليه صداقها أدَماً فقال[1] :

أعززْ على تغلب بما لقيت — أخت بني الأكرمين من جُشَم
أنكحها فقدها الأراقم — في جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانَين جاء يخطبها — ضُرِج ما أنف خاطب بدم
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا — يغنون عن عيلة ولا عُدُم

فالتكافؤ في الشرف والحسب أمر مهم عند العرب ، إذ أن الأشراف لا يتزوجون إلا من طبقة مكافئة لهم ، والسواد لا يتجاسرون على خطبة ابنه سيد قبيلة أو ابنة أحد الوجهاء ، ويعير السيد الشريف إن تزوج بنتاً من سواد الناس ، ولاسيما إن كانت ابنة صائغ أو نجار ، أو ابنة رجل يشتغل بحرفة من الحرف اليدوية ، لأنها من حرف العبيد ، وقد عير النعمان بن المنذر بأمه ، لأنها كانت ابنة يهودي صائغ على ما يزعمه أهل الأخبار ..

وما كان من المستساغ عرفاً تزويج ابنة رجل حر من عبد مملوك أو مفكوك الرقبة .. ولم يكن تزويج البنت الحرة من ابن عبد أو من حفيد عبد وهكذا .. لأن سمة العبودية والضعة تلازم الأسر ، وإن تحررت وحسن حالها وصارت غنية .

حتى جاء الإسلام فغير هذه النظرة مما سنعرفه في البحوث القادمة .

وقد انفرد الحمس ومن دان بدينهم من خزاعة وكنانة وثقيف وعامر بن صعصعة وكانت لهم مناسك خاصة بالحج ، باشتراطهم في الخاطب أن يكون على دينهم .

وقد اشترط الإسلام أن تكون الزوجة مسلمة أو كتابية ، ولا يصح زواج

---

(١) الشعر والشعراء: ٢٩٩/١ .

أبانين : جبل في ديار تغلب ، ضرج أنفه بالدم : قرع أنفه ووجهه بالعصا كما يقرع الفحل الهجين إذا تعرض لناقة كريمة ، وبنو جنب : حي من اليمن .

المسلمة بغير المسلم كما سيأتي .

٤ - عادات الزواج وتقاليده :

هنالك تقاليد كانت مرعية في الزواج عند العرب في الخطبة والصداق ، أو في اختيار الزوجة ، نوجزها في هذه الفقرة .

حرية المرأة في اختيار زوجها :

إذ كان للمرأة العربية الحرية في اختيار شريك حياتها ، وما كانت تقْسَر على زوج لا ترتضيه ولم يكن للآباء ما كان لهم عند اليونان من سلطة مطلقة على البنت ولم يكن للعرب أن يبيعوا بناتهم أو يزوجوهن بغير علمهن كما كان يفعل اليهود[1] .

وللحرية العربية مظاهر نلمسها من أنها كانت تختار زوجها وتزوج نفسها أحياناً ، فعلت ذلك ماويّة بنت عفزر من بنات ملوك اليمن ، إذ وازنت بين خاطبيها الثلاثة واختارت من بينهم حاتم الطائي[2] .

وكذلك فعلت الرباب من بني ذهل ، فقد خطبها خداش بن حابس التيمي ورده أبوها لفقره ، ثم أقبل ذات ليلة راكباً وانتهى إلى محلتهم وهو يتغنى بقوله[3] :

ألا ليت شعري يارباب متى أرى	لنا منك نجحاً أو شفاء فأشتفي
لحى الله من تسمو إلى المال نفسه	إذا كان ذا فضل به ليس يكتفي
فينكح ذا مال دميماً ملوّماً	ويترك حراً مثله ليس يصطفي

فعرفت الرباب منطقه وجعلت تتسمع إليه ، وأرسلت إليه ليخطبها ، وكانت قد راجعت بذلك أمها ووالدها وتزوجت به .

---

(١) المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ١٨٣ .
(٢) الشعر والشعراء : ١/٢٤٤ .
(٣) مجمع الأمثال : ١/٤٤٠ .

وكثيراً ما كانت الفتاة تستشار في زواجها ، فقد استشار الخنساء أبوها حين خطبها دريد بن الصمة وقال له : « لها في نفسها ما ليس لغيرها » ، إلا أنها رفضته مؤثرة بني عمها ، ولما أراد أخوها معاوية أن يكرهها - وكان صديقا لدريد - قالت :

لئن لم أؤت من نفسي نصيباً لقد أودى الزمان إذاً بصخر
أتكرهني هبلتُ على دريـد وقد أحرمتُ سيد آل بدر[1]

ويبدو أن هذه الحرية كانت مقصورة على بنات الأشراف في العرب .

الخطبـة :

من عادات العرب في الخطبة أنهم كانوا يخطبون المرأة إلى أبيها أو أخيها أو عمها ، وكان الخاطب يقول إذا أتاهم : أنعموا صباحاً ، ثم يقول أيضاً : نحن أكفاؤكم ونظراؤكم ، فإن زوجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتمونا وكنا لصهركم حامدين ، وإن رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين .

وإن كان الخاطب قريب القرابة من القوم قال له أبوها أو أخوها إذا حملت إليه : أيسرت وأذكرت ، ولا أنثت جعل الله منك عدداً وعزاً ، أحسني خلقك وأكرمي زوجك وليكن طيبك الماء ..

وإذا زوجت غريبة قال لها وليها : لا أيسرت ولا أذكرت، فإنك تدنين البعداء ، أو تلدين الأعداء ، أحسني خلقك وتحببي إلى أحمائك ... وكانت قريش وكثير من قبائل العرب على هذا المذهب في النكاح[2] .

ووصف بعض أهل الأخبار طريقة أخرى من طرق الخطبة عند بعض أهل الجاهلية . إذ كان الرجل في الجاهلية يأتي الحي خاطباً ويقوم في ناديهم ويقول : خِطْب . أي جئت خاطباً ، فيقال له بعد الموافقة : نِكح . أي قد أنكحناك إياها .

---

(١) ديوان الخنساء : ص ٨٠ أحرمت : منعت .
(٢) بلوغ الأرب : ٣/٢ .

وكلمة نكح كانت العرب تتزوج بها[1] .

ومن طرائف عادات الجاهليين ، ومذاهبهم في هذا الأمر ، أن المرأة كانت إذا عسر عليها خاطب النكاح ، نشرت جانباً من شعرها ، وكحلت إحدى عينيها ، وحجلت على إحدى رجليها ، ويكون ذلك ليلاً ، وتقول : يانكح أبغي النكاح قبل الصباح . فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب[2] .

ويرتدي أهل الخاطب والمخطوبة خير ما عندهم من الملابس، وإذا تمت الخطبة ضمخ والد الخطيبة بالعبير وخُلّق بالطيب ونُحر بعير أو أكثر على حسب منزلة أهل البنت[3] .

وقد نحرت الذبائح وخطب خطباء آل الزوجين عندما خطب أبو طالب السيدة خديجة لابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد عدد أبو طالب مناقب قريش ، ونوه بمناقب ابن أخيه ثم رد عليه عمها عمرو بن أسد ، معدداً مناقب قريش ومفاخر بيت عبد المطلب ، ثم نحروا جزوراً ، أو جزورين وأطعموا الناس[4] .

المهر والصداق :

المهر في الأصل : العوض الذي يدفع لأهل المرأة ، أما الصداق : فهو العوض الذي يدفعه الرجل للزوجة[5]، ولكن هذه التفرقة توارت في الإسلام، فالمهر والصداق معاً ، ما يستحق به الحرائر من النساء .

وكان العرب يقولون للرجل إذا ولدت له بنت : « هنيئاً لك النافجة » أي المعظمة لمالك ، وذلك أنه يزوجها فيأخذ مهرها من الإبل ويضمها إلى إبله

---

(١) تاج العروس : ٢٣٧/١ (خطب) ، و٢٤٣/٢ (نكح) ، وجواد علي : ٦٤٥/٤ .
(٢) المرأة في عالمي العرب والإسلام : ص ١١ .
(٣) جواد علي : ٦٤٥/٤ .
(٤) السيرة النبوية لابن هشام : ١٩٠/١ ، وانظر شرح المواهب والروض .
(٥) المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ١٩٠ ، وانظر ص ١٩٢ – ١٩٤ .

فينفجها أي : يرفعها ويكثرها . وفي القاموس المحيط : « النافجة ، البنت لأنها تعظم مال أبيها بمهرها »[1] .

وكان المهر يقوّم إبلاً أو نقداً ، ويتفاوت مقداره باختلاف المقدرة والمكانة والثروة ، وقد يكون عيناً وقد بلغ مائة من الإبل أو خمسين ومئة في بعض الأحيان .. وكان يوزن بذهب أو فضة أحياناً[2] .

على أن بعضهم كان يقنع بحسب الخاطب ، ولا يتطلب منه مهراً .

ويعد المهر فريضة لازمة عند الجاهليين لصحة العقد، إذ هو علامة من علاماته ودلالة على شرعيته ، وإذا لم يكن هناك مهر عُدَّ سفاحاً ، والمهر يعتبر علامة شرف وكون المرأة حرة محصنة لها كامل الحقوق .

ولا يشترط المهر إذا كانت المرأة قد وقعت أسيرة عند الرجل إذ يتزوجها لأنها أسيرته فهي في ملكه ، وله حق الدخول بها بغير مهر ولو كانت في عصمة رجل آخر ، لأن الأسر يبطل عصمة الزواج عندهم ، وقد أشار الأعشى إلى ذلك بقوله[3] :

ومنكوحة غير ممهورة وأخرى يقال لهُ فادِها

أي يفتديها وليها ممن أسرها بمال ونحوه .

والأصل في المهر أن يدفع للمرأة ، غير أن ولي أمرها قد يأخذه لنفسه وهذا ما نهى عنه الإسلام .

ويظهر أن أهل الجاهلية لم يكونوا على عرف واحد بالنسبة إلى حق الانتفاع من المهر ، فمنهم من كان يعطيه كله للمرأة ، ومنهم من كان يزيد عليه إكراماً لابنته أو من ولي أمرها ، ومنهم من كان يأكله كله أو بعضاً منه[4] .

---

(١) لسان العرب (مادة نفج) : ٣٨٢/٢ ، والقاموس المحيط (نفج) .

(٢) جواد علي : ٥٣١/٥ .

(٣) ديوان الأعشى : ص ٦١/ ط ١٩٨٣م .

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٥٣٢/٥ .

٥ – مكانة الزوجة عند العرب :

نظر العربي إلى زوجته نظرة محبة ورعاية ، إذ أنها شريكة حياته ، بها تعلق وفيها تغزل بشعره، فزهير بن أبي سلمى يجعل مطلع معلقته بذكر زوجته أم أوفى إذ يقول :

أمِنْ أمّ أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدرّاج فالمتثلّم

وكانوا يلقبون الزوجة بألقاب التكريم ، فقد يناديها زوجها باسم ابنها إعزازاً لها ومسرة . يقول أوس بن حجر لزوجته :

ألم تعلمي أم الجُلاس بأننا ... كرام لدى وقع السيوف الصوارم

وقد يناديها باسمها مجرداً إشعاراً لها بالألفة .. أو يشيد بمفاخره ويذيع محامده أمام زوجته لتشهد له بهذه المفاخر كقول عنترة بن شداد[٢] :

يا عبل كم من غمرة باشرتها ... بمثقف صلب القوائم أسمر

وقد يفر الرجل وينحل لنفسه المعاذير ، ويختص زوجته بأعذاره لأنه يخجل أن تنعته بالجبن ، ومن ذلك ما حصل لحماس بن قيس عندما كان يحد حربته يوم فتح مكة ، ولما سألته زوجته ما تصنع بهذه ؟ قال : أعدها لمحمد وأصحابه . قالت : ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء . قال : والله لأرجو أن أخدمك بعضهم . ولما لقيهم خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم الخندمة ، فر الرجل وقال لامرأته : أغلقي بابي ، قالت له : أين ما كنت تقول ؟! فاعتذر لها بأن سادة قريش فروا وأن المسلمين غلابون ومما قاله :

إنك لو شهدت الخيل يوم الخندمهْ ... إذ فر صفوانُ وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤلمه ... ولحقتنا السيوف المسلمه

---

(١) حماسة البحتري : ص ٢٤٢ .

(٢) ديوان عنترة : ص ٥٦ .

يفلقْنَ كل ساعد وجمجمه   ضرباً فلا نسمع إلا غمغمهْ
لهم نهيتٌ خلفنا وهمهمه   لم تنطقي في اللوم أدنى كلمهْ[1]

وكان من سمات الرجولة عندهم أن يحسن الرجل عشرة زوجته ، ولم يكن الرجال جميعاً على نسق واحد في معاملة الزوجات وهذا أمر طبيعي كقول ذي الإصبع العدواني : إنه لا يفجع زوجته بشر يقول[2]:

ثم سلا جارتي وكنتها   هل كنت فيمن أراب أو فزعا
أو دعتاني فلم أجب ولقد   تأمن مني حليلتي الفجعا

إلا أن حسن المعاملة ما كان يدفع بالزوج إلى الخنوع أو أن يكون إمعة لا رأي له ، فالشَّنفرى يطلب من زوجته أن تطلقه إذا خالفته فيما أمرها به ، لأنها تصبح هي الزوج ولها حق التأديب[3] :

إذا ما جئتِ ما أنهاك عنه   ولم أنكر عليك فطلقيني
فأنت البعل يومئذ فقومي   بسوطك لا أبالك فاضربيني

أين منْ هذا الخلق ما انحدر إليه كثير من الأزواج هذه الأيام ممن أصبحت إشارة الزوجة تفرق بين الإخوة ، أو تثير كثيراً من أنواع الشجار والإحن بين الأصحاب والجيران .

وقد لا يجد العربي غَضَاضة في استشارة زوجته أو سماعه رأيها بما يعود عليهما بالخير ، وقد تكون المشورة إصلاحاً بين القبائل ، أو في زواج ابنتهما ، أو في حفز همة الزوج وتشجيعه على أمور الخير ..

---

(١) سيرة ابن هشام : ٢/٤٠٨ .
أبو حماس بن قيس هو أبو يريد ، المؤتمة : التي قُتل زوجها وبقي لها أولاد أيتام ، المُسْلمة : المسلمون ، نهيت : صياح الأسد .
(٢) الأغاني : ٣/٩٧ .
أراب : فعل ما يريب ، فزع : أفحش أو تسلل إلى غير زوجته ، الفجع : الأذى .
(٣) محاضرات الأدباء : ٢/١٢٧ نقلاً عن الحوفي (المرأة في الشعر الجاهلي) .

وكثيراً ما كان الرجل يغار على زوجته ، وكان العدوان على العرض يجر الحروب والويلات ، وقد افتخر العرب بالعفة ومدحوا بها ، وما زالت الغيرة عند العرب مضرب الأمثال ... ولهم في الغيرة أحاديث وقصص عجيبة [1] ...

مكانة الزوج عند زوجته[2] :

وتختلف هذه المكانة حسب الطبع ونوعية المرأة . إلا أنه كان للرجل مكانته العالية ويتجلى ذلك في حبها له ، إذ أنه حاميها وعائلها ، ووالد أبنائها ، وقد تسلك في تحببها إليه أن تتبعل له ، وتتذرع بجمالها وحسن خلقها ، فلا غرابة أن نجد الوصايا الجمة للعروس للاحتفاظ بقلب زوجها، ومن هذه الوصايا ما قالته أمامة بنت الحارث بن عمرو ملك كندة لابنتها ابنة عوف بن محكم الشيباني قبل أن تحمل الابنة إلى زوجها ، قالت أمامة فيما قالته : كوني له أمَة يكن لك عبداً وشيكاً ، يا بنية ، احملي عني عشر خصال يكن لك ذخراً وذكراً : الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينيه ، والتفقد لموضع أنفه .. والاحتفاظ ببيته وماله ، وأن ترعى نفسه وحشمه وعياله ، ولا تفشي له سراً ، ولا تعصي له أمراً .. وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً ، يكن أشد ما يكون لك إكراماً[3] .

هذا وربما ساقها حرصها على زوجها أن تلجأ إلى ضروب من الخرافة والوهم فتعلق الخرزات والتمائم ، ظناً منها أن ذلك يجذب الزوج ويعمر قلبه بحبها ، وكانت الخرزات في الجاهلية أنواعاً ولها أسماء معروفة : كالهَنَمة والعطفة والسّلوانة والدردبيس .. وقد أنشد الشعراء في هذه الخرزات ما يمكن الرجوع إليه في مظانه[4] .

---

(١) انظر كتابنا : أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام : الغيرة عند العرب .
(٢) انظر المرأة في الشعر الجاهلي ص ٢١٣ – ٢٣٣ ، وبلوغ الأرب : ٣٣٩/٢ .
(٣) مجمع الأمثال للميداني : ١٩٢/٢ ، العقد الفريد : ١٩١/٣ .
(٤) انظر لسان العرب في مواد هذه الكلمات وشواهد حولها .

وكانت تتخوف عليه من القتل ، رغم كلفها بالشجاعة والبطولة ، فتحاول أن تثنيه عن اقتحام الأهوال ليبقى إلى جانبها. ومن خير ما يصور ذلك قول عروة ابن الورد ، عندما أجدب هو وصعاليكه وأراد الغزو نهته زوجته فعصاها وخرج غازياً وأصاب إبلاً عاد بها على نفسه وأصحابه قال[1] :

أرى أم حسان الغداة تلومني	تخوفني الأعداء والنفسُ أخوفُ
تقول سليمى لو أقمت لسرّنا	ولم تدر أني للمقام أطوّف
لعل الذي خوفتنا من أمامنا	يصادفه في أهله المتُخلّـفُ

وكانت المرأة وفية لزوجها ما عاشت[2] :

فهي تذكره بالخير بعد وفاته إن تزوجت غيره ، ولو أدى ذلك إلى غيرة الزوج الجديد ، وقد تعاف الزواج بعده وتقضي حياتها أيّماً ، ومن طريف ما يرويه الأصمعي عن رجل من بني ضبة أنه عرض على فتاة تأيمت أن يتزوجها ، فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً ، وقالت :

كنا كغصنين من بان غذاؤهما	ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث صاحبها من جنب صاحبه	دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني إن خانني زمن	ألا يضاجع أنثى بعد موتاتي
وكنت عاهدته أيضاً فعاجله	ريْبُ المنون قريباً منذ سُنيات
فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه	عن الوفاء له خلب التحيات[3]

وقد تتفجع المرأة في الجاهلية على زوجها إذا ما توفي ؛ لأنه سندها وأملها ، وقلما صبرت على البلوى ، فتذهب تقص شعرها وتخمش وجهها وتلطم خدها وتدعو بدعوى الجاهلية ، وقد تصفق المهتاجة وجهها وصدرها بنعلين ، يدل على

---

(١) ديوان عروة : ص ٥١ .
(٢) المرأة في الشعر الجاهلي : ص ٢٢٤ – ٢٢٨ .
(٣) عيون الأخبار : ٣١/٤ .

ذلك قول الخنساء[1] :

ولكنـي رأيت الصبر خيراً   من النعلين والرأس الحليـق

وبما يصور هذا الجزع ما قالته فاطمة بنت الأحجم الخزاعية في رثاء زوجها الجراح[2] :

ياعين جودي عند كل صباح   جودي بأربعة على الجراح
قد كنت لي جبلاً ألوذ بظله   فتركتني أمشي بأجرد ضاح
قد كنتُ ذات حمية ما عشت لي   أمشي البَراز وكنت أنت جناحي
فاليوم أخضع للذليل وأتقي   منه وأدفع ظالمي بالـراح
وإذا دعت قمرية شجناً لها   يوماً على فنن دعوت صباحي

أي قلت : واسوء صباحي .

فها هي تلتذ البكاء على زوجها ، ملاذها وحاميها ، وكيف كانت تمشي مختالة بين الناس ولكنها ذليلة بعد فقده ، يعتدى عليها فتضطر أن ترد المعتدي بيدها .

وقد تشغب المرأة على زوجها أو تكون نابية العشرة ، والشواهد على ذلك كثيرة أيضاً .

فعامر بن الطفيل يشكو من كثرة لوم زوجته له على غير ذنب إذ يقول[3] :

وقد أصبحت عِرسي الغداة تلومني   على غير ذنب هجرها وصدودها
فإني إذا ما قلت قولي فانقضى   أتتني بأخرى خُطة لا أريدها
فلا خير في وُدٍ إذا رثّ حبله   وخير حِبال الواصلين جديدها

---

(١) ديوان الخنساء : ص ١٧٣ .
(٢) شرح الحماسة تحقيق العسيلان رقم : ٣١٠ ص ٤٤٤ .
(٣) ديوان عامر بن الطفيل : ص ٤٧ .

وكثيراً ما كانت المرأة تشكو من فقر زوجها ، فعروة بن الورد كان يزيده ضجراً ضيق زوجته بفقره ، لأنّ تنكرها أشد عليه مرارة من تنكر الناس ، يقول[1] :

دعيني للغنى أسعى فـإني — رأيت الناس شرُّهم الفقير
وأهونهم وأبعدهم عـليهم — وإن أمسى له حسب وخيرُ
ويقصيه النـديّ وتزدريـه — حليلته وينهره الصغيـرُ

وربما كان تبرم المرأة من الشيب وتقدم السن أكثر من الفقر ، لأن الفقر عارض قد يزول ، أما الشيب فإنه لا يبرح بل تشتد وطأته حيناً بعد حين ، يقول علقمة بن عبدة[2] :

فإن تسألوني بالنساء فإنني — بصير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله — فليس له من ودّهنّ نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه — وشرخ الشباب عندهن عجيب

٦ - أنكحة الجاهلية :[*]

كان العرب يَعرفون الزواج القائم على الإيجاب والقبول ، وهو ما تحدثنا عنه في الخطبة والإملاك ، حيث يخطب الرجل إلى الرجل وليته وابنته فيصدقُها ثم ينكحها .

وهذا الضرب من الزواج هو الذي كان شائعاً في العرب وجاء الإسلام فأقره.

على أنهم كانوا يعرفون أنواعاً أخرى من اتصال الرجال بالنساء . ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح أربعة منها ، لعلها كانت أكثرها شهرة[3] .

---

(١) ديوان عروة بن الورد : ص ٤٥ ، ومعني خير : الشرف .
(٢) المفضليات : رقم : ١١٩ ص ٣٩٢ .
(*) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٥٢٧/٥ - ٥٤٦ .
(٣) انظر فتح الباري : ١٥٨/٩ ، وأبو داود .

١ - « فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته ، فيصدقها ثم ينكحها »[1] .

أقر الإسلام هذا النوع ، وقد ساد وعم في آخر العصر الجاهلي ، وصار هو القاعدة ، وهو زواج يحفظ للأسرة شرفها واستقرارها ، والإسلام أقر كثيراً مما تعارف عليه العرب من صالح العمل وطيبه . ولعل ذلك من بقايا ديانة إبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام .

وإذا عرفنا بأن قريشاً وكثيراً من قبائل العرب كانت على هذا المذهب في النكاح عرفنا بأن الله استخلص رسوله صلى الله عليه وسلم من أطيب المناكح ، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة ؛ لتكون النفوس له أوطأ والقلوب له أصفى[2] .

٢ - نكاح الاستبضاع[3] :

«ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد » لأنهم كانوا يطلبون ذلك من أكابرهم ورؤسائهم ، وكان ذلك بعد الطهر لأنه أسرع في علوقها من الرجل[4] .

وهذا النوع من النكاح ضرب شاذ نادر يتنافى مع أخلاق العرب من غيرة وحمية ، ولا يلجأ إليه إلا رجل عاجز عن مباشرة زوجته أو إنسان ساقط المروءة .

وكان هذا النوع من النكاح معروفاً في أسبرطة ، وفي شريعة ماني عند

---

(١) المحبر لابن حبيب : ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
(٢) بلوغ الأرب : ٢/٤ .
(٣) الاستبضاع : الجماع ، مشتق من البضع وهو الفرج .
(٤) بلوغ الأرب : ٢/٢٤٦ .

الهنود ، وعند أفلاطون إذ ذهب إلى شيوعية النساء بين الرجال ، والنسل الناتج مجهول النسب يعتبر ملكاً للدولة[1]

٣ - نكاح الرهط :

ويسمى نكاح المشاركة : تقول السيدة عائشة رضي الله عنها في الحديث النبوي : « ونكاح آخر يجتمع الرهط دون العشرة ، فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومرت ليالٍ بعد أن تضع ، أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، إني ولدت فهو ابنك يافلان ، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها فلا يستطيع أن يمتنع به الرجل » .

وربما كان هذا النكاح شائعاً في اليمن أو كان دخيلاً على العرب من الفرس زمن حكمهم لليمن وتسلطهم على الحيرة ، لأنهم كانوا يمارسون الإباحية الجنسية في عهد الساسانيين ولا سيما جماعة مانو .. ولم يكن هذا النوع شائعاً كثيراً في العرب[2] . إلا أنه كان موجوداً، وهو من آثار الجاهلية والانحراف عن شرع الله ممثلاً في الديانات السماوية آنذاك، وخاصة الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، لأن آثاره كانت باقية في جزيرة العرب بشكل أو بآخر .

٤ - نكاح البغايا :

جاء في الحديث الآنف الذكر : « والنكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة فلا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً لمن أرادهن ليدخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطه[3] به ودعي ابنه، ولا يمتنع منه ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم » .

---

(١) المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

(٢) المرأة في الشعر الجاهلي ص ٢٤٩ .

(٣) التاطه : ألحق به .

وهذا النوع كان محصوراً في الإماء وهؤلاء ما كن من قريش ولا من صميم العرب ، بل هن من الإماء السواقط يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً** ﴾ والفتيات في عرف القرآن لا تطلق إلا على الإماء يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **فمن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات** ﴾ فتخصيص النهي عن الإماء يدل على أن البغاء لم يكن بين حرائر العرب[1] .

وهنالك أنواع أخرى من النكاح إضافة لما ورد في الحديث الشريف الآنف الذكر وهي :

٥ - نكاح الخِدْن[2] :

وهو المشار إليه في الآية الكريمة : ﴿ **محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان** ﴾ .

كانوا يقولون : ما استتر فلا بأس به ، وما ظهر فهو لؤم .. والأخدان مأخوذة من اتخاذ الأصدقاء في السر ، وذات الخدن هي من اتخذت صديقاً لها .

٦ - نكاح المتعة[3] :

وهو تزويج المرأة إلى أجل ، فإذا انقضى وقعت الفرقة ، وكان العرب يعرفون هذا النوع من النكاح ، ويمارسونه ، وقد أباحه الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ثم حرمه .

وإلى هذا النوع يشير عمر بن مقاس المرادي في قوله[4] :

ألا رجلٌ جزاه الله خيراً   يدل على محصِّلةٍ تُبِـيتُ

(١-٢) انظر بلوغ الأرب : ٢/٥ .

(٣) المرأة في الشعر الجاهلي : ٢٥٠-٢٥١ .

(٤) جاء في لسان العرب مادة (حصل) هي التي تحصل تراب المعدن والتي تميز الذهب من الفضة ، وذكر البيتين ثم قال : يقصد الشعر أنها خبيرة بالرجال فهي تُميزه عن غيره .

تُرجّل لمتي وتقُمّ بيتي وأعطيها الإتاوة إن رضيتُ

٧ - نكاح الشغار :

وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ، ليس بينهما صداق وكذلك الأخوات أو بنات الأخ كالبنات في ذلك ، وقد نهى الإسلام عن هذا الزواج ، وذكر الآلوس كذلك **نكاح البدل** : وهو أن يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي[١] . ولعل الجاهلية الحديثة طورت هذا النوع وخاصة في أوربا وأمريكا ومن سار على ملتهم .

٨ - نكاح الظعينة وهي السبية :

فللرجل أن يتزوج مَنْ سباها إن شاء ، وليس لها أن تأبى عليه ، ذلك لأنها في ملك سابيها ، ويكون هذا الزواج بغير خطبة ولا مهر لأنها مملوكة وليس لها خيار في أمرها[٢] .

٩ - نكاح الضيْزن :

أو نكاح المقت ، وهو نكاح معروف من أنكحة الجاهلية ، ذلك أنه إذا مات زوج إحداهن ، يأتي ابنه أو قريبه ويعتبر نفسه أولى بها ومنها بنفسها ، إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت ، وقد حرم الإسلام هذا النكاح يقول تعالى : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً** ﴾ [النساء : ٢٢] . وكان هذا الزواج معروفاً إلا أنه كان ممقوتاً، ولذلك عرف بزواج المقت وأطلقوا على من يفعل ذلك « الضيزن » والولد من هذا النكاح كان يسمى مقتي أو مقيت أي مبغوض ومستحقر .

وطريقتهم في ذلك أن يلقي الابن الأكبر ثوبه على امرأة أبيه فتكون عندئذ

---

(١) بلوغ الأرب : الآلوسي ٢/٥٢ .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ، ٥/٥٣٤ .

في ملكه إن شاء تزوجها وإن شاء عضلها .. وإن كان صغيراً حبست عليه حتى يكبر فإن شاء أصابها وإن شاء فارقها وذلك الوارث[1] . يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** ﴾[2] .

وقال ابن حبيب : وكان الرجل إذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها ، فإن لم يكن له حاجة فيها تزوجها بعض إخوته بمهر جديد .

وقد فرق الإسلام بين الرجال ونساء آبائهم وهم كثير[3] ومما ورد في شعرهم حول هذا الزواج وذمه قول أوس بن حجر التميمي يعير قوماً من بني قيس بن ثعلبة تناوبوا على امرأة أبيهم واحداً بعد آخر وكانوا ثلاثة يقول :

والفارسية فيكم غير منكرة   فكلكم لأبيه ضيزن سلِف

يقول : هم مثل المجوس يتزوج الرجل امرأة أبيه وامرأة ابنه[4] .

هذه هي مكانة الزوجة عند أهل الجاهلية صعوداً وهبوطاً ، استقامة والتواء، وهذه هي بعض عاداتهم وتقاليدهم في الزواج واختيار الزوجة. وفي الفقرة القادمة سوف نرى سمو تعاليم هذا الدين في تقدير المرأة ، وحفظ الحقوق الزوجة وكيف أن الإسلام شرع ما يحفظ مكانة الزوجة عالياً ، وذلك ما تفتقر إليه التشريعات الوضعية عند الأمم الأخرى .

---

(١) انظر تفسير الطبري : ٢٠٧/٤ ، ٢٠٨ وما بعدها .
(٢) سورة النساء : الآية ١٩ .
(٣) المحبر لابن حبيب : ٣٢٥ ، ٣٢٦ .
(٤) انظر ديوان أوس ص ١٧ ، ولسان العرب : ١٢٢/١٧ ، والمحبر ص ٣٢٥ .

المبحث الثاني

الزوجة في ظلال الإسلام

١ – نظرة الإسلام للزواج : صفات الزوجة المثلى .
٢ – الكفاءة في الزواج .
٣ – هدي الإسلام في عادات الزواج وتقاليده .
٤ – حقوق الزوجة وواجباتها في الإسلام .
٥ – أنكحة محرمة في الإسلام .



١ - نظرة الإسلام للزواج

صفات الزوجة المثلى :

رغب الإسلام في الزواج ؛ لأن فيه حماية للنفس من الزلل وفيه الطمأنينة والاستقرار .

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان ، فليتق الله في النصف الباقي »[١] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً[٢] : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

« والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر ، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين .. ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر ، وجعلت في تلك الصلة سكناً للنفس والعصب ، وراحة للجسم والقلب واستقراراً للحياة والمعاش وأنساً للأرواح والضمائر ، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء »[٣] .

والله تعالى ذكر الحياة الزوجية في معرض المنة : **﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾** [الروم: ٢١].

وقال جل شأنه: **﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾** [النحل: ٧٢].

---

(١) حديث حسن ، صحيح الجامع الصغير : ١٠٥٩/٢ .
(٢) متفق عليه : سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٤٤٥/٤ .
(٣) في ظلال القرآن : ٢٧٦٣/٥ .

فلم تعد المرأة دنساً يجب التنزه منه - كحالتها عند أهل النصرانية المحرفة - فإن إشعاع الإسلام بدد تلك الظلمات في العالم كله .. تلك آية إنسانية هذا الدين[1] .

والزوجة المثلى في الإسلام هي **ذات الدين** والتقى والصلاح. وقد أكدت الآيات الكريمة على هذه الصفات قال تعالى : **﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾** [النساء : ٣٤] .

وقال جل شأنه : **﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً﴾** [التحريم: ٥].

ويقول تعالى مفضلاً لنا الدين على الجمال (عند التعارض) : **﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾** [البقرة : ٢٢١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك »[2] .

فالجمال يذبل والجاه قد يزول ، والثروة قد تتبدد ، وما بني على ما يتغير ويتبدل فهو معرض للزوال ، والخير أن تجعل أساس الاختيار في الزواج ما يبقى فيه لا ما يتبدل ، وما يقوى مع الزمن لا مع ما يضعف ويفنى ذلك هو الدين والخلق .

إن المتدين عن عقيدة واقتناع وتربية لن يكون في البيت -زوجاً أو زوجة- **إلا ريحانة مملوءة بالحب والسلام .. وإن صاحب الخلق الكريم الأصيل لن يكون - أبا أو أما - إلا دوحة مثمرة تجني منها الأسرة أطيب الثمار ، أبناء صالحين وعملاً** اجتماعياً كريماً[3] .

---

(١) ماذا عن المرأة : د. نور الدين العتر ص ٧٧ .
(٢) رواه الإمام مسلم - انظر شرح صحيح مسلم : ٥١/١٠ .
(٣) أخلاقنا الاجتماعية : د. مصطفى السباعي ص ١٢٧ .

ونقصد بالتدين التدين الصحيح المنبثق عن عقيدة صافية وسلوك مستقيم ، يترجم إلى عمل سامٍ في الحياة الواقعية ، وليحذر الخاطب أو المخطوبة من أولئك الذين يتخذون من الإسلام مطية لأغراضهم ، وهدفاً لأهوائهم ، وما أكثرهم في أيامنا هذه ، ومعاشرتهم لا تجلب إلا الهم والنكد وتكدير العيش .

ومن صفات الزوجة المثلى في نظر الإسلام **حسن الخَلق** : فبه يحصل التحصين ، ولهذا أمر بالنظر إلى المخطوبة ، وقد كان أقوام لا ينظرون في الحسن ولا يقصدون التمتع ، كما روي أن الإمام أحمد رحمه الله اختار امرأة عوراء على أختها ، إلا أن هذا يندر ، والطباع على ضده[1] . وكذا من صفات الزوجة المثلى : **حسن الخُلق** : فإن سيئة الخلق ضررها أكثر من نفعها . عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله »[2] .

ومن صفات الزوجة المثلى : **البكارة** ؛ لأن الشارع ندب إلى ذلك ولأن البكر تحب الزوج وتألفه أكثر من الثيب ، والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف .

ومن هنا رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في البكر لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أن عبد الله هلك وترك تسع بنات أو قال : سبع فتزوجتُ امرأة ثيباً فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ، تزوجت ! قال : قلت : نعم قال : فبكر أم ثيب ؟ قال : قلت : بل ثيب يارسول الله . قال : فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك. أو قال: تضاحكها وتضاحكك ؟ قال : قلت : إن عبد الله هلك وترك تسع بنات أو سبع وإني كرهت أن آتيهن أو أجيئهن بمثلهن ، فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحهن . قال : فبارك الله لك

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٧٧ .

(٢) رواه ابن ماجه في مشكاة المصابيح : ٩٣٠/٢ .

أو قال لي خيراً . رواه مسلم[1] فإن كان هنالك مصلحة وجيهة في الزواج من الثيب فلا بأس به . وقد بارك الله فيه لجابر رضي الله عنه .

ومن صفات المرأة المثلى : **أن تكون ولوداً** ويعرف ذلك بأحوال قريباتها وقد كره الرسول صلى الله عليه وسلم التزوج من العقيم : عن معقل بن يسار قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب إلا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه ثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة فنهاه .

فقال : « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم »[2] .

هذه صفات مثلى في الزوجة المسلمة ، توسعنا فيها ، لأن المقاييس اختلت لدى الشباب عند اختيارهم للزوجة في هذا العصر ، إذ أن كثيراً منهم يفضل ذات الجمال ولو كان ذلك على حساب الدين والخلق والفضيلة والأصل النظيف ، ممنياً نفسه بالآمال في أن يصلحها ويقوم سلوكها ، وكان أن وقع كثير منهم في مشاكل أدت إلى الفراق ، وجلبت المآسي إلى الأسر .

إن الاختيار الموفق يكون حسب الأسس الشرعية بعيداً عما تمليه موازين حضارة التيه والضياع ، ممن أهمتهم النزوات الطارئة، فتفككت أسرهم وتحولت بيوتهم إلى جحيم لا يطاق .

٢ – الكفاءة في الزواج

اشترط العرب في الكفاءة شروطاً تدور حول الحسب والحرية ، والمكانة الاجتماعية ، وآثروا الشاب ، ومن يتمتع بفضائل العرب وأخلاقهم .

وأقر الإسلام عدداً من هذه الموازين ، كحسن الأخلاق ، وجمال الخَلْق

(١) شرح صحيح مسلم : ٥٣/١٠ .
(٢) حديث حسن صحيح . صحيح النسائي ص ٦٨٠ رقم : ٣٠٢٦ .

والبكارة ، وأن تكون ودوداً ولوداً ، ليستطيع الزوجان أن يعيشا في وئام .

إلا أن هذه الصفات كلها تتأخر أمام صفات التدين ومبدأ العقيدة ، وقد تحدثنا عن صفات الزوجة المثلى عند المسلمين ..

ثم راعى الإسلام ألا تزوج المسلمة من غير مسلم، وحرّم ذلك تحريماً قاطعاً .

ثم راعى **الكفاءة في الحرية** : لأن المرأة لا تشعر بالحرية إذا كانت زوجة لعبد ، وسوف تشعر بالغضاضة ، والزواج سكن نفسي لابد من توفره .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان زوج بريرة عبداً أسود يقال له : مغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها في سكك المدينة ، يبكي ودموعه تسيل على لحيته . فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس : يا عباس ! ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو راجعْته ، فقالت : يارسول الله تأمرني ؟ قال : إنما أشفع قالت : لا حاجة لي فيه »[1] .

أما المولى فقد كان أمره هيناً ، لأن الموالي لم يكونوا أرقاء ، ولو كان قد مرّ عليهم رق ، وقد يكون الولاء للأحرار حسب عرف القبائل آنذاك ... إلا أن العرب في الجاهلية كانوا يأنفون من زواج المولى ، بل ويجعلون ديته نصف دية الصريح .

وفي حديث فاطمة بنت قيس وطلاقها .. وبعد أن انتهت عدتها قالت : فلما حللت ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن معاوية بن أبي سفيان ، وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه . وأما معاوية فصعلوك لا مال له . ولكن انكحي أسامة ابن زيد فكرهته ثم قال : انكحي أسامة بن زيد فنكحته ، فجعل الله عز وجل

---

(١) رواه البخاري . انظر مشكاة المصابيح : ٢/٩٥٥ .
وقد فارقت بريرة زوجها بعد أن أعتقت وبقي هو عبداً .

فيه خيراً ، واغتبطت به »[1] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة من ابنة عمته صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضي الله عنهم . وكان زيد مولى إلا أن الحياة الزوجية لم تستقر بين زيد وزوجته ، لأن شعور زينب رضي الله عنها بأنها من ذؤابة قريش ، ما أراحها الزواج من مولى ، إلا أنها نفذت وأطاعت ، وقد لا ترتاح ابنة العم مع قريبها فالطباع تختلف .. وأمور الحسب كان لها دورها وتحتاج إلى فترة زمنية حتى تتقبلها النفوس .

ويرد هنا سؤال : **هل غيرالعرب أكفاء للعرب** في النكاح ؟.

وهذه مسألة نزاع بين العلماء يقول ابن تيمية رحمه الله : « فمنهم من لا يرى **الكفاءة إلا في الدين** .

ومن رآها في **النسب** أيضاً فإنه يحتج بقول عمر رضي الله عنه : لأمنعن ذوات الأحساب إلا من الأكفاء ، لأن النكاح مقصوده حسن الألفة ، فإذا كانت المرأة أعلى منصباً ، اشتغلت عن الرجل فلا يتم به المقصود .

وهذه حجة من جعل من ذلك حقاً لله حتى أبطل النكاح ، إذا زوجت المرأة بمن لا يكافئها في الدين أو المنصب .

ومن جعلها حقاً للآدمي قال : إن في ذلك غضاضة على أولياء المرأة وعليها ، والأمر إليهم في ذلك .

ثم هؤلاء لا يخصون الكفاءة بالنسب بل يقولون : هي من الصفات التي تفاضل بها النفوس كالصناعة واليسار والحرية وغير ذلك ، وهذه مسائل اجتهادية تُرد إلى الله والرسول .

وليس عن النبي صلى الله عليه وسلم نص صريح في هذه الأمور بل قال

---

(١) حديث صحيح : صحيح النسائي ، رقم : ٣٠٤٤ ص ٦٨٤ .

صلى الله عليه وسلم : « إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء . الناس رجلان مؤمن تقي وفاجر شقي » .

وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من جنس غيرهم كما أن جنس قريش خير من جنس غيرهم ، وجنس بني هاشم خير من جنس غيرهم ، وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » .

لكن تفضيل الجملة على الجملة لايستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد ، فإن في غير العرب خلقاً كثيراً لأخير من أكثر العرب ... »[1] .

وبذلك يتبين أن الأفضلية هي للأتقى والأكثر تديناً وتمسكاً بهدي هذا الدين . « وهنالك تفصيلات في قضية الكفاءة يرجع إليها في مظانها من كتب الفقه » .

ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »[2] .

وفي **حياتنا المعاصرة** : ما يزال كثير من الناس لا يراعون شرط الدين ، بل يراعون أعرافاً وتقاليد هي أقرب إلى أعراف الجاهلية ، كشرط القبيلة أو كثرة الأموال والعقارات ، ولو كان الخاطب فاسقاً .

ومن غرائب ما تسببه النظرة القاصرة إلى الكفاءة في الزواج ، عندما وضعت الشروط غير الفطرية في المصاهرة ، والزواج ، برزت إلى حيز الوجود نتائج ذات أثر سيء منها : « الزواج بالقرآن لدى سادات الهند ، فهم يمنعون تزوج البنت السيدة بغير السيد الكفء فإن لم يتسير للسيدة السندية ذلك الكفء تهيأ للزواج وتزين للنكاح ، ثم تعطى مصحفاً في يدها ويقال لها : لقد زوجناك بهذا

---

(١) الفتاوى لابن تيمية : ٢٩/١٩ .

(٢) حديث حسن : رواه الترمذي ، مشكاة المصابيح : ٩٢٩/٢ .

القرآن فصوني نفسك عما يشينها من الرذائل ، وأسوأ من ذلك ظلماً أنه إن وجد السيد الكفء بعد هذا الزفاف فإنه لا يسمح لها بالزواج بحجة أنها تحت عصمة القرآن »[1] .

إنها رهبانية جديدة أرادها هؤلاء لبناتهم ، بحجة الكفاءة في النسب وشبيه هذا كثير ، يتم في عدة من أقطار الإسلام بحجة أو بأخرى ، وفي ذلك ظلم للفتاة وتأخير لها عن الزواج .

وأخيراً : فإن المسلمين فتاة أحلامهم زانها الحياء والخفر ؛ وعصمها الإيمان بالله وابتغاء رضاه . وفتى أحلامهن ذاك الرجل الذي ملك الحق ناصيته ، لا يعدوه في غضبه أو رضاه . لا يظلم إن استغضب بل يتسع بخلقه للعفو والصفح الجميل ، ولا يفرط في الحق إن خالف هواه .. والولي لا يستبد بوليته فيعضلها عن الزواج بالكفء . كما لايزوجها دون رضاها[2] .

٣ - هدي الإسلام في عادات الزواج وتقاليده

للإسلام آداب سنها لأتباعه ، قد تلتقي مع بعض عادات العرب وقد تختلف ، إلا أن هدي الإسلام هو المنبع الأول ، والمرجع الوحيد في علاقات المسلمين وتقاليدهم ونخص بالذكر هنا : الخطبة والصداق ووليمة العرس .

الخطبـــة :

وقد أباح الشارع بل أحب للخاطب **أن ينظر إلى المخطوبة** وقال : « إذا ألقى الله في قلب أحدكم خطبة امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما . وقال لمن خطب امرأة من الأنصار : « انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا » .

---

(١) عادات المسلمين وتقاليدهم : شاهد حسين الرزاقي عن كتاب : أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية ص ٢٠١ .

(٢) ماذا عن المرأة - عتر ص ٤٧ .

وقوله : أحرى أن يؤدم بينهما : يدل على أنه إذا عرفها قبل النكاح دام الود ، وأن النكاح يصح وإن لم يرها .. فالرؤية لا تجب وأن النكاح يصح بدونها كما يشير إلى ذلك الحديث[1] وندب الإسلام من أراد النكاح أن ينظر إلى وجهها وكفيها قبل خطبتها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظرت إليها ؟ قال : لا ، قال : « فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً »[2] (أي : صغراً) .

فالرؤية المسبقة أدعى للمودة ، ولاستقرار الزوجية بعد ذلك ، ومن هنا يخالف هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من المتنطعين وأهل العادات المنحرفة من الذين لا يبيحون للخاطب رؤية الفتاة التي يود خطبتها ، مما ينجم عنه كثير من العنت ومحاولات الفراق والطلاق عندما يصدم كل منهما بالواقع وهذا أمر مشاهد معلوم عند كثير من أهل الأرياف وبعض القبائل .

إلا أنه « لا يقال يجب الاختلاط الطويل ، وإتاحة الفرصة للخطيبين كي يتعرفا منفردين على بعضهما تعرفا واسع النطاق ، فهذه مغالطة ، إذ أن انفرادهما يجعل الشيطان ينفخ فيهما النزوات ويهيج الجنس .. والحب الطارىء يعمي ويصم فلا يكون معه تعرف على شيء »[3] .

ومن هدي هذا الدين : ألا يرد الخاطب المتدين ، كما مر سابقا في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »[4] .

---

(١) الفتاوى لابن تيمية : ٣٥٤/٢٩ ، ٣٥٥ .
(٢) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم ، ٢٠٩/١٠ .
(٣) المرأة في التصور الإسلامي : ص ٧٣ .
(٤) حديث حسن : رواه الترمذي . مشكاه المصابيح : ٩٢٩/٢ .

كان المسلم يفضل التقي النقي لابنته ، « قال رجل للحسن رضي الله عنه : ممن أزوج ابنتي ؟ قال : ممن يتقي الله ، فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لن يظلمها »[1] .

كان سلف هذه الأمة قد حلقوا عالياً في التجرد لمصلحة بناتهم ومَن يعولون ، وارتفعوا فوق نزغات الجاهلية وأعرافها ، إذ قد يعرض المرأة وليها على أهل الفضل والصلاح .

فهذا عمر رضي الله عنه « لما تأيمت حفصة ابنته عرضها على أبي بكر ، فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة فغضب من ذلك عمر ، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم . فانطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى إليه عثمان ، وأخبره بعرضه حفصة عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة » .

ثم خطبها إلى عمر رضي الله عنه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلقي أبو بكر عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم أجمعين ، فقال له : لا تجد علي في نفسك فإن رسول الله كان قد ذكر حفصة ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها لتزوجتها »[2] .

هكذا تكون العلاقات في الإسلام ، أمانة ووفاء ، وكتماناً للسر ، وصراحة وإيثاراً والمسلمون يعتبرون الخطبة من الأمور التي يجب الوفاء بها كالوفاء بالوعد: أخرج ابن عساكر عن هارون بن رباب أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما حضرته الوفاة قال : « انظروا فلاناً فإني كنت قلت له في ابنتي قولاً يشبه العدة ، فما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق ، فأشهدكم أني قد زوجته »[3] .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين : ص ١١٨ .

(٢) الإصابة : ٢٦٤/٤ .

(٣) حياة الصحابة : ٥٢٥/٢ .

ومن هدي هذا الدين استئذان المرأة : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن . قالوا : يارسول الله ، وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت »[1] .

قال ابن تيمية رحمه الله[2] : « والمرأة لا ينبغي لأحد أن يزوجها إلا بإذنها كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم فإن كرهت ذلك لم تجبر على النكاح ، إلا الصغيرة البكر ، فإن أباها يزوجها ولا إذن لها .

وأما البالغ الثيب فلا يجوز تزويجها بغير إذنها ، لا للأب ولا لغيره بإجماع المسلمين ، وكذلك البكر البالغ ليس لغير الأب تزويجها بدون إذنها بإجماع المسلمين . فأما الأب والجد فينبغي لهما ، استئذانها .

واختلف العلماء في استئذانها : هل هو واجب أو مستحب ؟.

والصحيح أنه واجب .

ويجب على ولي المرأة أن يتقي الله فيمن يزوجها به ، وينظر في الزوج هل هو كفء أو غير كفء ؟ فإنه إنما يزوجها لمصلحتها لا لمصلحته ، وليس له أن يزوجها بزوج ناقص لغرض له (الفتاوى) .

وما يجري من إجبار النساء على الزواج ممن لا يرغبن بهم ، لمصلحة الولي كأن يكون الخاطب قريباً أو ذا مال ، أو لأي غرض آخر ، فذلك ليس من هدي هذا الدين، وقد جرت مشكلات ومآس يعلمها كثير من الناس وكانت من مبررات دعاة الإفساد باسم التحرر وتخليص المرأة من المظالم التي وقعت فيها ، في القرون المتأخرة .

على أن الولي لابد من إذنه ، حتى لا تصبح العلاقات فوضى ، قائمة على الأهواء فقط .

---

(١) رواه مسلم . شرح صحيح مسلم : ٢٠٢/٩ .

(٢) الفتاوى : ٣٩/٣٢ ، ٤٠ .

فلم تعد المرأة دنساً يجب التنزه منه - كحالتها عند أهل النصرانية المحرفة - فإن إشعاع الإسلام بدد تلك الظلمات في العالم كله .. تلك آية إنسانية هذا الدين[1] .

والزوجة المثلى في الإسلام هي **ذات الدين** والتقى والصلاح. وقد أكدت الآيات الكريمة على هذه الصفات قال تعالى : ﴿ **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ﴾ [النساء : ٣٤] .

وقال جل شأنه : ﴿ **عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً** ﴾ [التحريم: ٥].

ويقول تعالى مفضلاً لنا الدين على الجمال (عند التعارض) : ﴿ **ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم** ﴾ [البقرة : ٢٢١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك** »[2] .

فالجمال يذبل والجاه قد يزول ، والثروة قد تتبدد ، وما بني على ما يتغير ويتبدل فهو معرض للزوال ، والخير أن تجعل أساس الاختيار في الزواج ما يبقى فيه لا ما يتبدل ، وما يقوى مع الزمن لا مع ما يضعف ويفنى ذلك هو الدين والخلق .

إن المتدين عن عقيدة واقتناع وتربية لن يكون في البيت -زوجاً أو زوجة- إلا ريحانة مملوءة بالحب والسلام .. وإن صاحب الخلق الكريم الأصيل لن يكون - أبا أو أما - إلا دوحة مثمرة تجني منها الأسرة أطيب الثمار ، أبناء صالحين وعملاً اجتماعياً كريماً[3] .

---

(١) ماذا عن المرأة : د. نور الدين العتر ص ٧٧ .

(٢) رواه الإمام مسلم - انظر شرح صحيح مسلم : ٥١/١٠ .

(٣) أخلاقنا الاجتماعية : د. مصطفى السباعي ص ١٢٧ .

ونقصد بالتدين التدين الصحيح المنبثق عن عقيدة صافية وسلوك مستقيم ، يترجم إلى عمل سامٍ في الحياة الواقعية ، وليحذر الخاطب أو المخطوبة من أولئك الذين يتخذون من الإسلام مطية لأغراضهم ، وهدفاً لأهوائهم ، وما أكثرهم في أيامنا هذه ، ومعاشرتهم لا تجلب إلا الهم والنكد وتكدير العيش .

ومن صفات الزوجة المثلى في نظر الإسلام **حسن الخلق** : فبه يحصل التحصين ، ولهذا أمر بالنظر إلى المخطوبة ، وقد كان أقوام لا ينظرون في الحسن ولا يقصدون التمتع ، كما روي أن الإمام أحمد رحمه الله اختار امرأة عوراء على أختها ، إلا أن هذا يندر ، والطباع على ضده[1] . وكذا من صفات الزوجة المثلى : **حسن الخُلُق** : فإن سيئة الخلق ضررها أكثر من نفعها . عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله »[2] .

ومن صفات الزوجة المثلى : **البكارة** ؛ لأن الشارع ندب إلى ذلك ولأن البكر تحب الزوج وتألفه أكثر من الثيب ، والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف .

ومن هنا رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في البكر لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أن عبد الله هلك وترك تسع بنات أو قال : سبع فتزوجتُ امرأة ثيباً فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ، تزوجت ! قال : قلت : نعم قال : فبكر أم ثيب ؟ قال : قلت : بل ثيب يارسول الله . قال : فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك. أو قال: تضاحكها وتضاحكك ؟ قال : قلت : إن عبد الله هلك وترك تسع بنات أو سبع وإني كرهت أن آتيهن أو أجيئهن بمثلهن ، فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحهن . قال : فبارك الله لك

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٧٧ .

(٢) رواه ابن ماجه في مشكاة المصابيح : ٩٣٠/٢ .

أو قال لي خيراً . رواه مسلم[1] فإن كان هنالك مصلحة وجيهة في الزواج من الثيب فلا بأس به . وقد بارك الله فيه لجابر رضي الله عنه .

ومن صفات المرأة المثلى : **أن تكون ولوداً** ويعرف ذلك بأحوال قريباتها وقد كره الرسول صلى الله عليه وسلم التزوج من العقيم : عن معقل بن يسار قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب إلا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه ثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة فنهاه .

فقال : « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم »[2] .

هذه صفات مثلى في الزوجة المسلمة ، توسعنا فيها ، لأن المقاييس اختلت لدى الشباب عند اختيارهم للزوجة في هذا العصر ، إذ أن كثيراً منهم يفضل ذات الجمال ولو كان ذلك على حساب الدين والخلق والفضيلة والأصل النظيف ، ممنياً نفسه بالآمال في أن يصلحها ويقوم سلوكها ، وكان أن وقع كثير منهم في مشاكل أدت إلى الفراق ، وجلبت المآسي إلى الأسر .

إن الاختيار الموفق يكون حسب الأسس الشرعية بعيداً عما تمليه موازين حضارة التيه والضياع ، ممن أهمتهم النزوات الطارئة، فتفككت أسرهم وتحولت بيوتهم إلى جحيم لا يطاق .

٢ - الكفاءة في الزواج

اشترط العرب في الكفاءة شروطاً تدور حول الحسب والحرية ، والمكانة الاجتماعية ، وآثروا الشاب ، ومن يتمتع بفضائل العرب وأخلاقهم .

وأقر الإسلام عدداً من هذه الموازين ، كحسن الأخلاق ، وجمال الخَلْق

(١) شرح صحيح مسلم : ٥٣/١٠ .
(٢) حديث حسن صحيح . صحيح النسائي ص ٦٨٠ رقم : ٣٠٢٦ .

والبكارة ، وأن تكون ودوداً ولوداً ، ليستطيع الزوجان أن يعيشا في وئام .

إلا أن هذه الصفات كلها تتأخر أمام صفات التدين ومبدأ العقيدة ، وقد تحدثنا عن صفات الزوجة المثلى عند المسلمين ..

ثم راعى الإسلام ألا تزوج المسلمة من غير مسلم، وحرّم ذلك تحريماً قاطعاً .

ثم راعى **الكفاءة في الحرية** : لأن المرأة لا تشعر بالحرية إذا كانت زوجة لعبد ، وسوف تشعر بالغضاضة ، والزواج سكن نفسي لابد من توفره .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان زوج بريرة عبداً أسود يقال له : مغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها في سكك المدينة ، يبكي ودموعه تسيل على لحيته . فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس : يا عباس ! ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو راجعْته ، فقالت : يارسول الله تأمرني ؟ قال : إنما أشفع قالت : لا حاجة لي فيه »[1] .

أما المولى فقد كان أمره هيناً ، لأن الموالي لم يكونوا أرقاء ، ولو كان قد مرّ عليهم رق ، وقد يكون الولاء للأحرار حسب عرف القبائل آنذاك ... إلا أن العرب في الجاهلية كانوا يأنفون من زواج المولى ، بل ويجعلون ديته نصف دية الصريح .

وفي حديث فاطمة بنت قيس وطلاقها .. وبعد أن انتهت عدتها قالت : فلما حللت ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن معاوية بن أبي سفيان ، وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه . وأما معاوية فصعلوك لا مال له . ولكن انكحي أسامة ابن زيد فكرهته ثم قال : انكحي أسامة بن زيد فنكحته ، فجعل الله عز وجل

---

(١) رواه البخاري . انظر مشكاة المصابيح : ٢/٩٥٥ .
وقد فارقت بريرة زوجها بعد أن أعتقت وبقي هو عبداً .

فيه خيراً ، واغتبطت به »[1] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة من ابنة عمته صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضي الله عنهم . وكان زيد مولى إلا أن الحياة الزوجية لم تستقر بين زيد وزوجته ، لأن شعور زينب رضي الله عنها بأنها من ذؤابة قريش ، ما أراحها الزواج من مولى ، إلا أنها نفذت وأطاعت ، وقد لا ترتاح ابنة العم مع قريبها فالطباع تختلف .. وأمور الحسب كان لها دورها وتحتاج إلى فترة زمنية حتى تتقبلها النفوس .

ويرد هنا سؤال : **هل غيرالعرب أكفاء للعرب** في النكاح ؟.

وهذه مسألة نزاع بين العلماء يقول ابن تيمية رحمه الله : « فمنهم من لا يرى **الكفاءة إلا في الدين** .

ومن رآها في **النسب** أيضاً فإنه يحتج بقول عمر رضي الله عنه : لأمنعن ذوات الأحساب إلا من الأكفاء ، لأن النكاح مقصوده حسن الألفة ، فإذا كانت المرأة أعلى منصباً ، اشتغلت عن الرجل فلا يتم به المقصود .

وهذه حجة من جعل من ذلك حقاً لله حتى أبطل النكاح ، إذا زوجت المرأة بمن لا يكافئها في الدين أو المنصب .

ومن جعلها حقاً للآدمي قال : إن في ذلك غضاضة على أولياء المرأة وعليها ، والأمر إليهم في ذلك .

ثم هؤلاء لا يخصون الكفاءة بالنسب بل يقولون : هي من الصفات التي تتفاضل بها النفوس كالصناعة واليسار والحرية وغير ذلك ، وهذه مسائل اجتهادية تُرد إلى الله والرسول .

وليس عن النبي صلى الله عليه وسلم نص صريح في هذه الأمور بل قال

---

(١) حديث صحيح : صحيح النسائي ، رقم : ٣٠٤٤ ص ٦٨٤ .

صلى الله عليه وسلم : « إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء . الناس رجلان مؤمن تقي وفاجر شقي » .

وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من جنس غيرهم كما أن جنس قريش خير من جنس غيرهم ، وجنس بني هاشم خير من جنس غيرهم ، وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » .

لكن تفضيل الجملة على الجملة لايستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد ، فإن في غير العرب خلقاً كثيراً لأخير من أكثر العرب ... »[١] .

وبذلك يتبين أن الأفضلية هي للأتقى والأكثر تديناً وتمسكاً بهدي هذا الدين . « وهنالك تفصيلات في قضية الكفاءة يرجع إليها في مظانها من كتب الفقه » .

ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »[٢] .

وفي حياتنا المعاصرة : ما يزال كثير من الناس لا يراعون شرط الدين ، بل يراعون أعرافاً وتقاليد هي أقرب إلى أعراف الجاهلية ، كشرط القبيلة أو كثرة الأموال والعقارات ، ولو كان الخاطب فاسقاً .

ومن غرائب ما تسببه النظرة القاصرة إلى الكفاءة في الزواج ، عندما وضعت الشروط غير الفطرية في المصاهرة ، والزواج ، برزت إلى حيز الوجود نتائج ذات أثر سيء منها : « الزواج بالقرآن لدى سادات الهند ، فهم يمنعون تزوج البنت السيدة بغير السيد الكفء فإن لم يتسير للسيدة السندية ذلك الكفء تهيأ للزواج وتزين للنكاح ، ثم تعطى مصحفاً في يدها ويقال لها : لقد زوجناك بهذا

---

(١) الفتاوى لابن تيمية : ١٩ ، ٢٩ .

(٢) حديث حسن : رواه الترمذي ، مشكاة المصابيح : ٩٢٩/٢ .

القرآن فصوني نفسك عما يشينها من الرذائل ، وأسوأ من ذلك ظلماً أنه إن وجد السيد الكفء بعد هذا الزفاف فإنه لا يسمح لها بالزواج بحجة أنها تحت عصمة القرآن »[1] .

إنها رهبانية جديدة أرادها هؤلاء لبناتهم ، بحجة الكفاءة في النسب وشبيه هذا كثير ، يتم في عدة من أقطار الإسلام بحجة أو بأخرى ، وفي ذلك ظلم للفتاة وتأخير لها عن الزواج .

وأخيراً : فإن المسلمين فتاة أحلامهم زانها الحياء والخفر ؛ وعصمها الإيمان بالله وابتغاء رضاه . وفتى أحلامهن ذاك الرجل الذي ملك الحق ناصيته ، لا يعدوه في غضبه أو رضاه . لا يظلم إن استغضب بل يتسع بخلقه للعفو والصفح الجميل ، ولا يفرط في الحق إن خالف هواه .. والولي لا يستبد بوليته فيعضلها عن الزواج بالكفء . كما لايزوجها دون رضاها[2] .

٣ – هدي الإسلام في عادات الزواج وتقاليده

للإسلام آداب سنها لأتباعه ، قد تلتقي مع بعض عادات العرب وقد تختلف ، إلا أن هدي الإسلام هو المنبع الأول ، والمرجع الوحيد في علاقات المسلمين وتقاليدهم ونخص بالذكر هنا : الخطبة والصداق ووليمة العرس .

الخطبـــة :

وقد أباح الشارع بل أحب للخاطب **أن ينظر إلى المخطوبة** وقال : « إذا ألقى الله في قلب أحدكم خطبة امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما . وقال لمن خطب امرأة من الأنصار : « انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا » .

---

(١) عادات المسلمين وتقاليدهم : شاهد حسين الرزاقي عن كتاب : أثر الفكر العربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية ص ٢٠١ .

(٢) ماذا عن المرأة ؟ عتر ص ٤٧ .

وقوله : أحرى أن يؤدم بينهما : يدل على أنه إذا عرفها قبل النكاح دام الود ، وأن النكاح يصح وإن لم يرها .. فالرؤية لا تجب وأن النكاح يصح بدونها كما يشير إلى ذلك الحديث[1] وندب الإسلام من أراد النكاح أن ينظر إلى وجهها وكفيها قبل خطبتها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظرت إليها ؟ قال : لا ، قال : « فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً »[2] (أي : صغراً) .

فالرؤية المسبقة أدعى للمودة ، ولاستقرار الزوجية بعد ذلك ، ومن هنا يخالف هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من المتنطعين وأهل العادات المنحرفة من الذين لا يبيحون للخاطب رؤية الفتاة التي يود خطبتها ، مما ينجم عنه كثير من العنت ومحاولات الفراق والطلاق عندما يصدم كل منهما بالواقع وهذا أمر مشاهد معلوم عند كثير من أهل الأرياف وبعض القبائل .

إلا أنه « لا يقال يجب الاختلاط الطويل ، وإتاحة الفرصة للخطيبين كي يتعرفا منفردين على بعضهما تعرفا واسع النطاق ، فهذه مغالطة ، إذ أن انفرادهما يجعل الشيطان ينفخ فيهما النزوات ويهيج الجنس .. والحب الطارىء يعمي ويصم فلا يكون معه تعرف على شيء »[3] .

ومن هدي هذا الدين : ألا يرد الخاطب المتدين ، كما مر سابقا في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »[4] .

---

(١) الفتاوى لابن تيمية : ٣٥٤/٢٩ ، ٣٥٥ .
(٢) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم ، ٢٠٩/١٠ .
(٣) المرأة في التصور الإسلامي : ص ٧٣ .
(٤) حديث حسن : رواه الترمذي . مشكاة المصابيح : ٩٢٩/٢ .

كان المسلم يفضل التقي النقي لابنته ، « قال رجل للحسن رضي الله عنه : ممن أزوج ابنتي ؟ قال : ممن يتقي الله ، فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لن يظلمها »[1] .

كان سلف هذه الأمة قد حلقوا عالياً في التجرد لمصلحة بناتهم ومَن يعولون ، وارتفعوا فوق نزغات الجاهلية وأعرافها ، إذ قد يعرض المرأة وليها على أهل الفضل والصلاح .

فهذا عمر رضي الله عنه « لما تأيمت حفصة ابنته عرضها على أبي بكر ، فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة فغضب من ذلك عمر ، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم . فانطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى إليه عثمان ، وأخبره بعرضه حفصة عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة » .

ثم خطبها إلى عمر رضي الله عنه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلقي أبو بكر عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم أجمعين ، فقال له : لا تجد علي في نفسك فإن رسول الله كان قد ذكر حفصة ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها لتزوجتها »[2] .

هكذا تكون العلاقات في الإسلام ، أمانة ووفاء ، وكتماناً للسر ، وصراحة وإيثاراً والمسلمون يعتبرون الخطبة من الأمور التي يجب الوفاء بها كالوفاء بالوعد: أخرج ابن عساكر عن هارون بن رباب أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما حضرته الوفاة قال : « انظروا فلاناً فإني كنت قلت له في ابنتي قولاً يشبه العدة ، فما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق ، فأشهدكم أني قد زوجته »[3] .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين : ص ١١٨ .
(٢) الإصابة : ٢٦٤/٤ .
(٣) حياة الصحابة : ٥٢٥/٢ .

ومن هدي هذا الدين استئذان المرأة : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن . قالوا : يارسول الله ، وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت »[1] .

قال ابن تيمية رحمه الله[2] : « والمرأة لا ينبغي لأحد أن يزوجها إلا بإذنها كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم فإن كرهت ذلك لم تجبر على النكاح ، إلا الصغيرة البكر ، فإن أباها يزوجها ولا إذن لها .

وأما البالغ الثيب فلا يجوز تزويجها بغير إذنها ، لا للأب ولا لغيره بإجماع المسلمين ، وكذلك البكر البالغ ليس لغير الأب تزويجها بدون إذنها بإجماع المسلمين . فأما الأب والجد فينبغي لهما ، استئذانها .

واختلف العلماء في استئذانها : هل هو واجب أو مستحب ؟.

والصحيح أنه واجب .

ويجب على ولي المرأة أن يتقي الله فيمن يزوجها به ، وينظر في الزوج هل هو كفء أو غير كفء ؟ فإنه إنما يزوجها لمصلحتها لا لمصلحته ، وليس له أن يزوجها بزوج ناقص لغرض له (الفتاوى) .

وما يجري من إجبار النساء على الزواج ممن لا يرغبن بهم ، لمصلحة الولي كأن يكون الخاطب قريباً أو ذا مال ، أو لأي غرض آخر ، فذلك ليس من هدي هذا الدين، وقد جرت مشكلات ومآس يعلمها كثير من الناس وكانت من مبررات دعاة الإفساد باسم التحرر وتخليص المرأة من المظالم التي وقعت فيها ، في القرون المتأخرة .

على أن الولي لابد من إذنه ، حتى لا تصبح العلاقات فوضى ، قائمة على الأهواء فقط .

---

(١) رواه مسلم . شرح صحيح مسلم : ٢٠٢/٩ .
(٢) الفتاوى : ٣٩/٣٢ ، ٤٠ .

جاء في الحديث الشريف : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها ، فنكاحها باطل ثلاثا فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها ، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي لها »[1] .

وبذلك لا تضيع حقوق المرأة في الإسلام ، بل يصان عرضها ، ويؤخذ رأيها ، ويحافظ وليها على مصالحها ، وإلا فالسلطان يقوم بهذه المهمة ، أو من ينوب عن السلطان .

الصداق :

هو حق للمرأة ، والسنة تخفيفه والبعد عن المغالاة في المهور .. فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خير النكاح أيسره »[2] .

ومن السنة ألا يزيد على مهور نساء النبي صلى الله عليه وسلم أو بناته ، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة » .

وعن ابن عباس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خيرهن أيسرهن صداقاً » .

ويكره للرجل أن يصدق المرأة صداقاً يضرّ به ، إن نقده ، ويعجز عن وفائه إن كان دَيْناً .

« وما يفعله أهل الجفاء والخيلاء والرياء ، من تكثير المهر للرياء والفخر وهم لا يقصدون أخذه من الزوج ، وهو ينوي ألا يعطيهم إياه ، فهذا منكر قبيح مخالف للسنة ، خارج عن الشريعة .

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة في النكاح ، وحسنه الترمذي ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وهو حديث صحيح . ينظر شرح السنة : ٣٩/٩ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم : ١٨٤٢ ٤٥٧/٤.
وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات ، كلهم على شرط مسلم ، قاله الألباني .

وإن قصد الزوج أن يؤديه ، وهو في الغالب لا يطيقه فقد حمل نفسه ، وشغل ذمته ..

والمستحب في الصداق مع القدرة واليسار ، أن يكون جميع عاجله وآجله لا يزيد على مهر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا بناته ، وكان ما بين أربعمائة إلى خمسمائة بالدراهم الخالصة ، نحواً من تسعة عشر ديناراً ، فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] .

والواقع ليس هنالك حدٌّ للمهر ، وإنما يحدده العرف الصالح ، وسيرة السلف من هذه الأمة .

خطب عمر رضي الله عنه الناس فقال : لا يزيد رجل على صداق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته إلا رددته ، فقالت امرأة : يا أمير المؤمنين، لِمَ تحرمنا شيئاً أعطانا الله إياه ؟ ثم قرأت الآية : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطاراً** ﴾ فرجع عمر إلى قولها وقد كان حافظاً للآية ولكنْ نسيها[2] .

وهو حق للمرأة تتصرف به كما تشاء . قال تعالى : ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئًا مريئاً**﴾ [النساء: ٤].

وكان الصداق **لا يكتب ولا يؤجل** منه شيء .

ولم يكن الصحابة يكتبون صداقات لأنهم لم يكونوا يتزوجون على مؤخر ، بل يعجلون المهر ، وإن أخروه فهو معروف .

فلما صار الناس يتزوجون على المؤخر ، والمدة تطول ويُنسى صاروا يكتبون المؤخر ، وصار ذلك حجة في إثبات الصداق ، وفي أنها زوجة له »[3]..

واتفق العلماء على أن من تزوج امرأة ، ولم يقدر لها مهراً ، صح النكاح

---

(١) الفتاوى لابن تيمية : ١٩٢/٣٢ - ١٩٤ .
(٢) الفتاوى لابن تيمية : ٣٤٣/٢٠ .
(٣) المصدر السابق : ١٣١/٣٢ .

ووجب لها المهر إذا دخل بها ، وإن طلقها قبل الدخول فليس لها مهر . بل لها المتعة بنص القرآن[1] .

هذا وإن كان الإسلام قد نهى عن نكاح الشغار لأنه بدون صداق « والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل الآخر ابنته ، وليس بينهما صداق »[2] فقد نهى في الوقت نفسه عن المغالاة في المهور . **فالمغالاة في المهور** ليست من هدي هذا الدين ومن أهم أسبابها الطمع والجشع ، والبذخ والإسراف والبعد عن السماحة .

وقد استفحل هذا الداء وعم البلاء به ، وأصبحت المطامع المادية هي المقصودة في الزواج ، والمرأة هي السلعة عندهم .

ومن مساوىء المغالاة في المهور : **إعراض الشباب عن الزواج وتأخيره** .. وفي ذلك ما فيه من الضرر بالرجال والنساء على السواء ، ومن الفساد الخلقي ، والأمراض النفسية .. وهذا مشاهد واضح للعيان في كثير من أقطار المسلمين وديارهم ... والشكوى منه تتصدر الصحف والمجلات .

وإن تبكير شبابنا وشاباتنا في الزواج يعصم أخلاقهم من الانحراف ، ويهدىء أعصابهم ، ويقيهم أخطار الانفعالات النفسية ، ذات الأثر الضار في دراستهم واتجاههم السلوكي في الحياة .

والزواج المبكر أحفظ لأخلاق الشباب ، وأدعى إلى شعورهم بالمسؤولية . وهو أفضل لصحة الزوجين ، وللزوجة بصورة خاصة ، وقد ثبت علميا أن إنجاب الأطفال شيء مهم جداً في حياة المرأة من كل ناحية[3] ...

وفي سيرة السلف نماذج رائعة في تيسير المهور فقد كان مهر أم سُليم

---

(١) السابق : ٦٢/٣٢ .

(٢) هذا حديث متفق على صحته : البخاري ومسلم في النكاح ، والموطأ : ٥٣٥/٢ . انظر شرح السنة للبغوي : ٩٧/٩ .

(٣) المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي ص ٦٠ ، ص ٦٢ .

رضي الله عنها : الإسلام . عن أنس قال : خطب أبو طلحة أم سليم فقالت : « أما إني فيك لراغبة ، وما مثلك يرد ، ولكنك كافر فإن تُسلم فذلك مهري ، لاأسألك غيره ، فأسلم وتزوجها » .

قال ثابت : فما سمعنا بمهر كان قط أكرم من مهر أم سليم : الإسلام »[1] .

هكذا تكون بنت العقيدة والمبدأ، تكون داعية للإسلام. أن يسلم على يديها كافر ، وذلك خير لها من حمر النعم .

« وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبي وداعة ، وكانت من أحسن النساء وأكثرهن أدباً ، وأعلمهن بكتاب الله وسنة رسول الله ، وأعرفهن بحق الزوج – وكان فقيرا – فأرسل إليه بخمسة آلاف وقيل : بعشرين ألفاً . وقال : استنفق هذه .

وقصته مشهورة ، وقد كان عبد الملك بن مروان خطبها لابنه الوليد ، فأبى سعيد أن يزوجه بها... وتعرض للضرب بالسياط بسبب ذلك»[2]. يرفض سعيد بن المسيب رحمه الله أن يزوج ابنته لولي العهد آنذاك ، يتسامى فوق القصور والمنصب ، منصب الخلافة الذي ستنعم به ابنته ، ويزوجها من أحد طلبة العلم الفقراء فما أحرانا أن نقتدي بهؤلاء الصالحين .

الوليمة وإعلان النكاح :

وليمة العرس سنة جارية ، والإجابة إليها مأمور بها حتى أن منهم من أوجبها ، فإنها تتضمن إعلان النكاح وإظهاره ، وذلك يتضمن الفرق بينه وبين السفاح ، واتخاذ الأخدان ، ولهذا كانت الإجابة إليها واجبة عند العلماء عند شروط ذلك ، وانتفاء موانعه[3] .

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٢٩/٢ .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ١٠٠/٩ .
(٣) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله : ٢٠٦/٣٢ .

وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وقد رأى عليه أثر صفرة : ما هذا ؟ قال : إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب قال : « بارك الله لك ، أولم ولو بشاة »[1] .

وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففي حديث أنس رضي الله عنه قال : « ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أحد من نسائه ، ما أولم على زينب ، أولم بشاة »[2] .

ويبدو أنهم كانوا يعلنون النكاح ، ويولمون حسب الميسور فعن أنس أيضاً : « أقام النبي صلى الله عليه وسلم بين خيبر والمدينة ثلاث ليال ، يبني عليه بصفية رضي الله عنها ، فدعوت المسلمين إلى وليمته ، وما كان فيها من خبز ولا لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بالأنطاع فبسطت ، فألقى عليها التمر والأقط والسمن »[3] .

ويسن مباسطة العروس وتزيينها :

عن أسماء بنت عميس قالت : كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعي نسوة ، فما وجدنا عنده قرى إلا قدحاً من لبن ، فشرب منه ثم ناوله عائشة فاستحيت الجارية ، فقلنا : لا تردي يد رسول الله ، خذي منه ، فأخذت منه على حياء فشربت ثم قال : ناولي صواحبك . فقلنا : لا نشتهيه . فقال : لاتجمعن جوعاً وكذباً . فقلت : يارسول الله ! إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه ، لا أشتهيه . أيعد ذلك كذباً ؟ قال : إن الكذب يكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة »[4] .

---

(١) متفق على صحته . شرح السنة : ١٣٣/٩ .
(٢) متفق عليه .
(٣) مشكاة المصابيح : رواه البخاري .
الأنطاع : جمع نطع وهو المتخذ من الأديم ، الأقط : لبن مجفف .
(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٣٨/٦ ، وسير أعلام النبلاء : ١٧٢/٢ .

وكانت المعازف محرمة وما تزال ، لأنها تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حميا الكؤوس ..

وعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالح أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف . كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة ، لا في باطن الأمر ولا في ظاهره ..

ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العرس ونحوه ، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح ، أما الرجال على عهده فلم يكن أحد يضرب بدف ولا يصفق بكف ، بل ثبت عنه في الصحيح أنه قال : التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء .

ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء ، كان السلف يسمّون من يفعل ذلك من الرجال مخنثاً ، ويسمون الرجال المغنين مخانيث ، وهذا مشهور في كلامهم »[1] .

هذا هو هدي الإسلام في الأفراح والولائم، ممثلاً في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه ومن سار على منهجهم .

أما الإسراف والتبذير الذي حصل عند بعض الخلفاء المتأخرين عند العباسيين خاصة ، وأمرائهم في الأقاليم ، فهو من علامات الانحراف والتقهقر ، وكذا الأمر في الأندلس ، حيث كانت آلاف الآلاف تنفق في سبيل الشيطان ، مع إعلان الأفراح بالأغاني والمعازف المحرمة[2] .

وفي أيامنا هذه نجد أن إعلان الأفراح ، والتسابق إلى الفنادق أو قصور

---

(١) الفتاوى لابن تيمية : ٥٦٦/١١ .

(٢) انظر : أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام .

الأفراح عند الأثرياء وحتى متوسطي الحال ، هو السمة البارزة في كثير من بلاد المسلمين مما يوقع الزوج في الديون الفادحة ، لا يستطيع لها سداداً ، والشهيد تحجب عنه الجنة حتى يؤدي حقوق العباد وديونهم .

كثرت هذه المظاهر المزيفة ، ناهيك عن تكديس الذهب بين يدي العروس ، لتصبح القضية سباقاً سمجاً بين النساء المترفات ، وغصة مكتومة عند الفقيرات ، فما أحوجنا أن نعود إلى هدي هذا الدين ، وفي ذلك كل الخير والبركة .

٤ - حقوق الزوجة وواجباتها في الإسلام

يقع على عاتق المرأة مسؤولية ضخمة تجاه الأسرة ، فهي ركن أساسي في استقرارها ، وجعل الإسلام لها مكانة رفيعة ، يندر أن يكون لها مثيل في الأمم الأخرى .

ولها حقوق مرعية لا تضام ، وعليها واجبات مهمة من أجل بناء الأسرة بناء عقدياً ، مستقراً ، ومريحاً .

أ - أهم واجبات الزوجة :

يمكن تلخيصها في نقاط أساسية هي :

متابعة الزوج في المسكن : على الزوجة المسلمة أن تسكن حيث يسكن زوجها « وإن الشريعة تحكم على الزوجة التي لا تتابع زوجها في المسكن ، بأنها ناشز وتلزمها بالعودة إلى المتابعة بسلطة القضاء الشرعي .

إلا أننا مع الأسف نجد بعض الكتاب في شؤون المرأة يفتعلون النقد لهذا الحكم ، ويتنطعون في الطعن فيه بأن إرغام الزوجة على الرجوع إلى بيت زوجها

فيه مساس بكرامتها ، أو تحقير لشخصيتها وإجبار لها على غير ما تريد »[1] .

وهذا تنطع مشين ، إذ لا معنى للزوجية إذا رفضت المرأة أن تكون مع زوجها ، ومن ثم تشرف على أطفالها وترعى شؤونهم . حتى أن القوانين الوضعية تلزم الزوجة بطاعة زوجها والسكنى معه حيث يسكن ، وتنتقل معه على أن الزوج يجب أن ينفق على زوجته ويقدم لها حاجاتها في حدود مقدرته[2] .

الطاعة : أوجب الإسلام على الزوجة طاعة زوجها بالمعروف ، وهي مأجورة على ذلك ، فعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله »[3] .

فيجب على الزوجة طاعة الزوج فيما يأمرها به سراً وعلانية حتى تقوم بما يقتضيه عقد الزواج ؛ لأن الطاعة مجلبة للهناء والرضا ، والمخالفة تولد الشحناء والبغضاء ، وتوجب النفور ، وتفسد عواطف الإخاء وتنشىء القسوة في قلوب الآباء .

وما من امرأة نبذت طاعة زوجها إلا حل بها الشقاء وتوارث ذلك أبناؤها ، لأن الأخلاق المألوفة إذا تمكنت صارت ملكات موروثة يأخذها البنون عن آبائهم ، والبنات عن أمهاتهم[4] .

على أن الطاعة الواجبة تكون في حدود المباح ودون معصية الله إذ « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[5] .

---

(١) ماذا عن المرأة : ص ١٠٦ د. العتر .

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٠٨ . عن كتاب : بيت الطاعة وتعدد الزوجات د. علي عبد الواحد وافي ص ٦ .

(٣) رواه ابن ماجة . مشكاة المصابيح : ٢/٩٣٠ .

(٤) المرأة في التصور الإسلامي : ص ٦٤ .

(٥) حديث صحيح ، رواه الحاكم وأحمد . صحيح الجامع الصغير : ٢/١٢٥٠ .

وبلغ من اهتمام الشرع الحنيف أن حث المرأة على عدم صيام النافلة إلا بإذن زوجها، حتى لا تتلهى بالعبادة عن واجباتها الزوجية . قال صلى الله عليه وسلم: « لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه غير رمضان ، ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه ... »[1] .

وعليها أن تظهر لزوجها البشاشة ... ولا تتوانى عن التزين له ، وعمل كل ما يفرحه ، وأن تبتعد عن المنغصات التي تكدر العيش كالشكوى وكثرة التبرم .

و« إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها ، لعَنَتها الملائكة حتى تصبح »[2] .

ذلك أن أهم واجبات الزوجة إعفاف الرجل .

المعاشرة بالمعروف :

فعلى الزوجة أن تشكر معروف زوجها ، ولا تنتقص حقه ، ولا تنغص عليه عيشه بأي أسلوب كان .

وقد دعت الأحاديث النبوية إلى هذا الخلق ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن . قيل أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منكْ خيراً قط »[3] .

فالعشير : الزوج ، وقيل له : عشير بمعنى معاشر .

وأراد المصنف[*] من (يكفر العشير) ليبين أن الطاعات كما تسمى إيماناً،

(١) صحيح متفق عليه . صحيح الجامع الصغير : ١٢٢٧/٢ .

(٢) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم : ٨/١٠ .

(٣) رواه البخاري : كتاب الإيمان ، رقم الحديث : ٢٩ .

(*) ابن حجر العسقلاني رحمه الله .

كذلك المعاصي تسمى كفراً . لكن حيث يطلق عليها الكفر ولا يراد الكفر المخرج من الملة ، فقال : أو خص كفران العشير من بين أنواع الذنوب له قيمة بديعة وهي قوله صلى الله عليه وسلم : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » : فقرن حق الزوج على الزوجة بحق الله .

فإذا كفرت المرأة حق زوجها ، وقد بلغ من حقه عليها هذه الغاية . كان ذلك دليلاً على تهاونها بحق الله فلذلك يطلق عليها الكفر ، لكنه كفر لا يخرج عن الملة »[1] .

ولعل أحلى مزايا المرأة ، حنانها ورحمتها وعواطفها الفياضة ، فهي تزيل الشجون وتهدىء الروع ، فإن عدمتها المرأة فماذا يبقى لها من أنوثتها ؟! .

« لو تعلم المرأة حق الزوج لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه حتى يفرغ منه »[2] .

ومن طبيعة المرأة المسلمة أنها تقدر الحياة الزوجية وتحرص عليها حتى في حالة خوف النزاع . قال تعالى : ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح** ﴾ [النساء : ١٢٨] فحياة الأسرة المسلمة تقوم على المودة والتفاهم ، وقد عاش السلف هذه المعاني . انظر إلى كلام أبي الدرداء رضي الله عنه لزوجته : « إذا رأيتني غضبت فرضني ، وإذا رأيتك غضبى رضيتُكِ ، وإلا لم نصطحب » .

والمصيبة إذا عمت فدح الخطب ، وما على الزوجين إلا أن يتعاونا في السراء والضراء على جلب السرور ودفع الحزن في قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه[3] .

(١) فتح الباري : ١٠٥/١ .

(٢) صحيح : رواه الطبراني عن معاذ . صحيح الجامع الصغير : ٩٣٢/٢ .

(٣) عودة الحجاب : ١٦٨/٢ .

وما أكثر النصوص الشرعية التي تحذر المرأة من إيذاء زوجها «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا »[1] .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ... الحديث . وفيه : المرأة الساخط عليها زوجها »[2] .

ومن المعاشرة بالمعـروف :

مواساة الزوج والتخفيف عنه :

فالمرأة الحسنة الخلال لا تروي على مسمع زوجها إلا ما يحسن سماعه ، أما المرأة سيئة الخلق فتثير الهموم وتجلب الأتراح ، وتنغص العيش ومن خير ما يروى في هذا المجال ، مواساة أم سُليم لزوجها حتى حين وفاة ابنها ، وهي لعظيم خصالها رآها رسول الله في الجنة ، ولا ننسى مواقف السيدة خديجة في التخفيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت الجنة ، فسمعت خشفة فقلت من هذا ؟ قالوا : هذه الغُميصاء بنت ملحان ، أم أنس بن مالك »[3] .

فيوم مات ابنها لأبي طلحة قالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه ، قال : فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب فقال : ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، قالت : فاحتسب

---

(١) رواه أحمد والترمذي وهو صحيح . صحيح الجامع الصغير : ١٢٠٧/٢ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما .
انظر حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة ص ٤٩٥ .

(٣) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم للنووي ص ١١ ، ١٢/جـ ١٦ .

ابنك ... »[1] .

ومن حسن المعاشرة أن تحترم الزوجة مشاعر زوجها فلا يعاب عندها أهله ولا أصدقاؤه وشيوخه الذين يجلهم .

وأن تحسن لأهله وذويه ، وألا تترفع عن معاونتهم .

ولا تجرح مشاعره بأن تدعو على نفسها وأولادها أمامه .

القناعة :

وهي من خير صفات الزوجة الصالحة،ومن أهم حقوق الزوج على زوجته ، وعلى هذا كان نساء السلف الصالح .

كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له أهله : إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار .

ومن الواجب عليها ألا تفرط في ماله فإن أطعمت فعن رضاه ، ولها مثل أجره ، وإن كان بغير رضاه كان له الأجر وعليها الوزر .

وينبغي للمرأة أن تقعد في بيتها ، لازمة لمغزلها قليلة الكلام لجيرانها ، كثيرة الانقباض في حال غيبة زوجها ... .

ولتكن همتها صلاح شأنها وتدبير بيتها ...[2] .

وقد روي في قناعة نساء السلف الصالح قصص رائعة ، وآداب رفيعة ، ما أحرى نساء اليوم أن يلتفتن إليها ، ويقتدين بتلك النسوة رضي الله عنهن بدلاً من الاقتداء بالنساء الغربيات وما جئن به من مفاسد إلى بلاد المسلمين .

فالسيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، كانت تخدم في بيت زوجها الزبير رضي الله عنه فتسوس فرسه وتعلفه ، وتدق لجمله النوى .

(١) شرح صحيح مسلم : ١٦/ ١١ ، ١٢ .

(٢) مختصر منهاج القاصدين : ابن قدامة المقدسي ص ٨١ .

وكذلك السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، كانت تخدم في بيت زوجها ، قانعة راضية ، وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه[1] .

لقد اختط هذا الدين لأتباعه القيم الرفيعة فترفع الرجال والنساء فوق جواذب الدنيا ومتاعها الزائل ، انتظاراً للباقيات الصالحات ونعيم لا يزول .

ومن هؤلاء الفضليات :

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، زوجة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

كانت تعيش في نعمة ويسار ، لا تعلو عليها عيشة امرأة أخرى في ذلك العهد .

إلا أن زوجها الراشد ، خيرها بين البقاء معه على نفقة بيته « بضعة دراهم في اليوم » وأن تضع حليها ومجوهراتها في بيت مال المسلمين ، أو أن تلحق بأهلها .

واستجابت المرأة الصالحة لطلب زوجها الصالح ، واستراحت من أثقال الحلي والمجوهرات التي جاءت بها من بيت أبيها الخليفة ، وبعثت بها إلى بيت مال المسلمين[2] .

وبعد أن توفي الخليفة الزاهد ، ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئاً ، جاء أمين بيت المال وقال : إن مجوهراتك لا تزال كما هي ، وإني أعتبرها أمانة لك ، وقد جئت استأذنك في إحضارها .

فأجابته : بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين ثم قالت :

---

(١) سنفصل ذلك في الباب الثاني : عمل المرأة مع ذكر الأحاديث الواردة في هذا الموضوع .

(٢) انظر عودة الحجاب : ٢٦٢/٢ .

ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً[1] .

لا تخرج من بيتها إلا بإذنه :

وفي ذلك صيانة لسمعة المرأة والبيت المسلم على السواء ، وخروجها دون إذن الزوج يهدد العش الآمن الدافىء المستقر بنعمة الإسلام ، ويصبح نهباً للوساوس والشائعات . وحتى الخروج للعبادة تحتاج معه إلى إذن : عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد للعبادة فأذنوا لهن » رواه البخاري[2] .

لا تأذن في بيته إلا بإذنه :

أي لا تسمح لأحد في الدخول إلى بيتها إلا بإذن زوجها وعلمه ، حفظاً لاستقرار الحياة الزوجية .

« وحكمة هذا الالتزام أنه كثيراً ما تحصل المنازعات في البيت نتيجة دخول أحد بين الزوجين بالسعاية أو الإثارة وسوء التوجيه . فإذا لحظ الزوج ذلك وطلب من زوجته أن تمنع شخصاً معيناً من دخول بيته فماذا يحدث حين تعارض الزوجة ، يستمر منبع الفتنة ويستحيل الوفاق .

والإلزام هنا لصالح الشركة القائمة بين الزوجين ، ومن ينتج عنها من أطفال يحتاجون إلى الرعاية ، وإلى جو من المودة لا يفسده الشجار والشقاق ، حتى لا ينشأ الأطفال منحرفي النفوس والأفكار » .

ولا يعني ذلك أن الزوج دائماً على حق فيما يصنع فقد يولع بالمكايدة ، ولا أعني كذلك أن الزوجة دائما مخطئة فقد تكون محقة في النفور من شخص بعينه ... ولكن القانون يتمشى مع النسبة الغالبة ومع الفطرة التي تفترض أن

---

(١) عودة الحجاب : ٢٦٢/٢ عن مقدمة آداب الزفاف للألباني ص ١١ – ١٤ بقلم الشيخ محب الدين الخطيب .
(٢) عون الباري : ٢٨٥/٢ .

الرجل أكثر انقياداً لعقله »[1] .

قال الإمام الغزالي : « وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضراً ، لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها ، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله .

ومن آداب المرأة : ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها ، بمعنى ظهورها في صورة الجادة ، والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ، ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال »[2] .

تعتني بنظافة بيتها وتخدم فيه بالمعروف :

إن المرأة المسلمة إذ تخفف عن زوجها عبء إدارة المنزل وتدبير شؤونه ، إنما تعينه ليتفرغ إلى أعماله التي تعود عليه وعلى أمته بالخير .

واختلف الفقهاء : هل عليها خدمة المنزل كالفرش والكنس والطبخ ونحو ذلك . فقيل : يجب عليها ، وقيل : لا يجب ، وقيل : يجب الخفيف منه »[3] .

أما من قال : لا تجب الخدمة ، فهذا القول ضعيف ، كضعف من قال : لا تجب عليه العشرة والوطء. فإن هذا ليس معاشرة له بالمعروف، بل الصاحب في السفر الذي هو نظير الإنسان وصاحبه في المسكن إن لم يعاونه على مصلحة، لم يكن قد عاشره بالمعروف .

ومنهم من قال : تجب الخدمة بالمعروف وهذا هو الصواب ، فعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله ، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال ، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية ، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة[4] .

وسيرة نساء السلف خير قدوة للزوجة المسلمة ، وقد عرفنا كيف كانت

---

(١) شبهات حول الإسلام : محمد قطب ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) المرأة في التصور الإسلامي : ص ١٢٠ .

(٣) الفتاوى لابن تيمية : ٣٨٤/٢٨ .

(٤) الفتاوى : ٩٠/٣٤ ، ٩١ .

ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (السيدة فاطمة الزهراء) تطحن بنفسها وتقوم بخدمة بيتها ، وكذلك السيدة أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام ، كانت تنقل النوى على رأسها وتعجن وتدق النوى وتعلف دابته .

وها هي أم سلمة رضي الله عنها فيما يحدثنا عبد المطلب بن عبد الله عن أمرها قال : « دخلت أيم العرب على سيد المسلمين أول العشاء عروساً ، وقامت آخر الليل تطحن »[1] .

على أن العمل ينبغي أن يوزع بالمعروف بين الجميع . « عن علي رضي الله عنه قال لأمه فاطمة بنت أسد : اكفي فاطمة (بنت رسول الله) سقاية الماء والذهاب في الحاجة ، وتكفيك الطحن والعجن »[2] .

وحسب المرأة المسلمة الأجر الجزيل لعملها ، حتى في خدمة بيتها وأطفالها إذا احتسبت ذلك .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل ليدخل بلقمة الخبز ، وقبضة التمر ، ومثله مما ينفع المسكين ثلاثة الجنة : الآمر له ، والزوجة المصلحة له ، والخادم الذي يناول المسكين » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي لم ينس خدمنا »[3] .

ومن واجب المرأة حين **وجود الضرائر** : **عدم مكايدتهن** : لأن ذلك مما ينغص عيش الرجل وعيش الأسرة كلها ، وكثيرا ما تسببت بعض النسوة بتمزيق أواصر الأسرة بسبب غيرتهن ومكايدتهن عند وجود الزوجة الأخرى، وذلك منهي عنه محرم ، لحديث أسماء رضي الله عنها قالت : « إن امرأة جاءت رسول الله

---

(١) أعلام النبلاء : ٢/٢٠٥ .

(٢) الإصابة : ٤/٣٦٩ .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط والحاكم . انظر حسن الأسوة ص ٤٦١ .

صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : إن لي جارة ، فهل عليّ جناح أن أتشبع من زوجي بما لم يعطني ؟ فقالت : قال رسول الله : إن المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور »[1] .

مكانة الزوج والحرص عليه حتى بعد الموت :

قالت أم سلمة لأبي سلمة : بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تزوج إلا جمع الله بينهما في الجنة . فقال : أعاهدك ألا تزوجي بعدي ، ولا أتزوج بعدك . قال : أتطيعينني ؟ قالت : نعم . قال : إذا مت تزوجي . اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها . فلما مات قلت : من خير من أبي سلمة ؟ فما لبثت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها أو ابنها ، فقالت : أرد على رسول الله ، أو أتقدم عليه بعيالي . ثم جاء الغد فخطب »[2] .

ومن أخلاق الزوجة المسلمة الوفاء لزوجها حتى بعد الوفاة ... ومن هذا الوفاء موقف أسماء بنت عميس زوجة علي رضي الله عنهما : « إذ تزوج علي أسماء بنت عميس فتفاخر ابناها : محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر . فقال كل منهما : أنا أكرم منك ، وأبي خير من أبيك .

قال لها علي : اقضي بينهما ، قالت : ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر ، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر ... »[3] .

وكانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها اعتزلت الناس في شر مكان من البيت تلبس أدنى ملابسها ، فتظل كذلك حولاً كاملاً لا تغير ملابسها ولا تغتسل ، فإذا انقضى الحول ألقت من مكانها بعرة تنبيء بها أهلها بانتهاء الحول .

---

(١) متفق على صحته . شرح السنة : ١٦١/٩ . والجارة : الضرة ، المتشبع : المتكثر بأكثر مما عنده يتصف به .
(٢) رجاله ثقات ، وأخرجه ابن سعد : ٨٨/٨ ، وانظر أعلام النبلاء : ٢٠٣/٢ .
(٣) أخرجه ابن سعد : ٢٨٥/٨ ورجاله ثقات ، أعلام النبلاء : ٢٨٧/٢ .

وكان مما جاء به الإسلام : أن حرم عليهن النواح وخمش الوجوه وتمزيق الثياب والخروج مع الجنائز ، وأذن لهن بالحداد على الميت ثلاثة أيام فقط إلا الزوج فقد أذن لهن بالحداد مدة عدة الوفاة ، التي لا يباح لها الزواج فيها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام لغير الحامل . وحق الحداد في ترك الزينة والطيب وإظهار السرور ، وحكمته ألا يظهر منهن التعرض للزواج ، وعدم المبالاة بالوفاء للزوج المتوفى فإن هذا يعد نقصاً منهن »[1] .

وقد جاء في الحديث عن أم عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً ، ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب ولا تكتحل ولا تمس طيباً إلا إذا طهرت نبذة من قسْط أو أظفار »[2] .

ب - حقــوق الزوجــة

للزوجة حقوق على زوجها ، فقد أوجب الشرع عليه النفقة والاهتمام بحفظ دينها وعرضها ، والعدل في معاملتها ومعاشرتها بالمعروف ، فلا يظلم ولا يتجبر حتى تكون الأسرة أساس حياة مستقرة هانئة .

« فأساس كل حق للزوجة على زوجها أن يعاملها على أنها سكنه الروحي والنفسي ، وعلى أنه قد ارتبط معها برباط عميق من المودة والرحمة ، هو أوثق من رابطة العقد القانوني الذي يلزمه نحوها بواجبات مالية أو حقوق مادية ... وحين ينظر الزوج إلى زوجته بهذا المنظار الجميل يزول من طريق الحياة الزوجية كل ما يشوبها من أشواك وعثرات ، ويكون الافتراق فيها عن طريق الطلاق أو الهجر ، انتزاعاً للحياة من كلا الزوجين على السواء »[3] .

---

(١) حقوق المرأة في الإسلام : ص ١٢٧ .

(٢) متفق عليه : مشكاة المصابيح : ٢/٩٩٥ برقم : ٣٣٣١ .

(٣) أخلاقنا الاجتماعية : د. مصطفى السباعي رحمه الله ص ١٤٨ .

« بينما لم يكن عند العرب نظام يمنع الزوج من النكاية بزوجته كما لم يكن للمرأة أن ترفض إذا مات زوجها الزواج من ابنه الأكبر من غير أولادها إذ يعتبرها إرثاً كبقية أموال أبيه ... وكل ما كانت تعتز به المرأة العربية في تلك العصور على أخواتها في العالم كله حماية الرجل لها والدفاع عن شرفها ، والثأر لامتهان كرامتها »[1] .

لقد رفع الإسلام من مكانة المرأة، أماً وزوجة وابنة، وافترض لها من الحقوق ما عجزت كل الحضارات أن تبلغ جزءاً من رفعتها وسموها وعظمتها .

النفقــة :

من أهم واجبات الزوج النفقة على زوجته وأفراد أسرته عموماً لقوله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ [النساء : ٤٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها** ﴾ .

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإنفاق بالمعروف فعن حكيم ابن معاوية عن أبيه قال : « قلت : يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت »[2] .

إذا عرفنا الاهتمام الشديد بهذا الحق أدركنا مدى الفساد والانحراف الذي حلّ بحضارة الغرب أو بجاهليتهم في هذا القرن ، إذ ليس للزوجة حق النفقة على زوجها، بل عليها أن تعمل خارج المنزل لتعول نفسها وحتى أطفالها، وكذلك البنت إذا بلغت سن السادسة عشرة في أوربا وأمريكا تطرد من البيت لتعول

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي ص ٢٢ بتصرف يسير .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وإسناده حسن . مشكاة المصابيح ٩٧٢/٢ .

نفسها بأية طريقة كانت ، ومن هنا يكون الضنك والدفع نحو الهاوية دفعا .

وإذا أرادت الفتاة أو الفتى في هذه السن البقاء في منزل الوالدين يمكنهما البقاء بشرط دفع أجرة السكن والأكل[1] .

وإذا كان الزوج شحيحاً فبإمكان الزوجة أن تأخذ من ماله بالمعروف ما يكفيها ويكفي ولدها ، حتى دون علم الزوج ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن هنداً بنت عتبة قالت : يا رسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم . فقال : « خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف »[2] .

والإسلام لا يكلف الزوج أكثر من طاقته في الإنفاق وفي السكنى ، بل يدعو إلى الاعتدال في فراش البيت ، وفي نوع السكن .

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فراش للرجل وفراش لأهله ، والثالث للضيف ، والرابع للشيطان »[3] .

وقال تعالى : ﴿ **أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم** ﴾ ، فإذا وجبت السكنى للمطلقة فللتي في صلب النكاح أولى . قال تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ ، ومن المعروف أن يسكنها في مسكن ، لأنها لا تستغني عن المسكن للاستتار عن العيون ، وفي التصرف والاستمتاع وحفظ المتاع ، ويكون المسكن على قدر يسارهما[4] لقوله تعالى : ﴿ **من وجدكم** ﴾ .

وإذا امتنع الزوج عن الإنفاق يجبر على الطلاق ، إذ كتب عمر رضي الله عنه في رجال غابوا عن نسائهم ، فأمرهم أن ينفقوا أو يطلقوا ، وهذا إجبار

---

(١) عمل المرأة في الميزان : الدكتور محمد علي البار ، الطبعة الثالثة ص ١٨٣ .
(٢) مشكاة المصابيح : ٢/١٠٠٠ رقم : ٣٣٤٢ . متفق عليه .
(٣) حديث صحيح : انظر صحيح النسائي رقم الحديث : ٣١٦٩ ص ٧١٢ ، ومختصر صحيح مسلم ، وصحيح الجامع الصغير .
(٤) المغني : جـ ٩/٧

على الطلاق عند الامتناع عن الإنفاق[1] .

كما أنه ليس للزوج أن يسكن زوجته حيث شاء ، ولا يخرجها إلى حيث يشاء ، بل يسكن بها في مسكن يصلح لمثلها[2] .

وكل ذلك ينبثق من حق القوامة الذي خوله الله إياه بالمعروف وبما يحقق مقاصد الشرع .

ومن الخبل والسفاهة أن يحاول بعض المفسدين والمفسدات في القرن العشرين ، إزاحة هذا الحق عن الرجل بحجة أن المرأة بدأت تساوي الرجل .

تقول أمينة السعيد : « القوامة اليوم لا مبرر لها ، لأن هذه القوامة مبنية على المزايا التي كان الرجل يتمتع بها في الماضي في مجال الثقافة والمال ، وما دامت المرأة استطاعت اليوم أن تتساوى مع الرجل في كل المجالات فلا مبرر للقوامة »[3] .

من واجب الزوج : **حفظ دين زوجته والاهتمام بعبادتها** :

على الرجل والمرأة أن يتعاونا في إقامة شعائر الله ، وأن ينصح كل منهما الآخر ويقوي عزمه على العبادة .

عن أبي عثمان النهدي قال : تضيفت أبا هريرة سبعاً فكان هو وامرأته وخادمه ، يعتقبون الليل أثلاثاً ، يصلي هذا ثم يوقظ هذا ، ثم يوقظ هذا![4] .

هكذا كان سلف هذه الأمة في التعاون على الخير والعبادة .. .

رزقنا الله وإياكم حسن القدوة والاتباع .

---

(١) المغني : جـ ٥٧٦/٧ .

(٢) الفتاوى لابن تيمية : ٢٦٥/٣٢ .

(٣) عودة الحجاب : ١٤٢/١ .

(٤) رجاله ثقات : أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه ، وذكره الحافظ في الإصابة ونسبه لأحمد في الزهد وصحح إسناده . أعلام النبلاء : ٦٠٩/٢ .

فالرجل مسؤول عن أهل بيته « إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، أحفظ ذلك أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته »[١] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق ، **والديوث** الذي يقر في أهله الخبث »[٢] .

« ومن هنا ليس للزوج أن يخرج بزوجته عند أهل الفجور ، بل ليس له أن يعاشر الفجار على فجورهم ، ومن فعل ذلك وجب أن يعاقب عقوبتين : عقوبة على فجوره بحسب ما فعل ، وعقوبة على ترك صيانته زوجته وإخراجها إلى أماكن الفجور ، فيعاقب على ذلك عقوبة تردعه وأمثاله عن مثل ذلك »[٣] .

ومن حق الزوجة على زوجها : « ألا يعرضها للعنت فيطيل غيابه عنها ، ولا يدفعها إلى الفسوق بمطالعة القصص الفاجرة ، والمجلات الخليعة ، ولا يصطحبها إلى دور الملاهي والخيالة ، ولا يسمعها أغاني الفحش والخنا ، ولا يودع بيته جهاز التلفاز أو الفيديو ، فإنهما من أعظم أسباب الفساد وتحطيم الأخلاق في هذا العصر ... »[٤] .

ومن باب أولى أن يكون الرجل نفسه لا يقترف مثل هذه المنكرات ، وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه ، لأن طبيعة المرأة تحب أن ترى في زوجها مثلها الأعلى ، إما في القوة البدنية أو في الشجاعة أو في التضحية وإنكار الذات أو في التفوق الذهني ... وإلا فإنه سرعان ما يسقط تحت حكمها وسيطرتها ، أو يفصل بينهما شعور من النفور ... ولا يمكن أن تؤدي سيادة المرأة إلى السعادة المنزلية لأن في ذلك ما يخالف الحالة الطبيعية التي تقضي بأن يسود الرجل المرأة

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٦٣٦ الألباني .
(٢) صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير : ٥٨٥/١ .
(٣) الفتاوى لابن تيمية : ٢٦٥/٣٢ .
(٤) عودة الحجاب : ٢١٥/٢ .

بفضله وذكائه وإرادته ، لتسوده هي بقلبها وعاطفتها ... فهي تُؤْثر ذلك لشعورها بالحاجة إلى حماية زوجها ، ولا تشعر باحترام زوجها إلا إذا عاملته بشيء من التمجيد والإكرام[1] .

ولابد من إشعار المرأة بالثقة ، وألا يسيء الظن بها قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا** ﴾ .

ولا يصح للزوج أن يتجسس على زوجته ولا ينبغي تتبع العورات ، لأن ذلك ينافي الإسلام الذي – وإن كان ينفر من إقرار الخنا والفجور في منزل المسلم – لكنه لا يبيح له بنفس الوقت إساءة الظن والتجسس .

أن يمتع المرأة باللهو البريء :

وذلك بأن يروح عن نفسها باللهو البريء المباح ، وأن يدخل السرور على نفسها ، دون الانقياد الكلي لها .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة : ملاعبة الرجل امرأته : وتأديب الرجل فرسه ، ومشي الرجل بين الغرضين ، وتعليم الرجل السباحة »[2] .

وقد حثت الأحاديث الصحيحة على حسن معاشرة الزوج لأهله . قال صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم للنساء »[3] وقال أيضاً : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي »[4] .

ومن هذا القبيل ما روته السدة عائشة رضي الله عنها ، قالت : « كنت

---

(١) كتاب عودة الحجاب : ٩٩/٢ من كلام د. أوجست فوريل تحت عنوان : سيادة المرأة .
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته : ٨٣٣/٢ رقم : ٤٥٣٤ .
(٣) حديث صحيح : صحيح الجامع الصغير : ٦٢٦/١ .
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٥١٣/١ .

ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يأتيني صواحبي . قالت : فكن ينقمعن عن رسول الله قال أنس : ينقمعن : يفررن . قالت : فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسرّبهن إليّ ، فيلعبن معي »[1] .

ومن حسن صنيعه عليه الصلاة والسلام ما روته السيدة عائشة (رضي الله عنها) كذلك قالت : « والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ، ورسول الله يسترني بردائه ، لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه ، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف . فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو »[2] .

والهدية تسر المهدى إليه ، وخاصة الزوجة ، قال عليه الصلاة والسلام : « تهادوا تحابوا »[3] . فرب هدية بسيطة من الزوج تكون سبباً لمزيد من الألفة والمودة .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا وأسوتنا ، فما أجدر الزوج المسلم أن يقتدي بهديه صلى الله عليه وسلم ، حتى لا تشعر الزوجة بالوحشة ، ولا يكون المنزل إلا مكانا للأنس والمودة ، ويعمل كل من الزوجين على جلب السعادة والهناء لشريكه .

المعاشرة بالمعروف :

عن عمرو بن الأحوص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم ، لستم تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة بينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً . ألا إن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً فحقكم عليهن ، ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون . ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن

(١) متفق على صحته : البخاري في الأدب ، ومسلم في فضائل الصحابة ، شرح السنة : ١٦٦/٩ .
(٢) متفق على صحته : البخاري في النكاح ، مسلم في العيدين . انظر شرح السنة : ١٦٨/٩ .
(٣) حديث حسن : عن أبي هريرة ، صحيح الجامع الصغير : ٥٧٧/١ .

وطعامهن »[1] .

والعشرة يجب أن تكون بالمعروف حتى مع كره المرأة : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً** ﴾ [النساء : ١٩] .

فالقسوة في المعاملة بغيضة مقيتة ، فلا ظلم ولا حيف ، والنفور المؤقت قد يتحول إلى مودة بالمعاملة الحسنة ، ولا يدري الإنسان أين يكون الخير .

ومن المعيب على الزوج أن يضرب زوجته ضرب العبيد، ثم يضاجعها بعد ذلك .

عن عبد الله بن زمعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها في آخر اليوم »[2] وقد نرى كثيراً من الرجال ممن يضطهدون زوجاتهم ، ظناً منهم أن ذلك من تمام القوامة أو الرجولة ، ومَنْ فشل في سياسة زوجته وبيته ، فهو لغيرهم أشد فشلاً وانهزاماً .

دعا الإسلام إلى حسن التعامل ، وما ترك فرصة إلا وحثنا على ما يؤدي إلى المودة . عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني إذا دخلت على أهلك ، فسلم يكن سلامك بركة عليك ، وعلى أهل بيتك »[3] .

وحرم الظلم في كل حالاته ، قال تعالى : ﴿ **ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** ﴾ .

وإذا كان الرجل مسافراً ، نهي عن طروق بيته ليلاً ، وأن يقدم بغتة لحكمة

---

(١) أخرجه الترمذي : حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة ص ٣١٩ . ومعنى عوان : جمع عانية وهي الأسيرة شبه المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير ، والمبرح : الشديد الشاق .

(٢) مشكاة المصابيح ٩٦٨/٢ رقم الحديث : ٣٢٤٢ متفق عليه .

(٣) أخرجه الترمذي وصححه . حسن الأسوة : ص ٣٢٧ .

جليلة ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمهلوا ، حتى ندخل ليلاً ، كي تمتشط الشعثة ، وتستحد المغيبة » قال الراوي وهو جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقال : « إذا قدمت فالكيس الكيس »[1] . ينصح صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتمهل فإذا تقدم خبر مجيئهم وعلم الناس وصولهم ، وأنهم سيدخلون عشاء ، فتستعد لذلك المغيبة (التي غاب عنها زوجها) ، والشعثة وتصلح حالها ، وتتأهب للقاء زوجها . والله أعلم .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا قدمت فالكَيْس الكَيْس ، قال ابن الأعرابي : الكَيْس الجماع ، والكيس العقل ، والمراد حثه على ابتغاء الولد »[2] .

« وحسن معاشرة الرجل لزوجته مقياس لأعظم القيم ألا وهي كمال الإيمان واستقامة الدين . إن الزوج الذي يكرم زوجته ويعالج مشكلاته البيتية بالحكمة والهدوء ، والأساليب التي تدل على روح المحبة والرحمة ، هذا هو الزوج المثالي المؤمن الكامل . وهذا هو الجدير بالسعادة وهو خير الأزواج ، وأكرمهم عند الله ، كما جاء في الحديث الصحيح : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً ، وخياركم خياركم لنسائه »[3] .

ومن حقوق المرأة العدل :

العدل من مكارم الخصال وخاصة عند تعدد الزوجات ، حيث إنه يكثر الحيف والجور ، وغلبة الهوى في مثل هذه الحالات .

جاء في الحديث الشريف : « من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل »[4] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) شرح صحيح مسلم : ج ١٠/ ص ٥٤ .
(٣) ماذا عن المرأة : د. العتر ص ١١٤ .
(٤) أخرجه أبو داود في النكاح ، والترمذي : باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ، وابن ماجه والدارمي وإسناده قوي وصححه ابن حبان . ينظر في شرح السنة : ٩/ ص ١٥٠ .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه ، فيعدل ويقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »[1] .

العدل واجب في المبيت وفي الطعام والكسوة والهدايا وحسن المعاملة ، وفي المسكن ، أما ميل القلب فذلك قد لا يستطيع الإنسان أن يتحكم فيه ، ولذلك تقدم في الحديث الإشارة إليه .

والعدل حتى في السفر ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها »[2] .

ومن حقوق المرأة على زوجها : الإبضاع :

جاء في الفتاوى لابن تيمية رحمه الله : « يجب عليه وطؤها كل أربعة أشهر مرة ، وقيل : يجب وطؤها بالمعروف ، على قدر قوته وحاجتها ، كما تجب النفقة بالمعروف كذلك ، وهذا أشبه .

وللرجل عليها أن يستمتع بها متى شاء ما لم يضرّ بها ، أو يشغلها عن واجب ، فيجب عليها أن تمكنه من ذلك »[3] .

« والعلاقة يجب ألا تكون بين الزوجين علاقة شهوة فحسب . بل تكون بينهما علاقة حب ومودة وأنس .

علاقة تأتلف بها القلوب وتتصل الأرواح ، ويكون أحدهما موضع سر للآخر ، وشريكه في البؤس والرخاء ، ويكون بينهما من الملازمة والاتصال ما

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي بسند جيد . انظر مشكاة المصابيح ٢/٩٦٥ .
(٢) متفق على صحته : شرح السنة : ٩/١٥٣ .
(٣) الفتاوى : ٢٨/٣٨٤ .

يكون بين الجسد والثوب »[1] .

وقد أشارت الآية الكريمة إلى العلاقة الشفافة الرفيعة الودودة . إذ يقول تعالى : ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ومن آداب الإسلام أن تبقى علاقة الزوجين وأحاديث الفراش وما يدور بينهما سراً لا يفشى ، وقد حرّم الشرع الحنيف ونفر من ذلك . عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها »[2] .

وهكذا رفع الإسلام مكانة المرأة عند زوجها :

فأكرمها وأعزها ، فمن كرائم الزوجات ، ومن كان لهن الحظوة عند أزواجهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن . ومن أكثرهن مكانة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها .

وهي ممن كمل من النساء ، كانت عاقلة جليلة مصونة كريمة ، من أهل الجنة ، وكان صلى الله عليه وسلم يثني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين ، حتى أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول : « ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر النبي لها »[3] .

كيف لا يعظمها ويعزها صلى الله عليه وسلم ، وكان موقفها الجليل من بدء الوحي ما عجز عنه الرجال ، مما يدل على عمق تفكيرها ، ورجاحة عقلها ، هذا والإسلام قبل كل شيء رفع منزلتها كامرأة مسلمة .

ومكانة السيدة عائشة عظيمة :

عن عمرو بن العاص قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . فقلت : ومن الرجال ؟ قال : أبوها ، قلت :

(١) الحجاب : المودودي ص ١٤٥ .

(٢) رواه مسلم : مشكاة المصابيح ٢/٩٥٢ .

(٣) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسلم في فضائل الصحابة ، والترمذي في المناقب . انظر أعلام النبلاء: ٢/١١٠ .

ثم من ؟ قال : عمر . ثم عدّ رجالاً »[1] .

هكذا أعز الإسلام المرأة ، وهذه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله تؤكد ذلك .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمون نساءهم ويشعرونهن بالثقة والمودة .

عن حذيفة أنه قال لامرأته : « إنْ سرك أن تكوني زوجتي في الجنة ، فلا تتزوجي بعدي ، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا . فلذلك حرم على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن ينكحن بعده ؛ لأنهن أزواجه في الجنة »[2] .

« وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس . قال قتادة فغسلته بنت عميس امرأته »[3] .

وقيل : عزم عليها لما أفطرت . وقال : هو أقوى لك . فذكرت يمينه في آخر النهار ، فدعت بماء فشربت وقالت : والله لا أتبعه اليوم حنثاً .

ومن طريف ما يروى قصة عبد الله بن أبي بكر الصديق مع زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، كانت حسناء جميلة ، فأولع بها حتى شغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها فقال :

يقولون طلقها وخيِّم مكانها ... مقيماً تمني النفس أحلام نائم
وإن فراقي أهل بيت جمعتهم ... على كره مني لإحدى العظائم

ثم عزم عليه أبوه حتى طلقها فتبعتها نفسه ، وسمعه أبوه يوماً يقول :

ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها من غير جرم تطلق

---

(١) أخرجه الشيخان والترمذي: انظر حسن الأسوة ص ٣٨٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٢٠٨/٢ ورجاله ثقات .

(٣) أخرجه ابن سعد : ٢٨٣/٨ وخبر تغسيل زوجته له أخرجه الإمام مالك ٢٢٣/١ . انظر سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٢ .

فرق له أبوه وأذن له فارتجعها ، ثم قالت : لما كان حصار الطائف أصابه سهم فكان فيه وفاته . فمات بالمدينة ورثته بأبيات منها :

فآليت لا تنفك عيني حزينة   عليك ولا ينفك خدي أغبرا[1]

جـ - حقوق وواجبات مشتركة :

الأسرة المستقرة في الإسلام يتناصح فيها الزوجان ، فلا يقر أحدهما الآخر على معصية . ويعتدل كلاهما في أثاث المنزل ، فلا ترف ولا تبذير ، يبتعدان عن استخدام الأواني الفضية لحرمة استعمالها وكذلك الذهبية . ويبتعدان عن تعليق صور ذات الأرواح .

ويكون هدفهما حسن توجيه الأطفال نحو قيم الإسلام وتعاليمه ، فلا يتدخل أحدهما عند توجيههم من قبل الآخر ، حرصاً على سلامة النشء النفسية ، ولا يظهران خلافاً أمام الأطفال مهما كانوا صغاراً ؛ لأن هذا يؤثر في نفسياتهم .

وأخيراً لابد من أن يتنازل أحدهما عن بعض رغباته ومطالبه ما دامت في حدود الإباحة في سبيل حياة أسرية هانئة .

ولا يسعنا إلا أن نقول مع السباعي رحمه الله : « لا أعتقد أن في الحياة سعادة تفوق سعادة الإنسان في بيته ، وشقاء يعادل شقاءه مع أهله ، فمن كان في بيته سعيداً عاش مع الناس سعيداً . ومن كان في بيته منغصاً يفقد الهدوء النفسي ، عاش مع الناس سيء الخلق متبرماً بهم ، ضيق الصدر في تعاملهم . وإذا كان الغربيون يقولون في أعقاب كل جريمة : فتش عن المرأة . فإن من الواجب أن نقول في أعقاب كل مشكلة اجتماعية وكل انحراف خلقي : « فتش عن البيت »[2] .

---

(١) الإصابة : ٣٤٩/٤ .

(٢) أخلاقنا الاجتماعية : د. مصطفى السباعي ص ١٢٢ .

٥ – أنكحة محرمة في الإسلام .

حرم الإسلام كثيراً من أنواع النكاح في الجاهلية ، مثل نكاح الاستبضاع ونكاح الرهط ، ونكاح البغايا ، ونكاح الشغار ، واتخاذ الأخدان ، ونكاح المقت وكذلك المتعة[1] .

ونزيد الأمر إيضاحاً هنا في إيراد آيات من كتاب الله تعالى . قال تعالى في تحريم نكاح المقت : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً** ﴾ [النساء : ٢٢] .

وحرم نكاح ذوات المحارم من الأصول والفروع . قال تعالى : ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف . إن الله كان غفوراً رحيماً . والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ [النساء : ٢٣، ٢٤] .

وحرم الإسلام كذلك الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها والمرأة وابنتها .

« وكانت العرب في جاهليتها تحرم نكاح الأمهات والبنات والخالات والعمات ، وقد تنزهت العرب ولا سيما قريش عن هذه المناكح حفظاً لحرمة الأرحام ... وكان أقبح ما يصنع بعضهم أن يجمع بين الأختين ، وأن يخلف أحدهم أباه على زوجته بعد موته »[2] .

---

(١) انظر أنكحة الجاهلية : بحث الزوجة في العصر الجاهلي من هذا الفصل .

(٢) بلوغ الأرب : ٥٢/٢ .

وقد تباعد أهل مكة في المناكح عن البنت وبنت البنت، والأخت وبنت الأخت غيرة ونفوراً من المجوسية[1] .

ومما أبطله الإسلام كذلك من عوائد العرب **العَضْل** : وهو أنهم كانوا يطلقون المرأة حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها زوجها لا عن حاجة ، ولكن بقصد تطويل العدة ضراراً بها . قال تعالى : ﴿ **ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** ﴾ .

ومما حرمه الإسلام نكاح المشركة . قال تعالى : ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين** ﴾ [النور : ٣] .

وأحل الله سبحانه وتعالى للمؤمنين العلاقات الطيبة ، والزواج الطاهر . قال تعالى : ﴿ **اليوم أحل لكم الطيبات ... والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ [المائدة : ٥] .

ويقول ابن تيمية في هذا المجال : « فإن قيل : فقد قال : ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة** ﴾ قيل : هذا يدل على أن الزاني الذي لم يتب لا يجوز أن يتزوج عفيفة . كما هو إحدى الروايتين عند أحمد .. وقد قال الشعبي : من زوج كريمته من فاجر فقد قطع رحمها »[2] .

أما ما شاع من **نكاح المحلّل** فهو شرٌ من **نكاح المتعة** .

« فإن نكاح المحلل لم يبح قط ، إذ ليس مقصود المحلل أن ينكح وإنما مقصوده أن يعيدها إلى المطلق قبله ، فهو يثبت العقد ليزيله ، وهذا لا يكون مشروعاً بحال .

وهذا نكاح بغيض عند الله والمؤمنين ، ويسمى المحلّل « التيس المستعار » .

---

(١) معجم البلدان : ١٣٧/٨ ، ط دار السعادة بمصر .

(٢) الفتاوى : ١٢٠/٣٢ .

« وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب على نكاح « السر » لأنه من جنس اتخاذ الأخدان وشبيه به ، لا سيما إذا زوجت المرأة نفسها بلا ولي ولا شهود ، ثم كتما ذلك .

فهذا مثل الذي يتخذ صديقة ليس بينهما فرق ظاهر معروف عند الناس ، يتميز به عن هذا »[1] .

(١) المرجع السابق : ١٢٦/٣٢ .

الفصـــل الرابــع
الزواج وآثاره في الجاهليــة والإسلام

المبحث الأول :

الزواج والطلاق عند أهل الجاهلية :

١ - النكاح وحق القوامة .
٢ - النسب والتبني .
٣ - تعدد الزوجات .
٤ - الطلاق عند أهل الجاهلية .
٥ - الحيض والعدة .
٦ - الميراث عند أهل الجاهلية .

المبحث الثانـــي :

الزواج والطلاق وما يترتب عليهما في ظلال الإسلام :

١ - تعدد الزوجات .
٢ - الطلاق وحدوده في الإسلام .
٣ - العدة .
٤ - الميراث في الإسلام .

المبحث الأول
الزواج والطلاق عند أهل الجاهلية

نريد من ذلك ما يترتب على الزواج والطلاق من حقوق تتعلق بالزوجين شخصياً وبأسرتهما ، ولذلك سنتحدث هنا عن الميراث والتعدد ، إضافة إلى ما يترتب على الزواج والطلاق من حقوق وواجبات .

١ - النكاح :

ولابد فيه من رضى الطرفين وموافقتهما وموافقة الوالدين أو ولي الأمر .

هـذا هو الأصل في الزواج عند أهل الجاهلية ، ويحق لولي الأمر إجبار ابنته على الزواج بمن يريده ، أو من يوافق عليه ، وليس لها مخالفته ، وقد يسمح لها بإبداء رأيها في الزوج والزواج ، إلا أنّ ذلك كان خاصاً في الأسر المحترمة غالباً ، وعند أولياء الأمور الذين ليس لهم من البنات غير واحدة أو اثنتين[1] .

حق القوامة :

الرجال قوامون على النساء ، والمرأة للبيت فالرجل هو رب الأسرة وسيد المنزل ، والقيم الطبيعي والمسؤول عن تربية أولاده ، والمسؤول عن إعالة زوجته وأولاده ، والزوجة تبع لبعلها ، وعليها طاعته مادامت أوامره لا تنافي الخلق والمألوف عندهم : وبسبب هذه السيادة قيل للزوج : «بعل»[*] في العربية وكثير من اللغات السامية ، فالرجل هو بعل المرأة ومن تلده يكون للبعل ، فهو في ولايته وعليه تربيته حتى يبلغ أشده ، ولهذا الحق لم تمانع شرائع الجاهليين في وأد البنات

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٥٢٧/٥ جواد علي .

(*) وبعل : تعني الرب .

أو قتل الأولاد ، ولم تعتبر من يفعل ذلك قاتلاً بل لم تؤاخذه على فعله ، حتى الأمهات لم يكن من حقهن منع الآباء من وأد بناتهن ، أو قتل أولادهن .

وبسبب هذا الحق لم يكن للولد الاعتراض على ما يفرضه أبوه عليه من حقوق ، ولا مخالفة أوامره ونواهيه ، لا يمنع ذلك إلا قوة الولد وتوسط الناس ، فإذا اشتد عود الولد صار الحق إلى جانبه ، وصار في وسعه معارضة والده ، وليس في إمكان الوالد فعل شيء بعد بلوغ ابنه سوى خلعه والتنصل منه على رؤوس الأشهاد[1] .

وطبيعي أن في استعمال حق القوامة دون ضابط عنتاً وظلماً كان يلحق بالزوجة والأولاد .

٢ - النسب والتبني[2]:

ينسب الولد في الجاهلية إلى الأب ، لأن الولد عندهم للفراش ، وهو يرث والده، ولذلك ألحق أولاد الزنا بآبائهم ونسبوا إليهم، أما إن كثر أزواج المرأة فيُلحق المولود بالوالد حسب قول أمه ، أو حسب الشبه إن وقع خلاف في ذلك .

والاستلحاق معروف في الجاهلية ، وهو أن يعترف رجل بأبوته الحقيقية لولد ما ، ويدعيه ابناً له فيلحق به ، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ، وقد كان بعض أهل الجاهلية يلمون بإمائهم (ومنهن بغايا) . فإذا جاءت إحداهن بولد ، ربما ادعاه السيد والزاني فيلحق بالسيد ، لأن الأمَة فراش كالحرة[3] .

وإذا استلحق الرجل ولد أمته به صار ولده ، لأن سادات العرب كانوا يتصلون بإمائهم في الجاهلية ، من غير عقد زواج باعتبار أن الأمة ملك مالكها وسيدها ، فله حق إلحاق أبنائها به إن شاء .

---

(١) جواد علي : ٥/٥٢٨ .
(٢) المرجع السابق : ٥/٥٥٨ .
(٣) لسان العرب : ١٠/٣٢٨ .

أما التبني :

فقد اعترف به أهل الجاهلية ، ويجوز لأي شخص كان أن يتبنى ، ويصبح للولد المتبنى الحقوق الطبيعية للأبناء ، ويعتبر بهذا التبني فرداً من أفراد العائلة التي تبنته ، له حق الانتماء والانتساب إليها ... ويكون ذلك بالتراضي مع والد الطفل ، أو ولي أمره ، أو مالكه ...

ويعلن المتبني عن تبنيه للطفل من إلحاقه به ... والعادة إشهاد جماعة من الناس على هذا التبني ، حتى لا يحدث نزاع على المتبنى فيما بعد . ويتم ذلك في الأماكن العامة غالباً ، وفي المناسبات ، والبيوت الخاصة .

ويقع التبني مع وجود أولاد للمتبني ، وليست له حدود من جهة العمر[١] .

وقد حرم الإسلام ذلك ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** ﴾ ، وغلظ الإسلام تحريم التبني والنسب إلى غير الأب ، وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمولاه زيد بن حارثة فدعاه إلى أبيه بعد أن كان يدعى زيد بن محمد .

المرأة العربية والميراث[٢]:

يبدو أن المؤرخين والمفسرين يجمعون على أن المرأة كانت مسلوبة حق الميراث ، لأن أهل الجاهلية لم يورثوا النساء ولا الصغار من الغلمان وقالوا : لا يرث إلا من طاعن بالرماح ، وذاد عن الحوزة ، وحاز الغنيمة[٣] .

وقال ابن حبيب : « كانوا لا يورثون البنات ولا النساء ولا الصبيان شيئاً من الميراث ولا يورثون إلا من حاز الغنيمة ، وقاتل على ظهور الخيل »[٤] .

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٥/٥٥٩ .

(٢) انظر جواد علي : ٥/٥٦٢ ، ٥٦٥ ، والحوفي : المرأة ٣٣٢ - ٣٣٩ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ٤/١٨٥ ، ٥/١٩١ .

(٤) المحبر ص ٣٢٤ .

ولم تكن المرأة تحرم من ميراثها عسفاً من أولياء أمرها بل كان بعض الذكور من الصغار يحرمون أيضاً .

فهذا طرفة بن العبد مات أبوه وهو صغير فأبى أعمامه أن يقسموا له ماله فقال[1]:

ما تنظرون بمال وردة فيكم   صغُر البنون ورهط وردة غيّبُ
قد يبعث الأمر العظيم صغيرُه   حتى تظل له الدماءُ تصبَّبُ

على أن بعضهم كان يورث المرأة في الجاهلية .

يقول ابن حبيب : « ورث ذو المجاسد ، وهو عامر بن جشم بن غنم ماله لولده في الجاهلية ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، فوافق الإسلام »[2] .

ويؤكد ابن حزم الأندلسي الخبر السابق . من أن عامر بن جشم أول من أعطى الذكر حظين والأنثى حظاً[3] وكذلك ورثت ضباعة بنت عامر من زوجها هوذة الحنفي مالاً كثيراً ورجعت به إلى قومها .

والنتيجة أن الأخبار متضاربة في موضوع إرث المرأة والزوجة في العصر الجاهلي وأكثرها أنها لا ترث أصلاً ، ويبدو أن عادة حرمان النساء من الإرث لم تكن سنة عامة عند جميع القبائل ، ولكنها كانت عند قبائل دون أخرى[4] .

ولم تكن المرأة ذات حق معلوم في الميراث ، وإنما كان العرب يرضونها بمقدار من المال قل أو كثر .

ولما جاء الإسلام حَدَّد المواريث بالعدل كما سنرى في البحث القادم .

---

(١) الشعراء الستة : الأعلم الشمنتري ص ٤٤١ .
(٢) المحبر : لابن حبيب ص ٢٣٦ .
(٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٩٠ .
(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ٥/٥٦٣ .

٣ - تعدد الزوجات :

من حق الرجل في الجاهلية أن يتزوج ما يشاء من النساء دون تحديد ولا حصر ، إذ لم يكن في شرائعهم ما يحدد ذلك ، ويذكر أهل الأخبار أن أهل الحرم هم أول من اتخذ الضرائر ، والضرائر : زوجات الرجل الواحد ، وكل واحدة ضرة للأخرى[1] .

وعندما بزغ فجر الإسلام كان في ثقيف رجال عند كل منهم عشر نسوة كمسعود بن معقب ، وعروة بن مسعود ، وسفيان بن عبد الله وغيلان بن سلمة . فلما أسلم غيلان وسفيان وأبو عقيل مسعود بن عامر ، نزل كل منهم عن ست وأمسك أربعاً[2] .

وكان عند أبي سفيان بن حرب ست ، وعند صفوان بن أمية ست نسوة أيضاً[3] .

كما أن التشريع الجاهلي كان قد أباح للرجل أن يمتلك أي عدد يشاء من الإماء ، ولا تكون الأمة زوجة إلا إذا أعتقها مالكها وتزوجها ، وإلا فهي ملك له ...

وقد روى علماء التفسير : أن الرجل من قريش كان يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل ... وما كانوا يعدلون بين نسائهم[4] .

حتى جاء الإسلام فأمر بالعدل وإلا فواحدة ، حيث كان غالبية العرب يعددون ، وكان بعضهم يقتصر على زوجة واحدة ، وقد جاء في أمثالهم : « خير الرجال الذي يكرم الحرة ولا يجمع الضرة » .

---

(١) لسان العرب : ١٢/١٢١ ، مادة حرم .

(٢) المحبر : ابن حبيب ص ٣٥٧ .

(٣) الإصابة : ٨/١٣٩ .

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ٥/٥٤٧ .

ورفضت ماويّة بنت عفزر أن تتزوج حاتماً الطائي بعد أن اختارته وآثرته على خاطبيها، إلا بشرط أن يسرح زوجته فأبى ، فلما ماتت زوجته ، رضيت به وتزوجته[١] .

والحقيقة أن التعدد كان نظاماً طبيعياً وما يزال ، وكانت الأمم القديمة تعدد الزوجات كالعبريين في كتبهم وواقعهم ، والنصارى في واقعهم المرير ، وإن تحايل بعضهم على الشريعة عندهم ، فقد كان المنذر بن الحارث الغساني بطريقاً وحامياً للكنيسة الشرقية ، ولكنه تزوج نساء كثيرات[٢] .

ورغم شيوع التعدد إلا أنه لم يكن كفيلاً بالتخفيف من تباغض الضرائر وتحاسدهن ، ولهذا كانت الزوجة تفجع بالضرة ، وكانت المودة لا تصفو بين ضرتين ، وكثيراً ما كانت الأولى تشغب على الثانية ، ومن طريف ما يروى أن امرأة اسمها : الوِرْثة بنت ثعلة ، كانت زوجة لذهل بن شيبان ، وكلما تزوج زوجها امرأة ضربتها الورثة وأجلتها ، فلما تزوج رقاش بنت عمرو تحرشت بها الورثة ، ثم وثبت عليها لتضربها ، فأمسكتها رقاش ، وغلبتها فقالت الورثة :

يا ويح نفسي اليوم أدركني الكِبَرْ	أأبكي على نفسي العشية أمْ أذَرْ
فوالله لو أدركتِ فيّ بقيــةً	للاقيت مالاقى صواحبك الأخر[٣]

على أن بعض الرجال ربما تحامى هذه الحياة المشوبة بالشحناء ، ومن هؤلاء ما رواه لنا شاعر أعرابي تزوج اثنتين ، ثم أوْصَى بالعزوبة ، بعد أن صور حياته بينهما في قوله[٤]:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي	بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفــاً	أنعّمُ بين أكــرم نعجتيــن

(١) الأغاني : ١١/١٠٤ .

(٢) المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ٢٣٤ - ٢٣٨ .

(٣) مجمع الأمثال : الميداني ١/١٥٥ طبعة ١٩٦١م .

(٤) الأمالي : لأبي علي القالي ٢/٣٥ طبعة دار الكتب .

فصرت كنعجة تُضحي وتمسي   تُداول بين أخبث ذئبتين
رضا هذي يسخط هذي   فما أعرى من احدى السَّخطتينْ
لهذي ليلة ولتلك أخرى   عتاب دائم في الليلتين
فإنْ أحببت أن تبقى كريماً   من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزباً فإن لم تستطعه   فضرباً في عِراض الجحفلينْ

وغيرة المرأة أمر طبيعي ، وغريزية عندها ، إلا أن الإسلام خفف هذه الغيرة وهذبها ، وذلك بعدل الزوج ، وتهذيب الإسلام للجميع .

وسوف نتحدث مفصلاً عن أحكام الإسلام في تعدد الزوجات .

٤ - الطلاق :

كان أهل الجاهلية يطلقون ثلاثاً على التفرقة ، وأول من سن لهم ذلك إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وأكثر أحكام الزواج والطلاق وما يتعلق بهما كانت متأثرة بالديانة الحنيفية عند العرب بشكل أو بآخر .

كان العربي في الجاهلية يطلق زوجته واحدة وهو أحق الناس بها ، حتى إذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها[١] .

ومن ذلك ما يشير إليه الأعشى حين تزوج امرأة ثم طلقها قال[٢] :

أيا جارتا بِيني فإنك طالقه   كذاك أمور الناس غادٍ وطارقهْ

قالوا : ثانية فقال :

وبيني فإن البين خير من العصا   وألّا ترِيْ فوق رأسك بارقهْ

قالوا : ثالثة ، فقال :

وبيني حصان الفرج غير ذميمة   ومَوْموقة قد كنت فينا ووامقه

---

(١) انظر بلوغ الأرب : ٤٩/٢ ، والمحبر ص ٣٠٩ .

(٢) ديوان الأعشى ص ١٢٢ (طبعة بيروت ١٩٨٣م) ، والجارة : الزوجة .

فكرر الأعشى الطلاق ثلاث مرات متفرقات ، وقد التزم أهل مكة هذا التفريق ، وأحياناً كانوا يوقعون الثلاث دفعة واحدة . يدل على ذلك قول الشاعر[1] :

فإن ترفقي يا هند فالرفق أيمن ... وإن تخرقي يا هند فالخرق أشأم
فأنت طلاق والطلاق عزيمة ... ثلاثٌ ومن يخرق أعق وأظلم
فبيني بها أنْ كنت غير رفيقة ... وما لامرىء بعد الثلاث مقدّمُ

وقد ذكر أن من عادة أهل الجاهلية أن يقول الرجل للزوجة إذا طلقها : « حبلك على غاربك » أي خليت سبيلك فاذهبي حيث شئت[2] .

(والحقي بأهلك) ، و(اخترت الظباء على البقر) وما شاكل ذلك من عبارات ، وهي ألفاظ نابعة من صميم محيط العرب في جزيرتهم ، وآثار البداوة واضحة فيها[3] .

ويظهر أن الجاهليين أوجدوا حلاً للطلاق ثلاثة ، وهو أن يرجع الزوج زوجته إليه بشرط أن تتزوج بعد وقوع الطلاق الثالث من رجل غريب ، على أن يطلقها بعد اقترانها به ، وعندئذ يجوز للزوج الأول أن يعود إليها بزواج جديد ، وقد ذم الإسلام ذلك وسماه « المحلّل » وهو التيس المستعار ، والمحلّل له لا مروءة عنده . وهو حل كان مذموماً حتى في الجاهلية ، ومحرماً في الإسلام[4] .

وهنالك صور أخرى للطلاق عند العرب : منها الخلع وهو فراق الزوجة على مال ، والخلع مأخوذ من خلع الثوب ، لأن المرأة لباس الرجل ... وذكر أن أول خلع كان ، أن عامر بن الظرب زوج ابنته من ابن أخيه عامر بن الحارث

---

(١) انظر : المرأة في الشعر الجاهلي ص ٢٦٣ للحوفي .
(٢) تاج العروس : ٤١١/١ (مادة غرب) .
(٣) اللسان : (مادة عرب) ، ٤٤/١ ، والميداني في الأمثال .
(٤) انظر : تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ٥٥٠/٥ .

ابن الظرب ، فلما دخلت عليه نفرت منه ، فشكا إلى أبيها . فقال : لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك ، وقد خلعتها منك بما أعطيتها[1] .

وقال الشافعي رحمه الله : سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : كان أهل الجاهلية يطلقون بثلاث : الظهار ، والإيلاء ، والطلاق ، فأقر الله تعالى الطلاق طلاقاً ، وحكم في الإيلاء والظهار بما بين في القرآن .

والظهار : هو تشبيه الرجل زوجته بأمه أو بمحرم عليه تأبيداً ، كأن يقول : أنت عليَّ كظهر أمي أو كبطنها ....، أو كظهر أختي أو عمتي[2] .

وهو طلاق يظهر أنه كان شائعاً فاشياً بين الجاهليين سبب انتشاره التسرع والتهور ، وعدم ضبط النفس وكان الظهار من أشد طلاق أهل الجاهلية ، وكان في غاية التحريم عندهم[3] .

وقد أقر الإسلام الخلع مراعاة لصالح المرأة لأنها قد تبغض زوجها ، وتتأذى بعشرته ، ويأبى هو أن يتركها حرصاً عليها أو نكاية بها ، أو أسفاً على ما أنفق عليها في زواجها .

أما الإيلاء : فهو الحلف على ترك الاقتراب من المرأة مدة ... إذ كان إيلاء الجاهلية ، يبلغ السنة والسنتين ، فوقت الله لهم أربعة أشهر ، فمَن إيلاؤه أقل من أربعة أشهر فليس بإيلاء[4] .

---

(١) عيون الأخبار : ابن قتيبة ٧٦/٤ ، طبعة دار الكتب المصرية .
(٢) بلوغ الأرب : ٤٩/٢ - ٥٠ .
(٣) جواد علي : ٥٥٠/٥ .
(٤) بلوغ الأرب : ٢ / ٥٠ .

دواعي الطلاق عند العرب[1]:

هنالك أسباب كثيرة للطلاق من أهمها :

الفقـر : فقد سألت بنيةَ بن الحجاج السهمي زوجتاه أن يطلقهما لأنه افتقر فقال[2]:

تِلك عِرساي تنطقان على عمْد   لي اليوم قول زور وهتْــر
سألتاني الطلاق أنْ رأتا مالي   قليلاً قد جئتماني بنكــر

وقد يضم **كبر السنّ** إلى الفقر ، وفي هذا يقول عبيد بن الأبرص[3]:

تلك عِرسي تمضي تريد زِيالي   أَلِبَيْنٍ تريد أم لــدلال ؟!
زعمتْ أنني كبرت وأنــي   قل مالي وضنّ عني الموالي

وربما كان تطاول الزوجة على قوم الزوج ، سبباً يؤدي إلى تطليقها ، كما طلق حسان بن ثابت زوجه عمرة بنت الصامت الأوسية[4] .

وربما يطلق الرجل زوجته ، لأنه لا يأنس إليها ، كما فعل الأعشى مع زوجته ...

حق المرأة في الطـلاق :

كان لبعض النساء العربيات حق طلب الطلاق ، وبعضهن كان بيدها حق الطلاق ، أي تطلق الرجل متى شاءت . وكان طلاقهن أنهن إن كن في بيت من شعر حولن الخباء فإن كان بابه قبل المشرق حولنه قبل المغرب ، وإن كان

---

(١) انظر : المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ٢٦٠ – ٢٦٢ .
(٢) الأغاني : ٢٦٠/١٦ ، والبيان والتبيين : الجزء الأول ، وفيه أن القائل هو سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل .
(٣) ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٠٦ .
(٤) الأغاني : ١٤/٣ .

قبل اليمن حولنه قبل الشام ، فإذا رأى الرجل ذلك علم أنها قد طلقته فلم يأتها[1] .

أما الحضريات فكانت لهن طريقة أخرى في الإعلام بالتطليق ، ذلك أنهن لا يعالجن للزوج طعامه إذا أصبح[2] .

ومن هؤلاء اللاتي تميزن بحق التطليق : سلمى بنت عمرو بن زيد أم عبد المطلب ... كانت لا تتزوج إلا وأمرها بيدها .

وأم خارجة عمرة بنت سعد البجلية ، وعاتكة بنت مرة السلمية وغيرهن كثير ... وذلك لشرفهن وقدرهن[3] .

على أن هؤلاء اللائي كانت العصمة بأيديهن لم يتلاعبن بها ، يدل على ذلك أن ماوية لم تطلق حاتماً إلا بعد أن يئست من كفه عن التخرق في كرمه .

وأن رجلاً من آل أبي طالب غضب على امرأته يوماً فقال لها : أمرك بيدك : فقالت : أما والله لقد كان في يدك عشرين سنة فحفظْتَه وأحسنت صحبته ، فلا أضيعه إذ كان في يدي ساعة من نهار ، وقد رددت عليك حمقك ، فأعجبه قولها وأحسن صحبتها[*] .

حسرة بعد الطلاق :

كثيراً ما كان الزوج يحزن ، ويندم على فراق زوجته ، مما يدل على قوة العلاقة بين الزوجين في الأسرة الجاهلية .

كانت أم أوفى زوجة زهير بن أبي سلمى ، لم يعش لها أولاد ، تزوج زهير

---

(١) الأغاني : ١٢/٦ .

(٢) مجمع الأمثال : الميداني ٣١٨/١ .

(٣) انظر المحبر : لابن حبيب ص ٣٩٨ ، والأغاني : ١١٩/١٣ .

(*) بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٣٢ ، نقلا عن الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي .

فغارت ، وطلبت الطلاق فطلقها ، وهو حزين متألم ، بعد أنْ ذكرها بأيام المودة وحسن علاقتهما وقال[1]:

لعمرك والخطوبُ مغيـرّاتٌ وفي طول المعاشـرة التعالـي
لقد باليتُ مظعن أم أوفى ولكنْ أم أوفى لا تبالـي
فإمّا إذا ظعنتِ فلا تقولـي لدى صهر أُذلتِ ولم تذالي

وقد تهيب الشاعر أبو قردودة أن يطلق زوجته لأنه لا يطيق صبراً على فراقها ، ولكنها أصرت على الفراق فآلمته وأبكته[2]:

كبيشة عِرسي تريد الطلاقا وتسألني بعد وَهْيٍ فراقـا
كبيشة إذ حاولت أن تبين يستبق الدمع مني استباقـا

ولما تحايلت على عروة بن الورد امرأته ، ولحقت بأهلها أرق وتحسر وتذكر وقال[3]:

أرقت وصحبتي بمضيق عَمْقٍ لبرقٍ من تهامة مستطيـر
فيا للناس كيف أطعت نفسي على شيء ويكرهه ضميـري

هذا وللظروف الاجتماعية والاقتصادية آنذاك دخل كبير في الطلاق إذ كان سهلاً على ما يظهر ، وكان عقوبة أحياناً يوقعها الرجل بامرأته لمسائل تافهة انتقاماً منها أو من ذوي قرابتها ، كما أن الجهل والفقر كانا عاملين مهمين في وقوع الطلاق ، فبعد أن يهدأ روع الزوج كان يندم ويتحسر ، ولذلك شدد الإسلام فيه مع إباحته[4] .

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين : طبعة دار الفكر ص ٣٤١ .
(٢) الحيوان للجاحظ : ٤٦٣/٥ .
(٣) ديوان عروة ص ٣١ دار صادر بيروت ، والشعر والشعراء ٦٧٦/٢ ، ومضيق عمق : موضع قرب المدينة .
(٤) جواد علي : ٥٥٤/٥ .

٥ - الحيض والعدة :

الحيض :

كان أهل الجاهلية لا تساكنهم حائض في بيت ، ولا تؤاكلهم في إناء ، كانوا يجتنبون أن تصبغ المرأة رأس زوجها ، أو أن تؤاكله طعامه ، أو أن تضاجعه في فراشه .

وكان لا يسمح للحائض بدخول الكعبة ، أو بالطواف بها ، أو بمس الأصنام لأن الحائض غير طاهرة .

بل كان منهم من يعتزل زوجه في بيته فلا يقترب منها أو يدنو منها[١] .

وذكر بعض علماء التفسير : أن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بني إسرائيل في تجنب الحائض ومساكنتها[٢] فلما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحيض ؛ أنزل تعالى : ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن** ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

وقد ورد ذكر الحيض في الشعر الجاهلي . قال الأعشى يمدح ممدوحه باشتغاله في الغزوات حتى فاته طهر نسائه[٣]:

وفي كل عام أنت جاشمُ غزوة تشدُّ لأقصاها عزيم عزائكا
مورِّثةً مالاً وفي الحمد رفعةً لما ضاعَ فيها من قروء نسائكا

ويقول الربيع بن زياد العبسي يحرض قومه في طلب دم مالك بن زهير العبسي[٤]:

أفبعدَ مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقبَ الأطهار

---

(١) انظر تفسير الطبري : ٢٢٤/٢ ، وابن كثير : ٢٥٨/١ .

(٢) انظر تفسري القرطبي : ٨١/٣ ، وانظر جواد علي : ٥٥٥/٥ .

(٣) الديوان ص ١٣٢ ط ١٩٨٣م . جاشك غزوة : قائم بمصاعبها ، عزائك : صبرك ، قروء : جمع قرء ويعني الحيض والطهر (ضد) .

(٤) حماسة أبي تمام : تحقيق العسيلان : ٤٩٤/١ .

العـدة[1] :

كانت النساء تعتد من الطلاق والموت ، وكن يبالغن في احترام حق الزوج وتعظيم حرمة عقد النكاح غاية المبالغة .

فقد كانت المرأة إذا مات زوجها ، تتربص سنة في شر ثيابها ، وحِفش بيتها[2] ، ولم تمس طيباً حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتى بدابة ، حمار أو شاة أو طائر ، فتفتض به « أي تمسح جلدها به » ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ، ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره ، وكانت ترمي بالبعرة أمامها ، فيكون ذلك إحلالاً لها ، أو ترمي بها كلباً أو غيره ، لتري من حضرها أن مقامها حولاً أهون عليها من بعرةٍ ترمي بها كلباً أو غيره ، أو أن رمي البعرة إشارة إلى رميها العدة كما ترمي البعرة[3] .

وجاءت امرأة تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابنتها ، توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها قالت : أفنكحلها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، مرتين أو ثلاثا » ، كل ذلك يقول : لا ، ثم قال : « إنما هي أربعة أشهر وعشراً ، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول ... » كما جاء في الحديث السابق[4] .

وقد أبطل الإسلام ذلك وجعل عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام، حيث يستبرأ الرحم وهي مدة كفيلة ببيان الحمل قال تعالى: **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾** [البقرة: ٢٣٤].

---

(١) انظر بلوغ الأرب : ٤٩/٢ وما بعدها .

(٢) الحفش : البيت الصغير .

(٣) انظر فتح الباري : ٤٢٨/٩ .

(٤) متفق على صحته ، ينظر شرح السنة : ٩ / ٣٠٧ .

أما المطلقـة :

فقد ذكر أنها كانت تعتد في الجاهلية ، ولكن لم يرد تفصيل لطريقة عدتها وأجلها ، وذكر أيضاً أنها كانت لا تعتد ، وأن بعض النساء ولدن من أزواجهن الأولين ، وهن في عصمة الآخرين .

كانت المرأة المطلقة تتزوج في الجاهلية دون مراعاة للعدة ، وإذا كانت حاملاً عد حملها بعد الولادة مولوداً من زوجها الجديد ، ويكون الزوج عندئذ والداً شرعياً لذلك المولود[1] .

٦ - حقوق المرأة المالية : الميراث .

ملكية المرأة العربية[2] :

يبدو أن المرأة في العصر الجاهلي كان لها مال تمتلكه ، ولكن الرجال أجحفوا بها في طور متأخر ، والدليل ما أشارت إليه الآية الكريمة : **﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾** [النساء : ٣] .

وقد سئلت السيدة عائشة عن هذه الآية فقالت : « هذه اليتيمة تكون. في حجر وليها تشاركه في ماله ، ويريد أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن »[3] .

وفي الشعر الجاهلي : ورد أن حاتماً الطائي قال لامرأته وقد لامته على كثرة البذل من ماله : إنَّ مالكِ كثير مصون ، فلماذا تلومينني على أن أسخو بمالي ؟ قال[4]:

ذريني ومالي إنّ مالك وافرٌ   وكل امريءِ جار على ما تعودا

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٥/٥٥٦ ، والحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ص ٢٧٨ .
(٢) انظر المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٢٦ - ٣٣٢ .
(٣) فتح الباري : ٩١/٩ ، وتفسير الطبري : ١٩٣/٥ .
(٤) ديوان حاتم ص ٤٠ طبعة دار صادر بيروت ١٩٦٣م .

وكانت أم حاتم عفيفة كريمة لا يسألها أحد شيئاً إلا أعطته ، كانت ذات يسار ولا تمسك شيئاً ، فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها ، ثم دفعوا إليها صرمة من إبلها ، فسألتها امرأة محتاجة فأعطتها القطيع وأنشدت[1]:

لعمري لقِدْماً عضني الدهر عضة فآليت ألا أمنع الدهر جائعاً
فقولا لهذا اللائمي اليوم أعطني فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عسيتم أن تقولوا لأختكم سوى عذلكم وعذل من كان مانعا

وكانت السيدة خديجة صاحبة مال ومتاجر ، كانت تستأجر رجالاً من قريش ليتاجروا لها ، وقد تاجر لها النبي صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم في السيرة النبوية .

وأكثر نساء الأمم القديمة كن محرومات من الملكية كالمرأة العبرية واليونانية ، ولم تخول المرأة الإنجليزية حق التملك إلا منذ عام ١٨٨٢م ، مع أنها كانت تزاول أعمالاً ولكن دخلها كان للأب أو للزوج ، وما تزال المرأة الفرنسية المتزوجة محظوراً عليها تصرفها فيما تملك إلا بإقرار زوجها ، ما لم تشترط في عقد الزواج أنها حرة في تصرفها المالي[2] .

---

(١) الأغاني : ٩٣/١٦ .

(٢) المرأة في العصور ص ٩٤، والقانون المدني الفرنسي نقلاً عن الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٢٩.

المبحث الثانـي

الزواج والطلاق وما يترتب عليهما في ظلال الإسلام

ترتبط أحوال الأسرة بالزوج من حيث القوامة أو التوجيه ، فعلى الزوج النفقة وإليه ينسب الأبناء .

وسوف نتحدث في هذا المبحث عن :

١ - **تعدد الزوجات** : العدل فيه ودحض مفتريات الأعداء حوله .

٢ - **الطلاق وحدوده في الإسلام ويشمل :**

الطلاق عند الأمم الأخرى .

تشريعات الإسلام وآدابه قبل الطلاق وبعده .

أنواع الطلاق .

الظهار والإيلاء .

٣ - **العـدة** .

٤ - **الميراث** .

وسوف نلاحظ أن الإسلام جاء بهذه الأحكام ليكفل للبشرية السعادة والاستقرار ، ويحقق العدل لمصلحة الزوجين .

وكان الأجدر أن نكتفي بإشارة عابرة إلى هذا العدل وهذه الأحكام الرفيقة ، لولا كثرة المخدوعين من أبناء جلدتنا بما يثيره أعداء الإسلام ضد هذه الأحكام .

وحيث أنه على المسلم أن يخاطب الناس على قدر عقولهم ، أحببنا أن نستأنس بعدد من حجج علماء المسلمين ، والمنصفين من كتاب الغرب .

١ - تعدد الزوجات :

كان التعدد شائعاً عند العرب في العصر الجاهلي كما عرفنا ، وكان الأمر منتشراً عند الأمم القديمة كذلك ... وما أدري لم أثار هذه القضية أتباع الصليب وحاقدو يهود ، وهو موجود في كتبهم القديمة ...

حتى أن بعضهم قد زعم أن نظام التعدد عند المسلمين كان من موجبات جمودهم ، وقد رد « لوبون » على ذلك بقوله : إن تعدد الزوجات عند المسلمين أفضل من تعدده عن الأوربيين ، وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين[١] .

والواقع أن تعدد الزوجات ما كان من موجبات تأخر أهله على ما صوره الشعوبيون ، بل دعت إليه ضرورة الفتوح ... وما كان الإسلام مبتدعاً في هذا التعدد ، فإن ذلك كان من المألوف عند الأمم ، حتى أن موسى وداود عليهما السلام أكثرا من الأزواج ... .

وقد صرحت إحدى نساء المورومون بقولها : أفضل أن أكون المرأة العاشرة لرجل سامٍ بمداركه ، على أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل متوسط[٢] .

ورغم أن التعدد مباح في الكتاب والسنة بحدود الأربعة للرجل المسلم ورغم أنّ واقع الصحابة والسلف الصالح كان لا يرى غباراً في هذا التعدد ، بل كانوا يدعون إليه ، ويطبقونه عملياً ودون أي ضير ، فإن بعض ربائب المستعمر الحاقدين أصدروا بعض القوانين في بلادهم تمنع تعدد الزوجات كالحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس السابق ، وزياد بري الرئيس السابق لجمهورية الصومال[٣] والتعدد كان معروفاً عند الأمم القديمة كلها .

---

(١) روح السياسة : جوستاف لوبون، عن الإسلام والحضارة العربية .

(٢) الإسلام والحضارة العربية : جـ ١/ ص ٨٣ .

(٣) انظر أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د . علي جريشة ، ومحمد الزيبق ، دار الاعتصام وعودة الحجاب : ١ / ٢١٧ .

وسوف نفصل ذلك في الباب الثالث من هذا الكتاب: دور القيادات السياسية في التآمر على المرأة المسلمة

التعدد في القديم عند الأمم الأخرى :

إن الديانة اليهودية كانت تبيح التعدد دون حدود .

وكان لأنبياء بني إسرائيل جميعاً زوجات كثيرات ، كما تشير إلى ذلك التوراة .

ولم يرد في المسيحية نص صريح يمنع تعدد الزوجات ، وإنما ورد في كتبهم على سبيل الموعظة أن الله خلق لكل رجل زوجته ، وهذا لا يفيد على أبعد الاحتمالات إلا الترغيب بأن يقتصر الرجل في الأحوال العادية على زوجة واحدة[1] .

وإن قدماء اليونانيين في أثينا كانوا يبيعون النساء في الأسواق ، ويبيحون تعدد الزوجات بغير حساب .

وقد أباح أهل اسبرطة تعدد الأزواج للمرأة الواحدة وأهل التيبت كذلك ، دون تعدد الزوجات للرجل الواحد .

وكان تعدد الزوجات قد فشا في أوربا ، زمن « سيزار » وكان معروفاً عند الجرمانيين زمن « ناسيت » .

وقد فشا التعدد عند الرومان فعلاً لا قانوناً ، حتى حظره « جوستنيان » في قوانينه ، ولكنه ظل منتشراً بالفعل .

وكان بعض البابوات قد أباحه لبعض الملوك بعد الإسلام مثل : « شارلمان » ملك فرنسا والذي كان معاصراً للخليفتين : المهدي والرشيد من العباسيين[2] .

وكان تعدد الزوجات شائعاً كذلك بين اليهود قبل السبي ، عند ملوكهم وأنبيائهم ، وناهيك بداود وسليمان عليهما السلام[3] .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي ص ٧١ - ٧٢ .
(٢) انظر حقوق المرأة في الإسلام : محمد رشيد رضا ص ٤٥ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٧ .

هذا هو واقع الأمم القديمة ، أما الإسلام فقد نظم العدد وحدد ضوابطه ، وحرم الظلم بين الزوجات ، وأوجب العدل بينهن ، وترك الإباحة متاحة لكل فرد حسب طاقته وظروفه ، ومصلحة المسلمين وهو واحد منهم .

العدل بين الزوجات واجب شرعي :

الغيرة : من طبيعة المرأة الغيرة على زوجها ، سواء في الجاهلية أو الإسلام ، إلا أن حسن المعاملة ، والعدل في حدود الطاقة البشرية يحسم المسألة نسبياً ، ولم يسلم من هذه الغيرة حتى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

« عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً . قالت : فغرت عليه ، قالت : فجاء فرأى ما أصنع فقال : مالك يا عائشة ! أغرت ؟! قالت : فقلت : وما لي أن لا يغار مثلي على مثلك . فقال رسول الله : أفأخذك شيطانك ؟ قالت : يا رسول الله ، أومعي شيطان ؟ قال : نعم ، قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم . قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم »[1] .

« وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت علي غضبى . قالت : فقلت من أين تعرف ذلك ؟ فقال : أما إذا كنت راضية عني فإنك تقولين : لا ورب محمد وإذا كنت غضبى قلت : لا ورب إبراهيم . قالت : قلت : أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك »[2] .

والواجب على المرأة إذا أحست بهذه الغيرة أن تحاول تخفيف حدتها ما استطاعت ، وألا تتكلف طلب ما ليس لها من حق ، فعن أسماء رضي الله عنها أنها حدثت : أن امرأة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

---

(١) رواه مسلم : عن هارون وعن ابن سعيد الأيلي بإسناد نحوه البداية والنهاية ص ٦٧ الجزء الأول .
(٢) متفق على صحته : شرح السنة ١٦٧/٩ .

يا رسول الله إن لي جارة فهل علي جناح أن أتشبع من زوجي بما لم يعطني ؟ فقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور »[1] .

العدل : كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم بالعدل بين نسائه ويحذر من الجور بينهن ، ولنا برسول الله أسوة حسنة .

عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »[2] .

العدل في الملبس والمسكن والمبيت والمعاملة واجب وفي حدود ما يملك الإنسان ، أما ميل القلب فلا يملكه الإنسان ، وهو أمر مستور لا يعدم الإنسان اللبق أن يجد له مخرجاً ، وهو جائز مع الزوجة في مثل هذا الموطن .

« عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما ، جاء يوم القيامة وشقه ساقط »[3] .

« وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها »[4] .

فحقوق الزوجة مكفولة في الإسلام ، وقد حفظ لها الإسلام كرامتها وراعى مشاعرها ، فلا تخدش حتى في السفر فأين من هذا المتباكون على حرية المرأة في هذا العصر ؟! وقد جعلوها سلعة مبتذلة ، وخليلة رخيصة ... وآخر ما يفكرون به هو حقوقها كزوجة .

---

(١) متفق على صحته : شرح السنة ١٦١/٩ . الجارة : الضرة ، المتشبع : المتكثر بأكثر مما عنده يتكلف به ، وهو الرجل يري أنه شبعان .
(٢) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي بسند جيد. انظر مشكاة المصابيح : ٩٦٥/٢ رقم: ٣٢٣٥.
(٣) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة والدارمي بسند صحيح ، مشكاة المصابيح : ٩٦٥/٢ .
(٤) متفق عليه : شرح السنة : ١٥٣/٩ .

مع أعداء التعدد وجهاً لوجه :

إن من يعارض تعدد الزوجات بحجة اتهام المعددين بالأنانية ، وتغليب دافع الجنس ، أو البعد عن الاهتمام بجودة التربية ...

هؤلاء يبتعدون عن المنطق السليم ، وعن واقع البشرية المعاصر .

« إن أعداء التعدد ... يُعارِضون في كل خطوة بالزنا ، وما فيه من المضار والويلات ، ولا يمكن لعاقل أن يفضل ويلات الفجور على تبعات التعدد ... .

ولذا قال مظهر عثمان بك ، الطبيب التركي الأخصائي الشهير في الأمراض العقلية والعصبية : إن الاكتفاء بالزوجة الواحدة – على ما يُرى في أوربا – هو مظهر كاذب بعيد عن الحقيقة ، وقد تبين أنه لا يمنع الفسق . فالأولى أن نحترم تعدد الزوجات المشروع في ديننا بدلاً من الاهتمام بهذا التوسع في الفسق والفجور » .

ويقول مصطفى صبري كذلك : « أنا لا أفهم معنًى للكتّاب الظاهرين بمظهر الرعاية ، والاهتمام بقلب الزوجة الأولى ، مع تسامحهم في الخيانة الموجهة إليها ... من جانب الزوج الذي يخادن امرأة غيرها بدلاً من أن يتزوجها »[1] ... لا وقد حاول الغربيون بعد الحرب العالمية ، أن يعودوا إلى فكرة تعدد الزوجات ، بسبب الحاجة إلى الرجال تعويضاً عن ملايين قتلى الحروب ، وليس في التوراة ما يناقض التعدد إن لم يكن فيها ما يدعو إليه .

وكلهم يجمعون على أن هذا التعدد موجود في الغرب بالفعل وإن لم تعترف به القوانين الموضوعة ، وإنه قل أن يسلم أحد المتزوجين من اتخاذ خليلات يزني بهن ، وحجتهم أن امرأة واحدة لا تقوم بحاجة الرجل طول السنة ، وأن هذا التعدد وإيجاد أولاد شرعيين أشرف وأنفع من السفاح وما يعقبه من الأمراض السرية[2] .

---

(١) قولي في المرأة : الشيخ مصطفى صبري ص ١٠ ، ١٨ – ١٩ بتصرف يسير .
(٢) الإسلام والحضارة الغربية : د. محمد محمد حسين ص ٨٤ ، ٨٥ .

لقد حلت الخدينات في الغرب – مع الأسف – محل الزوجات بل فضلهن بعضهم على الزوجة . « وقد صدر حكم قضائي نشر في بعض الصحف في باريس ، بأنه يجوز للرجل أن يوصي بما شاء من تركته لمعشوقته التي يستريح معها ، ويجد من عنايتها ما لا يجد من زوجته الشرعية . والشر يعقب الشر »[1] .

وهكذا تضيع حقوق الزوجة عند من يعاندون الفطرة السوية والشرائع المنزلة .

وهكذا كان تعدد الخدينات بسبب الحرمان من حق التعدد ... وفي التزام شرع الله أمن من الفتنة ووقاية من خزي الدنيا والآخرة والتعدد عموماً رخصة ، ليس واجباً ، أباحه الشرع لمصلحة رآها الشارع الحكيم العليم ... وقد حدد عدده الإسلام مع شرط العدل بعد أن كان سائداً عند الأمم كلها[2] .

ونساء المجتمعات الأخرى بدأن يجدن الحل في الإسلام :

هذه دراسة موضوعية حول قضية الساعة في ألمانيا ، في مقال لأحمد الزين يقول[3]: « المرأة الألمانية تريد رجلاً .. تنظف له البيت ، وتعد له الطعام ، وتغسل له وتكوي ، وبذلك تكون فخورة سعيدة لأنها تعيش لزوجها فقط ... .

قالت لي أستاذة في الجامعة : إن حل مشكلة المرأة في ألمانيا هو في إباحة تعدد الزوجات ... وأنها شخصياً مستعدة أن تقاسم امرأة في رجل ... .

هناك رجال يمكن أن يتزوجوا واحدة فقط ... ولكن هناك رجال بإمكانهم أن يسعدوا عشر نساء في وقت واحد – برأيها طبعا – إنني أفضل أن أكون زوجة على عشر لرجل ممتاز على أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل تافه فاشل ، إن هذا ليس رأيي وحدي ، إنه رأي كل إنسان في ألمانيا » ، « وفي أمريكا أكثر من جمعية

---

(١) حقوق النساء في الإسلام : السيد محمد رشيد رضا ص ١١٦ .

(٢) الإسلام والحضارة الغربية ص ١٦٩ .

(٣) جريدة أخبار اليوم : عدد ٧٢٣ عن تأملات في المرأة والمجتمع .

يجوب أعضاؤها نساء ورجالاً مختلف المناطق الأمريكية ، داعين في محاضراتهم للعودة إلى نظام التعدد »[1] .

هذا هو الإنصاف ، أي أن التعدد هو الحل لكثير من المشكلات الاجتماعية ، وفي الإسلام حُدد ذلك بحدود أربعة كما هو معلوم ، وليس بعشر كما تزعم أستاذة الجامعة .

هذا هو التعدد كما أباحه الشرع ، نعمة ومزية ينبغي أن يتباهى بها المسلمون .

٢ - الطلاق وحدوده في الإسلام :

الطلاق عند الأمم الأخرى :

عرف الطلاق بين الزوجين منذ القديم بشكل أو بآخر فقد كان معروفا عند **الرومان** ، إذ يُعتبر انحلال عقدة الزواج إلزامياً إذا مات أحد الزوجين أو فقد حريته ، ومن العجيب أنهم كانوا يجعلون من صور فقدان الحرية أن تزول عن الفرد صفة الوجاهة ، حيث يحكم عليه أن ينفصل من طبقة الأعيان ، ويصير من طبقة الشعب ...[2] .

وفي **الصين** يجوز للرجل أن يطلق امرأته لسبب من سبعة أسباب منها :

سوء تصرفها مع أحمائها ، والعقم ، والزنا ، والحسد ، والسرقة ، والثرثرة[3] .

وعند **اليهود والنصارى** يقول ابن تيمية رحمه الله :

« والنصارى يحرمون النكاح على بعضهم ، ومَنْ أباحوا له النكاح لم يبيحوا له الطلاق .

---

(١) تأملات في المرأة والمجتمع : محمد المجذوب ص ١٩٥ ، ٢١٦ .

(٢) الأسرة الأدواء والدواء : د. أحمد حمد أحمد ص ١٥٤ .

(٣) المرأة بين القديم والحديث : كحالة ص ١٥٠ .

واليهود يبيحون الطلاق ولكن إذا تزوجت المطلقة بغير زوجها حرمت عليه عندهم . والنصارى لا طلاق عندهم واليهود لا مراجعة بعد أن تتزوج غيره عندهم ، والله تعالى أباح للمؤمنين هذا وهذا ... »[1] .

وعند الأمم الحديثة : ارتفعت نسبة الطلاق في أمريكا إلى ٤٠٪ وهي نسبة خطيرة الدلالة ، أما أوربا فقد تكون نسبة الطلاق فيها أقل ، ولكن اتخاذ العشيقات والأخدان أمر شائع هناك ومعروف بين المتزوجين[2] .

والقانون الفرنسي لم يعرف كيف يستقر على حالة في معالجة وضع الأسرة عن طريق الطلاق ، ومنذ بدء الثورة ما يزال الفكر القانوني مضطرباً بين الإطلاق والتقييد ، فتارة يفسح المجال أمام الطلاق ، وتارة يلغى تماماً ، وثالثة يباح ولكن في أضيق نطاق ... وهكذا[3] .

وحدث في إنجلترا نفس تعاقب القوانين التي تفسح المجال للطلاق ، وتخفف من القيود ، حتى يسهل على الأزواج حل عقدة النكاح ...[4] .

ولا يكاد اليوم يخلو قانون وضعي من قوانين البلاد أو الأمم المتحدة من نص على الطلاق والاعتراف به ، ولكن هذه القوانين تختلف في مدى الأخذ بمبدأ الطلاق ، فالبعض يتوسع في تطبيق المبدأ ، والبعض يضيق من الدائرة التي يطبق فيها[5] .

ولكن الحقد الشديد عند أعداء الإسلام ، جعل من الطلاق في الإسلام شبهة تثار ، بغض النظر عن واقع الأمم الأخرى وظروفها .. وسوف نتحدث عن سماحة الإسلام وهديه في هذا الجانب ، شأنه في جميع جوانب الحياة .

---

(١) الفتاوى : ٩٠/٣٢ .

(٢) شبهات حول الإسلام : محمد قطب ص ١٨١ .

(٣) وذلك في القوانين الصادرة في فرنسا عام ١٧٨٩م ، ١٧٩٢م ، ١٨١٦م ، ١٨٠٤م ، انظر الأسرة الأدواء والدواء ص ١٨٥ .

(٤،٥) المرجع السابق ص ١٩٦ ، ص ١٩٩ .

الطلاق في الإسلام :

الطلاق : حل قيد النكاح ، وهو مشروع ، والأصل في مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب : فقول الله تعالى : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ .

أما السنة : فممَّا روي عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فسأل عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال رسول الله : « مره فليراجعها ثم ليتركها حتى تطهر ، ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسك بعد ، وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء »[1] .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن** ﴾ .

وفي الآيات والأخبار سوى هذين كثير .

وأصبح الناس على جواز الطلاق ، والعبرة دالة على جوازه فإنه ربما فسدت الحال بين الزوجين فيصير بقاء النكاح مفسدة محضة وضرراً مجرداً بإلزام الزوج النفقة والسكنى ، وحبس المرأة مع سوء العشرة والخصومة الدائمة من غير فائدة[2] .

وقد عالج الإسلام ما يمكن أن يحدث في الأسرة من مشكلات بدقة وشمول ، الأمر الذي يجعلها تعيش أبداً في استقرار وسعادة بعيداً عن الاضطراب .

« وقد جعل الطلاق بيد الرجل وحده ، وهو الطبيعي المنسجم مع واجباته المالية نحو الزوجة والبيت ، فما دام هو الذي يدفع المهر ونفقات العرس والزوجية ، كان من حقه أن ينهي الحياة الزوجية إذا رضي بتحمل الخسارة المالية

---

(١) متفق عليه .

(٢) المغني : ٩٦/٧ .

والمعنوية الناشئين عن رغبته في الطلاق .

والرجل في الأعم الغالب أضبط أعصاباً ، وأكثر تقديراً للنتائج في ساعات الغضب والثورة ... فقل أن يقدم عليه إلا هو على علم تام بالمسؤولية على يأس تام من استطاعته العيش مع زوجته »[1] .

أما في أوربا فإن الزوجة هي التي تقدم الصداق عرفاً وقانوناً ، فكيف يقدم الزوج على طلاق زوجة قدمت له نفسها ومالها ؟ وإن كان هذا يجعل الزوج حبيس المنة ، أسير الفضل ، ويزرع في قلبه إحساساً ينمو مع الأيام أنه لم يبذل شيئاً في الحصول على هذه الزوجة ، وقد يؤدي هذا الإحساس لا إلى الحرص عليها كما هو المنتظر ، بل على العكس من ذلك إلى الاستهانة بها والزهادة فيها ...

وإن أضفنا إلى تضييق القوانيين وصرامة التعاليم ... تبرج المرأة الأجنبة وسفورها ، وما يفعله هذا التبرج من فتنة العيون ، وفساد القلوب ، علمنا مدى ما أصبحت عليه الأسرة الأجنبية خاصة ، والمجتمع غير المسلم عامة من تفسخ فكري وعاطفي[2] .

فالمنطلق في حضارة الإسلام وتعاليمه يختلف تماماً عن الآخرين .

« فالطلاق مما أباحه الله تارة وحرمه أخرى ، فإذا فعل على الوجه الذي حرمه الله ورسوله لم يكن لازماً نافذاً كما يلزم ما أحله الله ورسوله » .

« **والطلاق إذا لم تدع إليه حاجة منهي عنه باتفاق العلماء** . إما نهي تحريم أو نهي تنزيه ، وما كان مباحاً للحاجة قدر بقدر الحاجة ، والثلاث « طلقات » هي مقدار ما أبيح للحاجة »[3] .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي ص ١٢٩ .
(٢) الأسرة : الأدواء والدواء ، د. أحمد حمد أحمد ص ١٥١ .
(٣) الفتاوى لابن تيمية : ٣٣/١٨ ، ٩٠/٣٢ .

قال تعالى : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون**﴾[١] ورغم ذلك كله فإن الهجمة الماكرة على تعاليم الإسلام وعلى الطلاق قديمة حديثة ، حقداً وحسداً .

خرجت مظاهرة نسائية وفيها نساء المسلمين المتنورات ! عام ١٩٦٩م ، وطالبن الدولة وقضاءها منحهن حق الطلاق ، وأن يعطى لهن سلاح الفصل ، وترك الحياة الزوجية كالرجل سواء بسواء ، وأن اختصاص الرجال بالطلاق إهانة للمرأة ومذلة لإنسانيتها ، واحتقار لمكانتها الاجتماعية[٢] .

وهذا محاداة لله ورسوله ، فعلى المرأة المسلمة ألا تطلب حق الطلاق من غير سبب .

عن ثوبان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة »[٣] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »[٤] .

وقد أبطل الإسلام بالطلاق كثيراً من **ظلم العرب للنساء في الجاهلية** ... ومن تلك المظالم :

١ - تحديده العدد الذي يملك الرجل فيه الرجعة بمرتين ، ولم يكن عندهم محدوداً .

---

(١) البقرة : ٢٢٩ .

(٢) أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع بشبه القارة الهندية ص ٢٠٦ .

(٣) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والدارمي وإسناده جيد ، كما قال الألباني «مشكاة المصابيح رقم : ٣٢٧٩» .

(٤) رواه أبو داود . قال الألباني : إسناده موصول «انظر مشكاة المصابيح رقم الحديث : ٣٢٨٠» .

٢ – تحريمه أخذ المطلِّق ما كان أعطاه للمطلقة عند الزواج من مهر أو غيره ، كله أو بعضه .

٣ – تحريمه إمساك المرأة المطلقة في عدة بعد عدة مضارة لها .

٤ – تحريمه عضل أولياء المرأة – أي منعها – بعد انقضاء العدة من الزواج مطلقاً أو الرجوع إلى زوجها بعقد جديد إذا تراضيا على ذلك بالمعروف ، وقد جعل الله زوجها الأول أحق بردها إذا أرادا إصلاح ما كان فسد من أمر معاشرتها بالمعروف[1] .

وقد حث الإسلام على التريث في أمر الطلاق ، وعدم المسارعة بالفراق ، واستن للمسلمين الآداب والتشريعات فيما بعد ... مما سنوضحه في الفقرات القادمة .

تشريعات الإسلام وآدابه قبل الطلاق :

دعا الإسلام إلى الصبر وعدم الاستعجال بالطلاق .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر »[2] .

وقال تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً** ﴾ [النساء : ١٩] .

وهنالك مراحل بوسع المسلم أن يتبعها لإبعاد وقوع الطلاق ، وعلاج مشكلاته منها :

• **التحكيم** : قال تعالى : ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾ [النساء : ٣٥] .

فالخصومة في نطاق الأسرة مظهر شاذ غير سوي ، والإسلام شرع كل

---

(١) حقوق النساء في الإسلام ص ١٢٢ .

(٢) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم ، ٥٨/٢ . «ومعنى لا يفرك : لا يبغض» .

ما من شأنه أن يجعل الأسرة مكاناً حانياً يتفيأ ظلاله جميع أفرادها ، وذلك بتحديد واجبات كل فرد ، ومن ثم الترغيب في المعاشرة الحسنة .

• **الهجر** : إن لم ينفع التحكيم ففيه ردع ، وذلك في المضجع وقد شرعه الله فهو يثير الرغبة في عقاب يضيق الهوة ، خلافاً لهجرها المضجع إلى بيت الأب أو الأم فقد تثير الرغبة في العقاب الموسع لشقة الخلاف . إذ يجد كل من الزوجين بعيداً عن الآخر من يسير معه على نفس الموجة التي يمتطيها ، وليس للرجل أن يهجرها عند أهلها لأن ذلك يعقد الأمور . فإذا لم يثمر الهجر في المضجع فقد شرع للزوج أن يؤدب زوجته **بالضرب غير المبرح** .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يضربها بالسواك . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت » ومعنى هذا أن الضرب هو تعبير شديد اللهجة ، وليس المراد منه الانتقام وإرواء الغليل ، وهي مرحلة لا يأتيها الرجل إلا بعد تكرار الغلط الذي لا يمكن الصبر عليه ، بل وأحياناً لا يمكن ذكره لأسباب تتعلق بكرامة الرجل ، أو سمعة بناته أو سمعة زوجته[1] .

والزوجة الناشز : لزوجها أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهراً ، ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها ، بتقديم الوعظ والتخويف ، فإن لم ينفع هجرها في المضجع وانفرد عنها بالفراش وهجرها في الكلام ، فيما دون ثلاثة أيام ، فإن لم ينفع ضربها ضرباً غير مبرح ، وهو أن لا يدمي لها جسماً ولا يضرب لها وجها[2] .

وإن حصلت الطاعة فلا تعّير ولا تجرح مشاعرها لقوله تعالى : ﴿ **فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً** ﴾[3] .

وهو أدب الإسلام الذي يهيىء الفرص لاستقرار حياة الأسرة .

(١) المرأة في التصور الإسلامي ص ١٦٠ ، ١٦١ .
(٢) مختصر منهاج القاصدين : ابن قدامة ص ٨٠ .
(٣) سورة النساء : ٣٤ .

مرحلة ما بعد الطلاق :

هنالك آداب سامية يدعو الإسلام إليها رغم الطلاق وحصول الفراق منها :

١ – ألا يفشي الزوج سر زوجته المطلقة : « فقد روي عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأته فقيل له : ما الذي يريبك منها ؟ قال : العاقل لا يهتك ستراً . فلما طلقها ، قيل له : لم طلقتها ؟! قال : ما لي ولامرأة غيري »[1] .

٢ – السكنى خلال العدة في بيت الزوجية أملاً في الصلح : قال تعالى : **﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف ﴾** [الطلاق : ٦] .

ولا يصح بحال أن يترك حكم الله ، ويعمل بموجب العرف الشائع في هذا المجال ، حيث تترك المرأة بيتها مجرد سماعها كلمة الطلاق ، أو يأخذها أهلها لمنزلهم .

٣ – العدة على المرأة . وللزوج الحق في مراجعة زوجته خلالها : قال تعالى : **﴿ والمطلقات يتربصْن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ﴾** [البقرة : ٢٢٨] .

﴿ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضْن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ [الطلاق : ٤] .

٤ – ليس للزوج أن يمنع المطلقة من أي حق من حقوقها ، فلا يغتصبه أو يهضمه أو ينكره .

قال تعالى : **﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾** [النساء : ٢٠] .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٨١ .

٥ – ألا تعضل المرأة بعد انتهاء العدة : وكان ذلك من عادات أهل الجاهلية .

قال تعالى : ﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف** ﴾ [البقرة : ٢٣٢] .

هذا علماً أن المطلقة قبل الدخول لا عدة عليها لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً** ﴾ [الأحزاب : ٤٩] .

ولهن نصف المهر إلا أن تعفو المرأة أو ولي أمرها قال تعالى : ﴿ **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح** ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

٦ – متاع المرأة المطلقة : قال تعالى : ﴿ **وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين** ﴾ [البقرة : ٢٤١] .

وذلك « لما في المتعة من تغذية لجفاف جو الطلاق ، وترضية للنفوس الموحشة بالفراق ، وفي الآية استجاشة لشعور التقوى ، وهي الضمان الأكيد والضمان الوحيد ... »[1] .

والمطلقة البائن لا نفقة لها ، والدليل : « أن فاطمة بنت قيس طلقها عمرو ابن حفص وهو غائب ، فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته فقال : والله ما لك علينا من شيء ، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له فقال : ليس لك عليه نفقة »[2] .

(١) في ظلال القرآن : ٢٥٩/١ سيد قطب رحمه الله .

(٢) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم : ٩٥/١٠ .

أنواع الطلاق :

هنالك صور للطلاق نوجزها فيما يأتي استكمالاً للبحث ، ولنلقي الضوء على ما يخص حكمة تشريع الطلاق في الإسلام .

الطلاق السُّنّي : وهو أن يطلق الرجل طلقة واحدة ثم يراجع زوجته ، أو يدعها حتى تنقضي عدتها ، وأنه متى طلقها اثنتين أو ثلاثاً قبل رجعة أو عقد جديد فهو طلاق **بدعة** محرم عند جمهور السلف والخلف ، كما هو مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما ، وأحمد في آخر قوليه ، واختيار أكثر أصحابه ، وهل يقع الطلاق المحرم ؟ فيه نزاع بين الخلف والسلف[1] .

« وطلاق السنة : أن يطلقها طاهرة من غير جماع واحدة ثم يدعها حتى تنقضي عدتها »[2] .

الطلاق البدعي : هو أن يطلقها حائضاً ، أو في طهر أصابها فيه ، ويأثم بذلك ، ووقع طلاقه[3] .

الطلاق البائن : هو الطلاق الذي لا رجعة بعده إلا أن تنكح زوجاً آخر .

قال تعالى : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ... فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله** ﴾[البقرة : ٢٢٩، ٢٣٠] .

ولابد أن يكون الزواج بعد الثلاث طبيعياً ، ويحرّم في الشرع ، بل يلعن المحلّل والمحلّل له .

« عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلّل والمحلَّل له »[4] .

(١) الفتاوى لابن تيمية : ٣١٠/٣٢ .
(٢) المغني لابن قدامة : ٩٨/٧ .
(٣) المغني لابن قدامة : ٩٩/٧ .
(٤) رواه الدارمي وإسناده صحيح/ مشكاة المصابيح : ٩٨٢/٢ .

« وعن عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي ، فتزوجت عبد الرحمن ابن الزبير ، وإن ما معه مثل هدبة الثوب . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة . لا ، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك »[1] .

الطلقات الكثيرة : عن مالك بلغه أن رجلاً قال لابن عباس : إني طلقت امرأتي مائة تطليقة فماذا ترى علي ؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما : طلقت منك بثلاث ، وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هزواً[2] .

أما طلاق الثلاث: «فعن ابن عباس قال : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر ، طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم »[3] .

والمراجعة : تتم بقول الزوج المطلق لرجلين من المسلمين : اشهدا أني قد راجعت امرأتي ، بلا ولي يحضره ولا صداق يزيده .

وقد روي عن أبي عبد الله رحمه الله رواية أخرى : أنه تجوز الرجعة بلا شهادة .

وجملة : إن الرجعة لا تفتقر إلى ولي ولا صداق ولا رضى المرأة ولا علمها بإجماع أهل العلم ... لأن الرجعة إمساك للزوجة ، واستبقاء لنكاحها[4] .

هذه أكثر صور الطلاق وألفاظه ، وقد حرم الطلاق البدعي لأن (الطلاق في الحيض) فيه إضرار بالمرأة حيث يكون طبعها غير مستقر .

(١) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم للنووي : ١٠/٢ .
(٢) رواه مالك في الموطأ . «مشكاة المصابيح : ٢/٩٨١» .
(٣) صحيح مسلم مع الشرح : ١٠/٧٠ .
(٤) المغني : ٧/٢٨٢ .

« كتب الطبيب كرافت اينج : إننا نجد في حياتنا اليومية أن النساء اللاتي يكن لينات العريكة دمثات الأخلاق تتغير طباعهن بغتة فور دخولهن في أيام الحيض ... إذ يصبحن فيها متفجرات سليطات اللسان شديدات الخصام . يشكو سوء خلقهن كل من الخدم والأولاد والأزواج ، حتى الأجانب لا يسلمون من سوء معاملتهن ... » .

« ويكتب الطبيب (وينبرج) مستنداً إلى مشاهداته : إن الخمسين بالمائة من المنتحرات اللاتي بحثتُ أحوالهن كنّ قد ارتكبن الجريمة في أيام الحيض »[1] .

وهكذا نجد سماحة الإسلام وحرصه على مصلحة المرأة وعلى استقرار الأسرة عندما جعل الطلاق البدعي محرماً .

صور أخرى تتعلق بالفراق بين الزوجين :

الخلع : الذي جاء به الكتاب (والسنة) أن تكون المرأة كارهة للزوج تريد فراقه ، فتعطيه الصداق أو بعضه فداء نفسها ، كما يفتدى الأسير ، وأما إذا كان كل منهما مريداً لصاحبه ، فهذا الخلع محدث في الإسلام .

قال ابن تيمية رحمه الله : إذا كانت مبغضة له مختارة لفراقه ، فإنها تفتدي نفسها منه فترد إليه ما أخذته من الصداق وتبريه مما في ذمته ، ويخلعها كما في الكتاب والسنة واتفق عليه الأئمة . والله أعلم[2] .

الدليل قوله تعالى : **﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾**[3] .

---

(١) الحجاب : المودودي ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٢) الفتاوى لابن تيمية : ٣٢ ٢٨٢ .
(٣) البقرة : ٢٢٩ .

والدليل من السنة : عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر في الإسلام . قال رسول الله : « أتردين عليه حديقته ؟ » قالت : نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة »[1] .

الظهار[2]: والظهار ليس بطلاق بل تجب فيه الكفارة ، وهو مشتق من الظهر ، وإنما خصوا الظهر بذلك من بين سائر الأعضاء ، لأن كل مركوب يسمى ظهراً لحصول الركوب على ظهره في الأغلب ، فشبهوا الزوجة بذلك ، وهو محرم .

لقوله تعالى : ﴿ **وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً** ﴾ ومعناه أن الزوجة ليست كالأم في التحريم .

والأصل في الظهار الكتاب والسنة . أما في الكتاب فقوله تعالى : ﴿ **الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إنْ أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً** ﴾ [المجادلة : ٢-٤] .

« وأما السنة فروى أبو داود بإسناده عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة قالت : تظاهر مني أوس بن الصامت ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو ورسول الله يجادلني فيه ويقول : اتقي الله فإنه ابن عمك . فما برحتُ حتى نزل القرآن : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها** ﴾ فقال : يعتق رقبة فقلت : لا يجد . قال : فيصوم شهرين متتابعين . فقلت : يا رسول الله إنه شيخ

---

(١) البخاري في الطلاق ، شرح السنة : ١٩٤/٩ .

(٢) انظر المغني : ٣٣٧/٧ .

كبير ما به من صيام . قال : فإني سأعينه بعرق من تمر ، فقلت : يا رسول الله: فإني أعينه بعرق آخر قال : قد أحسنت ، اذهبي فأطعمي عنه ستين مسكيناً ، وارجعي إلى ابن عمك »[1] .

الإيلاء : في الشرع هو الحلف على ترك وطء المرأة[2] ولا يجوز أن يزيد الزوج عن المدة المحددة في كتاب الله ، ويأثم الزوج بذلك لمضارته زوجته . قال تعالى : ﴿ **للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم** ﴾ [البقرة : ٢٢٦،٢٢٧] .

وهكذا فالإسلام أباح الطلاق وخاصة عندما تتعذر الحياة الزوجية ، وحث على تقوى الله ، ودعا إلى التريث ، وأن يكون الطلاق على مراحل (ثلاث تطليقات) . ثم جعل الطلاق البدعي محرماً ؛ لأنه لم يتم في الوضع الطبيعي للمرأة ...

والخصومة مظهر شاذ أصلاً في إطار الأسرة المسلمة ، وعلى كل من الزوجين أن يبادر إلى استرضاء صاحبه حين يغضب ، وكل منهما يملك أعظم الوسائل المتاحة لاسترضائه . ففي الحديث : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة »[3]

ولا يصح للرجل أن يسيء استعمال ما خُوّل من صلاحيات الأمر والقوامة في الأسرة ، ولا يجوز الظلم بأي حال ، وعليه أن يفسح المجال لزوجته لتنمي كفاءتها وميولها الفطرية في حدود نظام الإسلام وأحكامه السمحة .

٣ - **العدة** : « المعتدة عدة الوفاة تتربص أربعة أشهر وعشراً ، وتجتنب الزينة والطيب في بدنها وثيابها ولا تتزين ، ولا تتطيب ولا تلبس ثياب الزينة ، وتلزم منزلها فلا تخرج بالنهار إلا لحاجة ، ولا بالليل إلا لضرورة .

---

(١) انظر المغني : ٣٣٧/٧ ، ٣٣٨ ، قال الأصمعي : والعرق : بفتح العين والراء هو ماسف من خوص كالزمبيل الكبير .

(٢) مغني : ٢٩٨/٧ .

(٣) رواه الترمذي : مشكاة المصابيح : ٩٧٢/٢ .

وليس عليها أن تصنع ثياباً بيضاً ، أو غير بيض للعدة ... لكن لا تلبس ما تتزين به المرأة مثل الأحمر والأصفر والأخضر الصافي ، والأزرق الصافي ونحو ذلك ، ولا تلبس الحلي »[1] .

هذه أحكام العدة وآداب المعتدة في الإسلام : « ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج ، أربعة أشهر وعشراً »[2] . ذلك بعد أن كانت المرأة في الجاهلية تعتد أسوأ عدة على زوجها عاماً كاملاً ... كما جاء في الحديث الصحيح .

« قالت زينب : سمعت أمي أم سلمة تقول : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ! إن ابنتي توفي عنها زوجها ، وقد اشتكت عينها ، أفنكحلها ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : لا ، ثم قال : إنما هي أربعة أشهر وعشراً[3] وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول قال حميد فقلت لزينب : وما ترمي بالبعرة على رأس الحول[4] فقالت زينب : كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها ، دخلت حفشاً ، ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتى بدابة : حمار أو شاة أو طير ، فتفتض به[5] فقلما تفتض بشيء إلا مات . ثم تخرج فتعطى بعرة فترمى بها ، ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره »[6] .

(١) الفتاوى لابن تيمية : ٢٧/٣٤ .

(٢) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم : ١١٢/١٠ .

(٣) أي لا تستكثرن العدة ومنع الاكتحال فيها ، فإنها مدة قليلة ، وقد خففت عنكن وصارت أربعة أشهر وعشراً بعد أن كانت سنة .

(٤) إشارةً إلى أن الذي فعلته ، وصبرت عليه من الاعتداد سنة ولبسها شر ثيابها ، ولزومها بيتاً صغيراً هين ، بالنسبة إلى حق الزوج وما يستحق من المراعاة ، كما يهون الرمي بالبعرة .
وحفشاً : أي بيتاً صغيراً حقيراً . «انظر شرح صحيح مسلم : ١١٤/١٠» .

(٥) كانت المعتدة لا تغتسل ولا تمس ماء ولا تقلم ظفراً ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر ، ثم تفتض أي تكسر ما هي فيه من العدة بطائر تمسح به قبلها وتنبذه ، فلايكاد يعيش ما تفتض به . «شرح صحيح مسلم ص ١١٥» .

(٦) رواه الإمام مسلم : مسلم مع الشرح : ١١٤/١٠ ، ١١٥ .

وفي العصر الحاضر نجد أن بعض الناس ينحرفون عن تعاليم الإسلام فيقعون في تقاليد محرمة .

فمثلاً : « في ضوء التقاليد الموروثة في منطقة **بلوجستان** ترى أن المتوفى عنها زوجها يلزمها أن تنكح أخا الميت أو أحد أقربائه .

وإن تزوجت في غير عائلة الميت تحرم مما بقي لها من المهر المؤجل » ويطلق على هذا التقليد الموروث اسم : (يجائي)[1] .

وجاء في كتب الهندوس المقدسة لديهم : « أنه يحسن بالزوجة أن تلقي نفسها على الحطب المعد لإحراق جثة زوجها .

وأنها تطهر بموتها هذا أهل أمها ، وأهل أبيها وأهل زوجها ، وتطهر زوجها أيضاً من كل ذنوبه »[2] .

بل لعلها تزيد في سعير جهنم على نفسها ، ونفس زوجها وسائر أقاربها من الهندوس الكفرة .

أما المرأة **إن كانت حاملاً** فإن عدتها على وفاة زوجها تنقضي بوضع الحمل « كما ورد في حديث أم سلمة قالت : إن سبيعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليال ، وأنها ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرها أن تتزوج »[3] .

٤ - الميراث في الإسلام :

كنا قد عرفنا أن المرأة في الجاهلية كانت تعتبر من ضمن تركة المتوفى ... وأنهم لا يورثون الصغار من الذكور والبنات .

وقالوا : إن العرب ظلوا على ذلك حتى مات أوس بن ثابت وترك ابنتين

---

(١) أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية ص ٢٠٢ .

(٢) المرأة بين القديم والحديث ص ١٣٨ .

(٣) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم : ١٠/١١٠ .

وابناً صغيراً وزوجته أم كجّة ، فمنع ابنا عم الزوج الزوجة والصغار الميراث ؛ لأنهم كانوا لا يورثون الصغار ولا النساء ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهما فقالا : يا رسول الله ! ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلاً ولا ينكأ عدوا . فقال : انصرفوا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن ، فانصرفوا . فأنزل الله الآية الكريمة : ﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً** ﴾ [النساء : ٧] .

ثم نزلت الآية : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ...** ﴾ [النساء : ١٢][١] .

جعل الإسلام للمرأة حقاً للإرث بعد أن كانت تحرم منه في الجاهلية ، على أن يكون نصف إرث الرجل إذ أن الرجل « في نظام الإسلام يُلزم بأعباء وواجبات مالية ، لا تلزم المرأة بمثلها ، فهو الذي يدفع المهر ، وينفق على أثاث بيت الزوجية ، وعلى الزوجة والأولاد .

أما المرأة فهي تأخذ المهر ، ولا تسهم بشيء من نفقات البيت على نفسها وأولادها ، ولو كانت غنية .

ومن هنا كان من العدالة أن يكون نصيبها في الميراث أقل من نصيب الرجل ، وقد كان الإسلام بها كريماً متسامحاً حين طرح عنها كل تلك الأعباء ، وألقاها على عبء الرجل ثم أعطاها نصف ما يأخذ ... »[٢] .

« وكان نصارى لبنان في عهد الحكم العثماني قد نقموا عليه أنه أراد أن يطبق عليهم أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالميراث ، فقد غضبوا ؛ لأن الشريعة تعطي البنت نصيباً من الميراث يعادل نصف نصيب أخيها .

---

(١) انظر : تفسر الطبري : ٥٩٨/٧ ، والمحبر ص ٣٢٤ ، والإصابة : ٢٨٤/٨ ، وتفسير البغوي : ١٦٩/٢ تحقيق محمد عبد الله النمر ، عثمان ضميرية ، وسليمان الحرش ، وقد خرجوا الحديث .

(٢) المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي ص ٣٤ .

حيث كان الآباء لا يرضون بتوريث بناتهم ... وطالبوا بالعودة إلى عدم توريث بناتهم بل لهن الجهاز ... »[1] .

أما في ديار الغرب فإن المرأة المعاصرة هي التي تدفع المهر ، وتذل نفسها للرجل ، وتدفع نفقات العرس والبيت بعد ذلك ، ومن ثم يفضل عليها الخليلات ويلقيها وأطفالها – في أية لحظة شاء – خارج المنزل إن كان له .

ورغم ذلك كله فإن صيحات الناعقين والناعقات – من اليهود والنصارى، أو من أذنابهم المبهورين بهم ، ما تزال تدوي مشككة في أحكام الأسرة في الإسلام ، وخاصة فيما يتعلق بتعدد الزوجات أو الطلاق والميراث .

ومما حاول الأعداء إثارته أيضاً : موضوع **دية المرأة** ، فهي نصف دية الرجل ، وذلك ليس انتقاصاً لكرامة المرأة أو قدرها ، ولا تهاوناً في الاعتداء عليها ، وذلك لأن الدية لا تكون إلا حين القتل الخطأ .

ولما كانت الدية مواساة لأهل المقتول ، وتعويضاً لهم بنفس الوقت ، لذلك فالخسارة المادية في الأنثى أقل منها عند الرجل .

وأثاروا كذلك مشكلة **شهادة المرأة** إذ جعلت شهادة الرجل بشهادة امرأتين.

والواقع أن جل المشاكل التي نلمسها في المجتمع إنما ترجع إلى معاناة الرجل وكدحه في الحياة ، ورباطة جأشه التي تجعله أقدر على تذكر الحوادث والجرائم ، والمرأة عاطفية قد لا تستطيع التثبت من الواقعة ، وقد تداخلها الأهواء وقد يكون موقفها هذا سبباً في قطع الرحم وفساد علاقتها بمن تعرف وتعول .

وما بالنا نذكر المبررات والله سبحانه وتعالى الذي يعرف طبائع الخلق يقول : ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ...** ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

---

(١) السابق ص ٣٦ ، ٣٧ .

وهكذا نرى أن ما يثيره المشككون هو محض اختلاق أساء إلى المرأة ، وهضمها حقوقها ، بل تآمر هؤلاء على سعادة الأسرة المسلمة ، مما سنوضحه في الباب الثالث من هذا الكتاب .

الباب الثاني
دور المرأة في المجتمع

١ – الفصل الأول : السفور والحجاب .

٢ – الفصل الثاني : المرأة والتعليم .

٣ – الفصل الثالث : عمل المرأة بين الأمس واليوم .

٤ – الفصل الرابع : دور المرأة في السياسة والحرب .

الفصـــل الأول

السفـــور والحجـاب

المبحث الأول :

السفور والحجاب عند أهل الجاهلية .

السفور والحجاب .

زينة المرأة وحليها .

المبحث الثاني :

هدي الإسلام في الحجاب .

١ - منع الاختلاط بين الرجال والنساء .

٢ - تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية .

٣ - آداب الاستئذان .

٤ - غض البصر .

٥ - النهي عن مصافحة المرأة الأجنبية .

٦ - تحذير المرأة من الطيب عند خروجها .

٧ - حجاب المرأة المسلمة ولباسها الشرعي :

الحجاب وحدود العورة .

صفات اللباس الشرعي .

٨ - زينة المرأة المسلمة .

٩ - عقوبات وحدود .

الفصل الأول

السفور والحجاب

تمهيـــد :

شغلت قضية حجاب المرأة أو سفورها المجتمعات القديمة والحديثة ؛ وذلك لما يترتب على هذه القضية من اختلاط النساء بالرجال ، ومن كشف المفاتن وإظهار الزينة ...

وكانت المرأة في الجاهليات القديمة تتستر أحياناً ، وتسفر عن بعض أجزاء بدنها أحياناً أخرى ...

هذا وإن المجتمعات تتباين عاداتها ، و تختلف أعرافها في المجتمع الواحد والعصر الواحد ، وكذلك كانت الجاهلية العربية .

وقد نقل محمد فريد وجدي عن دائرة معارف القرن التاسع عشر قولها : « كانت النساء عند الرومانيين مغاليات في الحجاب لدرجة أن القابلة كانت لا تخرج من دارها إلا مخفورة ، ووجهها ملثم باعتناء زائد ، وعليها رداء طويل يلامس الكعبين ، وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها »[1] .

ثم تغيرت الحال في عهد الإمبراطورية حتى هالت المصلحين بسبب الخطر المحدق .

وكانت النساء في الكلدان وآشور يتركن رؤوسهن بلا غطاء ، ويسدلن الشعر على الأكتاف ، أو يسترنه بغطاء طويل ينزل إلى الظهر ، وكانت نساء العامة

---

(١) المرأة في القديم والحديث : عمر رضا كحالة ص ١٧٩ .

يتجولن في الأزقة مكشوفات الوجوه لقضاء أمور بيتهن . أما نساء الخاصة فلا يخرجن من البيت إلا نادراً ، وذلك للذهاب إلى الهيكل للصلاة ، أو لزيارة رفيقاتهن ولا يخرجن وحدهن، بل يحيط بهن عبيد وجوار، ويلبسن برقعاً يغطي وجههن وجسمهن »[1] .

وعندما طغى السفور وعم الاختلاط ؛ دالت هذه المدنيات بعد أن تفسخت وأسنت، ومن المعلوم تاريخياً أن من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال ومبالغتها في الزينة والاختلاط »[2] .

---

(١) المرأة في القديم والحديث : كحالة ص ١٢٧ .

(٢) المرأة بين الفقه والقانون : د.مصطفى السباعي ص ١٨٧ .

المبحث الأول :

السفور والحجاب في الجاهلية

« إننا نجد أن الأخبار الواردة في تستر المرأة العربية موفورة كوفرة أخبار سفورها . وانتهاك سترها كان سبباً في اليوم الثاني من أيام حروب الفجار الأول ، إذ أن شباباً من قريش وبني كنانة رأوا امرأة جميلة وسيمة من بني عامر في سوق عكاظ ، وسألوها أن تسفر عن وجهها فأبت ؛ فامتهنها أحدهم فاستغاثت بقومها ... »[1] .

وفي الشعر الجاهلي أشعار كثيرة تشير إلى **حجاب المرأة العربية** .

يقول الربيع بن زياد العبسي بعد مقتل مالك بن زهير[2]:

من كان مسروراً بمقتل مالك	فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه	يلطمن أوجههن بالأسحار
قد كن يخبأن الوجوه تستراً	فاليوم حين برزن للنظار
يخمشن حرات الوجوه على امرىء	سهل الخليقة طيب الأخبار

فالحالة العامة لديهم أن النساء كُنَّ محجبات إلا في مثل هذه الحالة حيث فقدن صوابهن فكشفن الوجوه يلطمنها ، لأن الفجيعة قد تنحرف بالمرأة عما اعتادت من تستر وقناع ، يدل على ذلك قول مهلهل لما قُتل كليب ، أن النسوة خرجن **حواسر عواطل** من حليهن[3]:

كنا نغار على العواتق أن ترى	بالأمس خارجة عن الأوطان
فخرجْنَ حين ثوى كليبٌ حسَّراً	مستيقنات بعده بهوان

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٣٥٩/١ .

(٢) شرح الحماسة لأبي تمام : ٤٩٤/١ تحقيق العسيلان .

(٣) الكامل لابن الأثير : ٣١٧/١ ، العواتق : ج عاتقة وهي الجارية أول ما أدركت أو التي لم تتزوج .

يخمشْنَ من أَدَم الوجوه حواسراً   من بعده ويَعدْن بالأزمان

وكذا كن يسفرن إذا أيقنّ هزيمة قومهن ، وخشينَ السبي فيتشبهن بالإماء حتى يزهد فيهن ، ويتأهبن للفرار سافرات. قال سبرة بن عمرو الفقعسي في هجاء بني نهشل :

إن نسوتهم تشبهن بالإماء مخافة السبي فبرزن **مكشوفات**[1] .

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها   يُخَلْنَ إماءً والإماء حرائـــر

ويعجب الشنفري بحبيبته وهي منتقبة **لا تكشف وجهها**[2]:

فقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها   إذا ما مشت ولا بذات تلفت

وكانت أم عمرو بنت دقوان تحرض قومها على الثأر ، وأنهم إن لم يثأروا فعليهم أن يتركوا السلاح ويكتحلوا **ويتنقبوا** كالنساء تقول[3]:

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكـم   فذروا السلاح ووحّشوا بالأبرق

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا   نُقبَ النساء فبئس رهط المرهق

ويتحدث النمر بن تولب عن امرأته التي هجرته **ويذكر قناعها**[4]:

وصدت كأن الشمس تحت قناعها   بدا حاجب منها وضنت بحاجب

« ولم يكن السفور مستهجناً ، فقد كان كثير من النساء سوافر مكشوفات الوجوه ... ولم يكن النظر إليهن عاراً في الجاهلية ولا حراماً »[5] .

وقد ذكر الأصمعي أن المرأة كانت تلقي خمارها لحسنها وهي على

---

(١) شرح الحماسة : ١٣٤/١ تحقيق العسيلان .

(٢) المفضليات ص ١٠٩ رقم : ٢٠ .

(٣) شرح الحماسة للتبريزي : ٥٥/٤ ومعنى : وحشوا بالأبرق : أي كونوا مع الوحوش في الأرض الرملية الحجرية ، المرهق : الذليل المضيق عليه .

(٤) الأغاني : ١٥٩/١٩ .

(٥) كتاب القيان : من رسائل الجاحظ : ١٤٨/٢ ، تحقيق عبد السلام هارون .

عفة »[1] .

« هذا و لم يكن الخمار مقصوراً على العرب ، وإنما كان شائعاً لدى الأمم القديمة في بابل وآشور ، وفارس والروم والهند »[2] .

ولم يَشِعْ السفور ، ويعم الاختلاط بهذا السفه المنتشر الآن ، كما انتشر في الجاهلية المعاصرة .

غطاء الرأس وأنواعه في الجاهلية :

كانت أغطية رؤوس النساء في الجاهلية العربية متنوعة ولها أسماء شتى ، منها[3]:

١ - **الخمار** : وهو ما تغطي به المرأة رأسها، وهو شقة على الرأس تلف على جزء من الوجه ، فهو يشبه ما يسمى في عصرنا « الطرحة » ومن أسمائه النصيف والقناع[4] .

وقد ورد الخمار في شعر صخر يتحدث عن أخته الخنساء :

والله لا أمنحها شرارها ... ولو هلكتُ مزّقت خمارها
وجعلت من شعر صدارها[5]

وورد القناع في قول عروة بن الورد يتحدث عن قناع زوجته في معرض إكرامه لضيفه[6]:

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ... ولم يلهني عنه غزال مُقَنَّعُ

---

(١) شرح المفضليات لابن الأنباري : ١٢٠/١ .
(٢) الإسلام والحضارة العربية : محمد كرد علي : ٨٨/١ .
(٣) انظر الحجاب وأنواعه في كتاب المرأة في الشعر الجاهلي . د. أحمد محمد الحوفي من ص ٣٧٥ - ٣٨٤ .
(٤) انظر لسان العرب والقاموس المحيط مادة : خمر .
(٥) الشعر والشعراء : ٣٤٦/١ .
(٦) الديوان : ط بيروت دار صادر ص ٤٩ .

أحدثه إن الحديث من القِرى   وتعلم نفسي أنه سوف يهجعُ

٢ – **النقاب** : وهو القناع على مارن الأنف ، وهو على وجوه :

قال الفراء : إذا أدنت المرأة نقابها إلى عينها فتلك الوصوصة ، فإن أنزلته إلى المحجر فهو النقاب ، فإن كان على طرف الأنف فهو اللثام ... .

وقال أبو عبيد : النقاب عند العرب هو الذي يبدو منه محجر العين ، ومعناه أن إبداءهن المحاجر محدث ، إنما كان النقاب لاصقاً بالعين ، وكانت تبدو إحدى العينين والأخرى مستورة[١] .

٣ – **الوصواص** : النقاب على مارن الأنف لا تظهر منه إلا العينان وهو البرقع الصغير ويسمى البُخْنُق .

وذكر عنترة البخنق في شعره إذ يقول في ديوانه :

فخر الرجال سلاسل وقيود   وكذا النساء بخانق وعقود[٢]

٤ – **البرقع** : فيه خرقان للعين وهو لنساء الأعراب .

قال النابغة الجعدي يصف خِشفاً[٣] :

وخدًّا كبُرقوع الفتاة ملَمَّعاً   رَوْقَين لما يعدُ أن يتقشَّرا

وقول توبة :

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعت   فقد رابني منها الغداة سفورها[٤]

هذه أنواع من الخُمر وأغطية الرأس والوجه كانت معروفة عند نساء

---

(١) اللسان والقاموس المحيط : مادة : نقب .

(٢) لسان العرب : مادة : وصوص ، والبيت في ديوان عنترة ص ٦٤ .

(٣) الروق : من كل شيء مقدمه وأوله «المعجم الوسيط» .

(٤) لسان العرب : مادة : برقع . وانظر خمر المرأة وملابسها : للحوفي في كتابه : المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٨١ – ٣٨٤ .

العرب قبل الإسلام .

أما السفور المطلق للرأس والوجه وكثير من أجزاء البدن فلم يُعرف إلا في الجاهلية المعاصرة .

زينة المرأة وحليها في الجاهلية

من طبيعة المرأة حبها للزينة والحلي، ولا شك أن المرأة الحضرية أكثر تفنناً واعتناء بنفسها من الأعرابية ، بسبب اختلاف المحيط والوضع الاقتصادي ، ولا سيما النساء الموسرات ، والقريبات من مواطن الأعاجم .

والمرأة تعتبر شعرها من أثمن ما عندها ، لذلك فهي تعتز به وتحافظ عليه ... ولاتحلقه إلا إذا نزلت بها نازلة كموت زوج أو عزيز ، ويعتبر ذلك غاية في التضحية ، ويقال لها : الحالقة حيث تحلق شعرها وتذر التراب على رأسها ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحالقة ، وهي التي تحلق شعرها في المصيبة .

وكانت المرأة إذا أصيب لها كريم تحلق رأسها ، وتأخذ نعلين تضرب بهما رأسها وتعفره ، وإلى ذلك أشارت الخنساء في شعرها :

ولكني رأيت الصبر خيراً   من النعلين والرأس الحليــق

وعرف المشط في الجاهلية ، كانت المرأة تسرح شعرها به ، وهو من آلات التجميل ، وتمشط العرائس « الماشطة » ويكون المشط من خشب غالباً ، وقد يصنع من ذهب أو فضة أو من العاج »[1] .

ومن وسائل الزينة عند المرأة أيضاً : الوشم ، وهو غرز إبرة في عضو حتى يسيل الدم ، ثم يحشى بالكحل أو نحوه فيزرق أو يخضر[2] .

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي : ٤/٦٢٠ - ٦٢٢ .

(٢) تاج العروس : ٩/٩٤ «وشم» .

وكانوا ينقشون به سائر أبدانهم ، وكذلك الشفاه ، فترى غالب شفاه نسائهم زرقاً .

وقد تفننت المرأة الجاهلية في أنواع الزينة[1] فزينت نفسها بالحلي من ذهب وفضة ومعادن أخرى ، ومن أحجار كريمة ، وقد ساعد على كثرة الحلي أن اللؤلؤ ميسور في الخليج العربي ، والمرجان كان في البحار المحيطة بالعرب ، وأن التجار يفدون إلى الجزيرة يقايضون اللؤلؤ والمرجان بالذهب والفضة .

ومن هذه الحلي **الأساور** الذهبية تلبسها الموسرات .

يقول العرندس الكلابي :

بل أيها الراكب المفني شبيبته   يبكي على ذات خلخال وإسوار

وكن يلبسن **الخلاخيل** في الأرجل ، قال الأعشى[2]:

وساقان مار اللحم مَوْراً عليهما   إلى منتهى خلخالها المتصلصل

وقد أشارت الآية الكريمة إلى فعل نساء الجاهلية : ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾ [النور : ٣١]حيث أن المرأة ربما اجتازت وفي رجلها الخلخال ، وربما كن فيه الجلاجل ، فإذا ضربت برجلها علم أنها ذات خلخال وزينة ؛ فنهي عنه لما فيه من تحريك الشهوة[3] .

وكن يلبسن **الأقراط** في الآذان من الذهب أو اللؤلؤ .

وفي القرط قال الراجز يخاطب امرأته[4]:

قرطك الله على العينيـــــن   عقاربــاً سوداً وأرقميـــــن

---

(١) المرأة في الشعر الجاهلي للحوفي : ٣٩٢ - ٣٩٧ .

(٢) ديوان الأعشى ص ١٤٠ . ط دار بيروت ١٩٨٣م ، مار : تحرك واضطرب .

(٣) لسان العرب : ٤٨/١٣ .

(٤) لسان العرب : مادة : قرط .

وقال الشاعر[١] :

عليهن لُعْسٌ من ظِباء تُبالةٍ　　　مذبذبة الخُرصان بادٍ نحورُها

وكانت المرأة تزين العنق **بالقلادة** (وهي العقد)، وقد تكون من ذهب أو لؤلؤ وياقوت ، وفي القلادة قال المثقب العبدي[٢] :

أرَيْنَ محاسناً وكنَنَّ أخـرى　　　من الأجياد والبشر المصـون

ومن ذهب يلوح على تريب　　　كلون العاج ليس بذي غضون

وكان لزينة الوسط **الوشاح** : وهو كرسان (من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما ، معطوف أحدهما على الآخر) تشده المرأة بين عاتقيها وكشحها ، وفيه يقول عنترة[٣] :

والشمس بين مضرّج ومبلج　　　والغصنُ بين مُوشحّ ومُقلّدِ

هذه هي المرأة ، تهوى الزينة ، وتحب أن تظهر بالمظهر الجميل في كل عصر وزمان .

---

(١) انظر لسان العرب : مادة (خرص) .

(٢) المفضليات رقم : ٧٦ ص ٨٢٩ ، ط دار المعارف . ومعنى كننّ : أخفين ، تريب : ج تربية وتجمع ترائب وهو عظام الصدر موضع القلادة ، غضون : تثني الجلد .

(٣) ديوان عنترة ص ٦٩ تحقيق عبد المنعم شلبي .

ويقصد بالشمس : وجهها الجميل ، مضرج : محمرّ ، مبلج : نقي ، الغصن : قدها ، مقلد : عليه قلادة .

المبحث الثاني
هدي الإسلام في الحجاب

حرص الإسلام على إقامة مجتمع العفاف والطهر ، فقضى على انحرافات الجاهلية ، وأقام الحواجز بين الجنسين درءاً للفتنة ، وذلك بعد أن شجع الزواج وحث على كثرة النسل .

ربط الإسلام المؤمن بالعقيدة ، وخشية الله في السر والعلن ، فحرره من سلطان الشهوة ومفاتن الدنيا وإغراءاتها ...

ثم سنّ الأحكام التي تبعد المرء عن الانحراف فحرم الاختلاط ، وفرض الحجاب ، ودعا إلى غض البصر ، وتوعد كل من يثير الفتنة ، **ومن أهم هذه الأحكام** :

١ - منع الاختلاط بين الرجال والنساء :

فالاختلاط سبب كل بلاء ، أصيبت به المجتمعات قديماً وحديثاً .

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »(1) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »(2) .

ولقد أكد الإسلام حرمة الاختلاط حتى في العبادة قال صلى الله عليه وسلم : « خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء

---

(١) متفق عليه : مشكاة المصابيح : ٩٢٨/٢ .

(٢) رواه مسلم : ٥٥/١٧ بشرح النووي .

آخرها ، وشرها أولها »[1] .

فالمجالس المختلطة بين الرجال والنساء لا تتفق مع طبيعة الإسلام ، والدين الذي لا يسمح باختلاط الجنسين للعبادة في مواضعها ، هل لأحد أن يتصور أنه يبيح الاختلاط بينهما في الكليات والمكاتب أو المجالس والنوادي الساهرة؟[2] .

أما ما يشاهد في هذه الأيام من تفلت كثير من النساء حيث يخرجن كاسيات عاريات ، يزاحمن الرجال الأجانب في السوق والمدرسة ، وأماكن العمل ، فذلك ما تخجل منه الجاهلية الأولى ... وسنزيد هذا الموضوع تفصيلاً إن شاء الله[3] .

٢ - تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية[4]:

حرم الإسلام الدخول على النساء لغير المحارم ؛ لأن في ذلك فتنة شديدة ، وسبباً لنزغات الشيطان .

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يخلون أحدكم بامرأة ، فإن الشيطان ثالثهما »[5] .

وقال صلى الله عليه وسلم وهو على منبره : « لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيّبة إلا ومعه رجل أو اثنان »[6] .

---

(١) مختصر صحيح مسلم : ٢٦٩ ، وصحيح أبي داود : ٦٨١ «ينظر صحيح الجامع الصغير : ٦٢٦/١» .
(٢) تفسير سورة النور : المودودي رحمه الله ص ١٤٢ .
(٣) انظر المرأة في الجاهلية المعاصرة : الباب الثالث من هذا الكتاب .
(٤) انظر : المرأة المتبرجة وأثرها السيِّء في الأمة: عبد الله التليدي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١١ الطبعة الثانية .
(٥) أحمد : ١٨/١ ، والترمذي : ٢٠٧/٣ ، والحاكم : ١١٣/١ ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . «عن هامش المرأة المتبرجة ص ٥٢» .
(٦) مسلم بشرح النووي : ١٥٥/١٤ .

حتى أقارب الزوج أو الزوجة ، حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من خلوة المرأة بهم .

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ! أرأيت الحمو ؟ قال : « الحمو الموت »[1] .

« قال القرطبي : إن دخول قريب الزوج على امرأة الزوج يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة ، أي فهو محرم معلوم التحريم وإنما بالغ في الزجر عنه .. لتساهل الناس فيه من جهة الزوج ، ولإلفهم ذلك حتى كأنه ليس بأجنبي عن المرأة »[2] .

وقال النووي رحمه الله : « إن الخلوة بقريب الزوج أكثر من الخلوة بغيره ، والشر يتوقع منه أكثر من غيره ، والفتنة منه أمكن لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير نكير بخلاف الأجنبي »[3] .

فإذا كان دخول قريب الزوج على المرأة كالموت فما بالك بدخول الأجنبي عليها ؟! .

وفي الحضارة المعاصرة في جاهلية القرن العشرين ، أصبح هذا الأمر لا يهم كثيراً من الناس بل وبعض المسلمين ، فالخلوة مع سائق السيارة ، تكاد لا تستنكر ، وكذلك في المكتب والوظيفة ، وفي الدراسة ، وغرفة الكشف الطبي ناهيك عن الإشراف على الرسائل الجامعية .

٣ - آداب الاستئذان :

سن الإسلام هذه الآداب حرمة للبيوت ، وحتى لا تقع عين الداخل على عوراتها وعورات مَنْ فيها .

---

(١) البخاري في النكاح : ٢٤٤/١١ ، ومسلم في السلام : ١٥٣/١٤ .

(٢) فتح الباري : ٢٤٥/١١ ، ٢٤٦ .

(٣) مسلم بشرح النووي : ١٥٣/١٤ .

وكان من عادة العرب في الجاهلية ، أنهم يدخلون بيوت الناس قائلين : « حييتم صباحاً ، وحييتم مساءً » بدون استئذان من أهلها ، وقد تقع أنظارهم على نسائهم وهن في حالة غير جديرة بالنظر[١] .

وكانت البيوت غالباً بدون أبواب أو ستائر ...

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ... وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم** ﴾[٢] .

والاستئذان واجب حتى المرة الثالثة ، قال صلى الله عليه وسلم : « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع »[٣] .

فالإسلام عظم حرمة البيوت ، حتى أنه توعد مقتحمها دون استئذان ، إلى درجة إهدار عين المتطلع للبيت .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ، فقد حل لهم أن يفقئوا عينه »[٤] .

قال النووي رحمه الله[٥] : « إن الاستئذان مشروع ، مأمور به ، وإنما جعل لئلا يقع البصر على الحرم ، فلا يحل لأحد أن ينظر في حجر باب ولا حفيرة ، مما هو متعرض لوقوع بصره على امرأة أجنبية » هذا إذا كان باب البيت مغلقاً أو كان له ستر .

« وإن مر رجل على باب لا ستر له غير مغلق ، فنظر فلا خطيئة عليه ، إنما الخطيئة على أهل البيت »[٦] .

---

(١) انظر تفسير سورة النور : المودودي ص ١٤٢ .

(٢) سورة النور : ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) البخاري : ١٣/٢٦٤ ، ومسلم : ١٤/١٣٠ .

(٤) مسلم : ١٤/١٣٨ .

(٥) شرح صحيح مسلم : ١٤/١٣٧ ، ١٣٨ .

(٦) أحمد: ١٥/١٨١، والترمذي: ٣/٣٨٩، ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة «هامش المرأة المتبرجة ص٩٨».

وهنالك وجه آخر للاستئذان وهو خاص بمن هم داخل البيت من الصبيان والإماء لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحُلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض** ﴾ [النور : ٥٨] .

فهذه الآية الكريمة اشتملت على استئذان الأطفال وملك اليمين في ثلاثة أحوال : قبل صلاة الغداة ، وفي وقت القيلولة ، ومن بعد صلاة العشاء ... فيؤمر الأطفال والخدم ألا يهجموا على أهل البيت في هذه الأوقات[1] .

٤ - غض البصر :

قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن** ﴾ [النور : ٣٠،٣١] .

ذلك أن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ...

فالنظرة الخائنة والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة والجسم العاري ... كلها لا تصنع شيئاً إلا تهييج ذلك السعار الحيواني المجنون !»[2] .

« وغض البصر من جانب الرجال أدب نفسي ، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على المحاسن والمفاتن ... كما أن فيه إغلاقاً للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية »[3] .

واهتمت الأحاديث الشريفة بالتحذير من نظرة العين التي يراد بها السوء . قال صلى الله عليه وسلم محذراً من كل وسيلة محرمة : « زنا العينين النظر ، وزنا

---

(١) تفسير ابن كثير : تفسير سورة النور الآية : ٥٨ .
(٢) في ظلال القرآن : سيد قطب : ٢٥١٠/٤ .
(٣) في ظلال القرآن : ٢٥/٢ .

اللسان النطق وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين الخُطا ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه »[1] .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : « إطلاق الزنا على اللمس والنظر وغيرهما بطريق المجاز ؛ لأن كل ذلك من مقدماته ... » وقال الفخر الرازي : والنظر بريد الزنا ورائد الفجور ، والبلوى فيه أشد وأكثر ، ولا يكاد يحترس منه »[2] .

ويرحم الله من قال :

كل الحوادث مبداها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبُها	في أعين العِين موقوف على الخطر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها	فتك السهام بلا قوس ولا وتر

٥ - النهي عن مصافحة المرأة الأجنبية[3]:

حرم الإسلام على الرجل مصافحة امرأة لا تحل له ، كما أنه لا يجوز لها هي أيضاً أن تمكنه من ذلك ، أو تقصد ملامسته بلا عذر شرعي « كالعلاج عند الضرورة مثلاً » ؛ لأن لمس أحد الجنسين للآخر فيه خطورة أشد من النظر ... .

وكان هديه صلى الله عليه وسلم عدم مصافحة النساء ، وهو المثل الأعلى والقدوة الحسنة لنا . فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في حديث المبايعة : « والله ما مسّتْ يده يد امرأة قط في المبايعة ، ما بايعهن إلا بقوله : « قد بايعتكن على ذلك »[4] .

(١) رواه البخاري : كتاب الاستئذان .
(٢) التفسير : ٢٠٥/٢٣ .
(٣) انظر المرأة المتبرجة ص ٨٦ - ٨٨ عبد الله التليدي .
(٤) البخاري ومسلم .

وعن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها خلال مبايعتها مع نسوة من الأنصار : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني لا أصافح النساء »[1] .

وقد ورد الوعيد الشديد في النهي عن مصافحة النساء ، عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأنْ يُطْعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أنْ يمس امرأة لا تحل له »[2] .

٦ - تحذير المرأة من الطيب عند خروجها :

إن عطر المرأة لا يكون إلا لزوجها وبيتها ، فبيوت المسلمين تُعطر بذكر الله ، وفي السكينة والاستقرار ، وليس الطيب للشارع والنادي شأن الكثيرات من فتيات هذا العصر .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية »[3] .

وتمنع المرأة إذا أصابت بخوراً أن تشهد الصلاة في المسجد لحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة »[4] .

ذلك أن مجرد خروج المرأة يلفت الأنظار ، وما كان نساء السلف يخرجن إلا للضرورة القصوى ... وهن تفلات[5]، فكيف بالمتعطرات يجلبن إليهن الأنظار الجارحة ؟.

---

(١) رواه أحمد : ٣٥٧/٦ ، والترمذي : ٣٩٥/٢ وقال : حسن صحيح .

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري رقم : ٣٧٩٩ ، وعزاه للطبراني والبيهقي وقال : رجال الطبراني ثقات ، رجال الصحيحين .

(٣) الترمذي : ١٧/٤ ، والحاكم : ٣٩٦/٢ ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه مسلم وأبو عوانة في صحيحيهما وأصحاب السنن .

(٥) تفلات : تاركات الطيب .

وقد رأينا كيف أن الحديث الشريف اعتبر المرأة التي تهيج الرجال بعطرها وتحملهم على النظر إليها بمثابة الزانية لأنها تحمل الرجال على النظر بعينه ونظر العينين زناهما ، وتأثم هي على ذلك . ولذلك ورد في الحديث الشريف أن : « المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان »[1] .

أي زينها في نظر الرجال ، وطمع بها وأطمع ؛ لأنها من حبائله وأعظم مصايده .

وها نحن اليوم نرى كثيراً من النساء يخرجن من بيوتهن ، وهن فتنة هائجة تعرياً وعطراً وسفوراً مسفاً ، اللهم ردنا إلى دينك رداً جميلاً ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

٧ – حجاب المرأة المسلمة ولباسها الشرعي :

إن غريزة الحياء في الإنسان غريزة طبيعية ، ففي جسده أعضاء وأجزاء جبله الله على الرغبة في سترها وإخفائها ... وإن هذه الأجزاء التي وضعت فيها الجاذبية الجنسية للرجل والمرأة تقتضي الفطرة أن يعنى المرء بسترها ، ويستحي من كشفها ، ولكن الشيطان يريده أن يبرزها ﴿ **فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما** ... ﴾ [الأعراف : ٢٠] ثم أنزل الله على الناس اللباس ليتخذوه ساتراً وزينة ، ولكن هذا الستر للعورات ليس كل شيء ، بل يجب مع ذلك أن تعمر تقوى الله قلوب المؤمنين ﴿ **قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير** ﴾ [الأعراف : ٢٦][2] .

ولذلك أوجب الله تعالى على المرأة المسلمة إذا بلغت سن الرشد الالتزام **بالحجاب عند خروجها** .

---

(١) رواه البزار والترمذي والطبراني في الكبير وصححه الألباني في إرواء الغليل : ١/٣٠٣ رقم : ٢٧٣ .

(٢) انظر الحجاب : المودودي ص ١٤٦ .

قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** ﴾ ، ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾[1] .

وحد العورة الذي يجب أن تلتزم المرأة بستره أمام الأجانب ، اختلف فيه الفقهاء على ثلاثة مذاهب وهي[2] :

١ – المرأة كلها عورة : وهو مذهب الإمام أحمد ، وأصح قولي الشافعي وإليه ذهب ابن تيمية[3] .

٢ – أنها عورة ما عدا الوجه والكفين والقدمين : وهو مذهب أبي حنيفة .

٣ – أنها عورة ما عدا الوجه والكفين فقط ، وهو مذهب مالك والشافعي والأوزاعي[4] .

وسبب الخلاف في ذلك احتمال قوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ هل هذا المستثنى المقصود من أعضاء محددة ... أم أن المقصود به ما لا يملك ظهوره ؟ .

وقال تعالى : ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ قال عكرمة : تغطي ثغرة نحرها بجلبابها تدنيه عليها[5] .

---

(١) سورة النور : الآيات ٣١ – ٣٣ .
(٢) انظر تفصيلاً لهذه الآراء في كتاب الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة ص ٩٢ – ٩٥ ، وص ١٠١ وما بعدها .
(٣) حجاب المرأة ولباسها في الصلاة وغيرها لابن تيمية ص ٢٨ .
(٤) المغني : ٦٠١/١ .
(٥) تفسير ابن كثير : ٥١٨/٣ .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ [الأحزاب : ٥٩] والجلباب هو الرداء فوق الخمار أو الملاءة ، وتسميه العامة الإزار ، وهو الإزار الكبير الذي يغطي رأسها وسائر بدنها[١] .

وقد ذكر القرطبي : « أنه لما كان من العربيات التبذل ، وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء ، وكان ذلك داعية إلى نظرة الرجال إليهن ، وتشعب الفكرة فيهن ، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن – وكن يتبرزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكنف – فيقع الفرق بينهن وبين الإماء فتعرف الحرائر بسترهن ، فيكف عن معارضتهن من كان عزباً أو شاباً »[٢] .

« وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : لما نزلت هذه الآية ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ خرج نساء من الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها »[٣] .

هكذا كان الالتزام بالأحكام مباشرة وبلا تردد ، ثم إنه إلى عهد قريب لازلنا نرى في أكثر البلاد الإسلامية تفلتاً آثار حجاب الوجه والبرقع والملاءة في الأزياء الشعبية .

ورغم الخلاف حول حجاب الوجه والكفين ، فإنه تربية النساء على تقوى الله تجعل هذا الخلاف محدوداً من الناحية العملية ، ذلك أن المسلمة حقاً لن ترضى في دينها الدون ، فتسعى نحو الأكمل والأفضل اقتداء بأمهات المؤمنين ، وحتى من يرى جواز إظهار الوجه فلا خلاف أن ستره عندهم أفضل ، والمسلمة تحرص على الأفضل وهو ستر الوجه .

ومقصود الشارع كما يذكر المودودي : « أنه إن كشفت المرأة شيئاً من

(١) حجاب المرأة ولباسها في الصلاة لابن تيمية : ٢٨ ، ٢٩ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٤/٢٤٣ .
(٣) أحكام القرآن للجصاص : ٣/٣٧٢ .

نفسها إظهاراً لحسنها وجمالها فهو إثم ، وإن ظهر منها شيء بنفسه دون أن تتعمد إظهاره فلا جناح فيه عليها »[1] .

فالمؤمنة الملتزمة بأحكام دينها لن تفرط بحجاب وجهها سواء اعتبرته فرضاً أم فضيلة فهي تسعى للفضائل دائماً ، وتبتعد عن الإثم الذي يحيك في الصدور . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس »[2] .

والاتفاق : على أنه لا يجوز مطلقاً أن تبدي المرأة ما سوى الوجه والكفين (على خلاف فيه) إلا للضرورة كالتداوي ، والضرورة تقدر بقدرها .

أما أن تبدي المرأة النحر والساقين والذراعين وتحسر عن رأسها بالصورة التي نراها عند كثيرات ممن ينتسبن للإسلام ، فهو تردٍ إلى أكثر من حال الجاهلية الأولى التي قال تعالى فيها : ﴿ **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ فكانت المرأة تمشي بين أيدي القوم ، ولها مشية وتكسر وتغنج ، فنهاهن الله تعالى عن ذلك .. ونهاهن عن إظهار المحاسن للرجال[3] .

فماذا يقال عمّن تبرز مفاتنها ، وتتجول في المنتديات والأسواق ، وقد تزينت وأجهدت نفسها لتكون في أبهى حلة وحسب أصول التجميل في آخر مبتكراته ؟ أليست هذه هي الجاهلية الثانية ؟[4] .

صفات اللباس الشرعي[5] :

لا تلبس المرأة المسلمة إلا لباساً يتناسب مع أحكام الشرع وآداب

---

(١) الحجاب : المودودي ص ٢٩٩ .

(٢) شرح صحيح مسلم : ١١١/١٦ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص : ٣٦٠/٣ .

(٤) الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة : حولة درويش .

(٥) انظر المرجع السابق من ص ١١٤ - ١٢١ .

الإسلام ، ومن أهم مواصفات هذا اللباس :

أ - أن لا يصف الجسم ولا يشف عنه :

فإذا كان اللباس خفيفاً يبين لون الجلد من ورائه لم تجز الصلاة (وكذلك عند الخروج من باب أولى) ؛ لأن الستر لم يحصل[1] .

وقد جاء في الحديث الشريف : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها توجد من مسيرة كذا وكذا »[2]. فهؤلاء هنّ الكاسيات العاريات اللائي يلبسن ثياباً رقيقة تصف لون أبداهن ، أو تستر بعضها وتكشف آخر .. كما أنه لا يجوز لبس ما يصف شكل الجسم وحجمه .

ب - أن لا يكون ثوب شهرة :

لحديث ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة »[3] وقد أصبحت خزائن النساء كأنها معارض أزياء يتباهين بها في الحفلات والمناسبات العامة و ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾[4] .

جـ - أن لا يكون به طيب[5] :

وذلك منعاً لكل المثيرات في المجتمع الإسلامي . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب فقال : يا أمَة الجبار جئت من المسجد ؟ قالت : نعم . قال : وله تطيبت ؟ قالت : نعم . قال : إني سمعت حبي

---

(١) المغني : ٧٠٩/١ ، وهذا أيضاً رأي الشافعية في المهذب : ٦٤/١ .
(٢) صحيح مسلم مع الشرح : ١٠٦/١٤ .
(٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة «نيل الأوطار : ١١٦/٢» .
(٤) سورة الإسراء : آية ٢٨ .
(٥) تحدثنا عن هذا الموضوع : في تحذير المرأة من الطيب عند خروجها .

أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تقبل صلاة لامرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة »[1] .

فإن كان النهي عن تطيب المرأة للمسجد ، لما في الطيب من إثارة وإغراء ، فكيف بمن تتطيب للسير في الشارع والذهاب للزيارة ؟ .

د - أن لا يشبه لباس الكافرات :

لأن للمسلمة شخصيتها المتميزة، فلا تقلد الكافرات في كل موضة ، ولا تسير وراء كل ناعق أو ناعقة . وقد كتب عمر رضي الله عنه لأمير جيش المسلمين بأذربيجان : « إياكم والتنعم وزي أهل الشرك ، ولبوس الحرير »[2] ولكن هل يعني هذا المخالفة في كل شيء ؟ لقد وافقهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما لا يمس العقيدة إذ صاغ خاتماً حلقته من فضة ، ونقش فيه محمد رسول الله ، عندما أراد أن يكتب لكسرى وقيصر والنجاشي ، وقيل له : إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم .

وورد أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال التي لها شعر، وأنها من لباس الرهبان .

وفي ذلك إشارة إلى أن صورة المشابهة التي فيها صلاح العباد لا تضر[3] .

هـ - أن لا يشبه لباس الرجل :

اختص الرجال بلباس معين يغاير ما عليه لباس المرأة ، فلا يجوز لأي منهما أن يلبس ما اختص به الآخر ؛ لأن المرأة المتشبهة بالرجال تكتسب من أخلاقهم حتى يصير فيها من التبرج والبروز ومشاركة الرجال ما قد يفضي ببعضهن إلى أن تظهر بدنها كما يظهره الرجل .. وتفعل من الأفعال ما ينافي الحياء والخفر

---

(١) سنن أبي داود : ٤/١١ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) حاشية ابن عابدين : ١/٥٨٣ .

المشروع للنساء »[1] وعن أنس رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال » وفي رواية : « لعن رسول الله المخنثين من الرجال ، والمترجّلات من النساء . وقال : أخرجوهم من بيوتكم »[2] .

ومن يرقب شباب اليوم وشاباته في كثير من بلدان العالم التائه ، يجد أن اللباس كاد أن يتوحد ، فالأساور والقلائد يلبسها الجنسان ، وقد يصعب على المرء أن يميز بين الفتى والفتاة ... حتى برزت طائفة سميت « الجنس الثالث » في أوربا ، جنس لايتميز بصفات الذكورة الحقة ولا الأنوثة الحقة ، أصبح عبئاً ثقيلاً على مجتمعه ، ولا يجلب له أي نفع .

و – أن لا يكون به صور ما فيه روح أو صلبان :

من شروط اللباس أيضاً : ألا يكون فيه صور ذوات الأرواح أو صلبان النصارى لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة »[3] .

« وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت على بابي درنوكاً فيه الخيل ذوات الأجنحة فأمرني فنزعته »[4] .

قال النووي : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد ، وهو من الكبائر ؛ لأنه متوعد عليه بالوعد الشديد المذكور في الأحاديث سواء كان في ثوب أو في بساط أو درهم أو دينار .

وبعد : فهذه أهم صفات اللباس للمرأة المسلمة التي انفصلت عن المفاسد

---

(١) الفتاوى لابن تيمية : ١٥٤/٢٢ .
(٢) حديث صحيح ورد في البخاري في اللباس .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ٨٤/١٤ – ٩٣ .
(٤) السابق . الدرنوك : ستر له خمل وجمعه درانك .

بكل ما فيها ، وأقبلت على الإسلام بكل ما فيه ، ولا تنس بعد هذا الحشمة والوقار في الخروج وعدم لفت الأنظار إليها .

٨ - زينة المرأة المسلمة[١] :

المسلمة سيدة في بيتها ، زينتها لزوجها ولا تظهرها إلا أمامه وأمام المحارم الذين يجوز إبداؤها أمامهم ، وأمام النساء المسلمات وفي الحدود المشروعة .

عن ميمونة بنت سعد رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الرافلة في زينتها في غير أهلها ، كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها »[٢] .

فما أنواع هذه الزينة وما حكمها ؟ ذلك ما سنجمل الحديث عنه في هذه الصفحات .

هنالك الزينة المستحبة :

كالسواك واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عشر من الفطرة ... ومنها السواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم .. »[٣] .

ومنها خضاب الشيب بالحناء والكتم ، ثم استعمال الكحل والإثمد ونظافة الثوب والبدن ، فهذه أم رعلة القشيرية قالت : يا رسول الله : إني امرأة مقينة ومجمّلة ، أقين النساء ، وأزينهن لأزواجهن ، فهل هو حوب فأثبط عنه ؟ فقال لها : « يا أم رعلة قينيهن وزينيهن إذا كسدْن »[٤] .

فأباح لها تزيين المرأة وتجميلها لزوجها ، ما دام ذلك بالحدود المشروعة .

ويستحب الإسلام للمرأة أن تأتي في زينتها كل ما يجعلها أنيقة ، حسنة

---

(١) انظر الزيارة بين النساء من ص ١٩٠ - ٢٠٥ .
(٢) التاج الجامع للأصول : ٢/٥٩٠ .
(٣) أخرجه مسلم في الإيمان : باب خصال الفطرة .
(٤) الإصابة : ٤/٤٣١ .

المظهر طيبة الرائحة ، في حدود الحشمة والالتزام بما شرع الله .

ومن الزينة المباحة :

لبس الحرير والتحلي بالفضة والذهب بأي شكل كان ، فعن أبي موسى الأشعري عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « أحل الذهب والحرير للإناث من أمتي وحرم على ذكورها »[1] .

وذكر النووي : جواز لبس أنواع الحلي كلها ، من الذهب والفضة كالخاتم والحلقة والسوار والخلخال والطوق والعقد والقلائد وغيرها ... ويجوز لها لبس خاتم الذهب ، وهذا مجمع عليه ولا كراهة »[2] .

ويجوز للمرأة أن تتحلى بالجوهرات واللآلىء .

كل ذلك على أن لا يظهر للأجانب ، ولا يكون فيه إسراف وتبذير وإهدار لأموال الأمة ،ويحسن بالمسلمة الزهد المباح والزينة المقتصدة ، إذ ليس من الإسلام أن تضع الأمة ثروتها في أعناق نسائها وأياديهن حلياً من الذهب والجوهرات معطلة عن أية فائدة تعود على المسلمين . ومن الحلية المستحدثة : الأصباغ التي تستعمل في تحمير الوجْنة وتبييض الوجه ، فهي جائزة قياساً على المعصفر الجائز للنساء شريطة ألا يرى الأجنبي المرأة وهي على تلك الحال .

أما ما يمنع من الأصباغ نفوذ الماء تحته كطلاء الأظافر ، وبعض طلاء الوجه ، وبعض أنواع الكحل التي تمنع نفوذ الماء ، وبالتالي تمنع صحة الطهارة (من وضوء وغسل)، فهذه وأمثالها يجب إزالتها كلياً ثم الطهارة .

وهكذا راعى الإسلام طبيعة المرأة ، التي تحب أن تظهر أكثر جمالاً ورقة ، فأباح لها بعضاً مما حرمه على الرجل مراعاة للنفس البشرية وما جبلت المرأة عليه .

---

(١) رواه النسائي والترمذي في اللباس .

(٢) المجموع : ٤٤٣/٤ .

أما الزينة المحرمة :

فمنها **حلق الشعر** : وحلق الشعر حرام ، فقد روى أبو موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا بريء ممن حلق وصلق وخرق »[1] .

ومن الزينة المحرمة وصل الشعر :

لما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن : « أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : إن لي ابنة عُرَيّساً أصابتها حصبة ، فتحرّق شعرها ، أفأصله ؟ فقال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة »[2] .

فالواصلة : هي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر ، والمستوصلة : هي التي تطلب من يفعل ذلك بها ، وهذا الحديث صريح في تحريم الوصل ، ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقاً .

أما التقليد الأعمى فقد تجاوز أصحابه كل محرم ، وأضحت « الباروكة » شائعة بين الفتيات ، رغم حرمتها لما فيها من تدليس ، سواء كان الذي وصلت به المرأة شعرها ، شعراً حقيقياً ، أو ما يبدو للناظر أنه شعر .

والوشم : من الزينة المحرمة ، وكان منتشراً في الجاهلية .

وهو غرز إبرة أو نحوها في ظهر الكف ، أو المعصم أو الشفة ، أو غير ذلك من بدن المرأة ، حتى يسيل الدم ، ثم يحشى ذلك الموضع بالكحل فيخضر وهو حرام . لما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله » .

---

(١) رواه مسلم : صحيح مسلم مع الشرح : ٢/١١١ . الصالقة : التي ترفع صوتها عند المصيبة ، الحالقة : التي تحلق شعرها عند المصيبة ، والخارقة : التي تخرق ثوبها عند المصيبة .

(٢) صحيح مسلم مع الشرح : ١٤/١٠٣ .

ولما سئل قال : « ومالي لا ألعن من لعن رسول الله »[1] .

والوشر : هو تحديد الأسنان وترقيقها ، تفعله المرأة الكبيرة ، تتشبه بحديثة السنّ ، وهو محرم لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النامصة ، والواشرة والواصلة والواشمة إلا من داء »[2] .

التنميص : وهو حرام لحديث ابن مسعود السابق ، ولما مر من حديث ابن عمر رضي الله عنهم أجمعين .

وقد اختلف في تفسير التنميص : فقد ذكر الشوكاني : أن النامصة ، هي التي تستدعي نتف الشعر من وجهها .

وقال بعضهم : هي التي تحف الحاجب حتى يصير رقيقاً .

وقال بعضهم : هي التي تنتف الشعر بالنماص (الملقاط) من وجهها أو جبينها[3] .

وإلى هذا ذهب النووي فقال : النامصة هي التي تزيل الشعر من الوجه ، والمتنمصة التي تطلب فعل ذلك .

تعظيم الشعر (نفشه) : وهو محرم لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[4] .

---

(١) رواه مسلم : ١٠٦/١٤ بشرح النووي .
(٢) رواه أحمد ، ينظر نيل الأوطار : ٢٠٢/٦ .
(٣) حاشية غاية المأمول على التاج الجامع للأصول : ١٥٨/٣ .
(٤) شرح صحيح مسلم : ١١٠/١٤ ، والتعليق مقتبس من الشرح للنووي رحمه الله .

فهذا الحديث من معجزات النبوة ، والصنفان موجودان حالياً ، وفي الحديث ذم للظلمة المتجبرين ، وللنساء اللواتي يكشفن بعض أجسادهن ، أو يلبسن ثياباً رقاقاً ، ممن يمشين مُتَبَخْتِرَاتٍ ، يمشطن المشطة المائلة مشطة البغايا ، ينفشن شعورهن يكبرنها ويعظمنها ، وما أكثر ذلك .

٩ - عقوبات وحدود[١]:

بعد أن سد الإسلام جميع الذرائع أمام الغواية ، وأقام الحواجز بين الجنسين ، وأنشأ المجتمع النظيف ، بتربية الناس على العفة والفضيلة ، اتخذ العقوبات الرادعة لعقوبة الزنا لو حصلت ، ليحمي الأعراض مما يخدشها ، ويمنع الانحراف والرذيلة .

جعل الجلد مائة لغير المحصن ، والرجم للمحصن ذكراً كان أو أنثى قال تعالى : **﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾**[٢]» إذ لابد من الصرامة في إقامة الحد، وعدم الرأفة في أخذ الفاعلين بجرمهما ، وعدم تعطيل الحد أو الترفق في إقامته ، تراخياً في دين الله ... وتكون إقامته في مشهد عام تحضره طائفة من المؤمنين ، ليكون أوقع وأوجع في نفوس الفاعلين ونفوس المشاهدين ... »[٣] .

أما المحصن فقد حددت حكمه السنة النبوية إذ تم حد الرجم زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم[٤] .

« والإسلام وهو يضع هذه العقوبات الصارمة الحاسمة لتلك الفعلة المستنكرة ، لم يكن يغفل الدوافع الفطرية أو يحاربها ، فالإسلام يقدر أن لا حيلة

---

(١) عن كتاب أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام : المبحث الثالث .

(٢) سورة النور : الآية ٢ .

(٣) في ظلال القرآن : ٢٤٨٩/٤ .

(٤) انظر : قصة رجم ماعز والغامدية في صحيح مسلم بشرح النووي : ١٩٤/١١ ، ١٩٩ ، ٢٠١ .

للبشر في دفع هذه الميول ، وإنما أراد محاربة الحيوانية التي لا تفرق بين جسد وجسد ... على أن الإسلام لا يشدد في العقوبة هذا التشديد إلا بعد تحقيق الضمانات الوقائية المانعة من وقوع الفعل .. يعتمد على ذلك بعد تطهير جو الحياة كلها من رائحة الجريمة ... فيعاقب كذلك على قذف المحصنات واتهامهن دون دليل أكيد بثمانين جلدة مع إسقاط الشهادة والوصم بالفسق[1] .

قال تعالى : **﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾** [النور : ٤] .

لقد شدّد الإسلام في عقوبة القذف صيانة للأعراض من التهجم وحماية لأصحابها من الآلام ، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا مع إسقاط الشهادة والوصم بالفسق ... إلا أن يأتي القاذف بأربعة شهود قد رأوا الفعل أو بثلاثة معه إن كان قد رآه .. فيوقع حد الزنا على صاحب الفعلة .

هذا هو المجتمع الإسلامي ، وهذه هي معالم الطهر فيه فقد خلصه الإسلام من رواسب الجاهلية وانحرافاتها ، واستمر على ذلك قروناً متطاولة حتى بدأ الانحراف والانهيار مع هيمنة ما يسمى بحضارة القرن العشرين أو جاهليته .

---

(١) انظر في ظلال القرآن : ٤/٢٤٩٠ - ٢٤٩١ .

الفصل الثاني : المرأة والتعليم

المبحث الأول : المرأة وثقافتها قبل الإسلام

- تربية الفتاة في البادية .
- المعارف والعلوم التي شاركت فيها .
- رواية المرأة للشعر ونقدها له ، ونظمها فيه .

المبحث الثاني : تعليم المرأة في ظلال الإسلام

- الإسلام يحث على طلب العلم .
- الإسلام يهتم بتعليم المرأة .
- المرأة المسلمة تشارك في علوم عصرها .
- العلوم التي تناسب المرأة .

المبحث الأول

المرأة وثقافتها قبل الإسلام

كانت التربية عند العرب فطرية ، تعتمد على التربية الطبعية ، وتعد أطفالهم لكسب معيشتهم والحصول على ما يكفيهم لحفظ حياتهم .

فالطفل العربي ، كان يحاكي أباه في أقواله وأفعاله ، وعاداته وتقاليده ...

والطفلة العربية ، كانت تقلد أمها في تصرفاتها وأعمالها ...

وكانت الأسرة والعشيرة ، هي الوسيلة الأولى لتربية الأطفال عند العرب .

فبالتجارب وقوة الملاحظة ، عرفوا علم النجوم وعلم الطب ، وأظهروا نبوغاً في الشعر والخطابة وعلم الأنساب ، وأبدوا مهارة في علوم الكهانة والعيافة والفراسة ، دون دراسة في مدارس ، أو اطلاع على كتب ؛ لأن معظمهم كانوا أميين ، لا يقرؤون ولا يكتبون .

وقد عرفوا بقوة الذاكرة والحافظة ، يحفظون كثيراً من الأشعار والخطب ، ويروونها عمن سبقهم من الشعراء والخطباء والرواة[1] .

وقد شاركت الفتاة العربية الفتى في تعلم هذه المعارف الأولية بالمعايشة والمحاكاة ، ونبغ عدد من النساء حسب إمكانياتهم في ذلك العصر .

---

(١) التربية الإسلامية وفلاسفتها : محمد عطية الأبراشي . مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، طبعة ١٣٩٥هـ .

المعارف والعلوم[1] :

لعل أهم علوم أهل الجاهلية : **علمهم بالأنساب والأيام** : وما ينطوي هذا العلم على المناقب والمثالب ، وممن اشتهر بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقد « كان أعلم قريش بأنسابها ، وأنسب هذه الأمة »[2] ولذلك كان يأتيه حسان بن ثابت رضي الله عنه يتعلم منه أنساب قريش والعرب ، قبل أن ينظم قصائده فيهم .

ويلي هذا العلم **معرفتهم بالنجوم** : ومطالعها ، وأنوائها وأمطارها ، فقد عرف العرب حركات الكواكب ، طلوعها وغروبها ، ولا سيما ما يتعلق بها غرضهم ، وتمس إليها حوائجهم[3] .

وحصلوا هذه المعرفة بطول التجربة ، لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب معيشتهم ، لا على طريق تعلم الحقائق ، ولا على سبيل التدرب في العلوم[4] .

وقد سئلت أعرابية : أتعرفين النجوم ؟ قالت : سبحان الله أما أعرف أشباحاً وقوفاً عليّ كل ليلة ؟! ووصف أعرابي لبعض أهل الحاضرة نجوم الأنواء ونجوم الاهتداء ونجوم ساعات الليل ، والسعود والنحوس . فقال قائل لشيخ عبادي كان حاضراً : أما ترى هذا الأعرابي يعرف من النجوم ما لا نعرف ؟ قال : من لا يعرف أجذاع بيته ؟[5] .

وكانت لهم عناية خاصة **بالقيافة والعيافة** : والقيافة على قسمين : قيافة

---

(١) انظر المعارف عند العرب ، كتاب العصر الجاهلي شوقي ضيف ص ٨٣ - ٨٨ ، وبلوغ الأرب للآلوسي : ٢٢٣/٣ - ٣٤٤ .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي : ٣٣٠/٨ .

(٣) بلوغ الأرب : ٢٢٣/٣ .

(٤) طبقات الأمم : لصاعد الأندلسي ، طبع بيروت .

(٥) الحيوان للجاحظ : ٣٠/٦ ، وانظر العصر الجاهلي شوقي ضيف ص ٨٤ ، ومعنى الأجذاع : سيقان النخل تحمل سقفاً للخيمة .

الأثر ويقال لها : العيافة : وهي علم يستفاد منه في تتبع آثار الأقدام ، والأخفاف والحوافر في مقابلتها للأثر .. وينفع هذا العلم في تحديد الفارين من الناس ، ولهم في ذلك أقاصيص طويلة ، ليتعقبوا من يضل منهم في الصحراء ، أو ليتعقبوا الأعداء الذين يغيرون عليهم في غيبتهم عن أحيائهم ، أو ليتعقبوا الحيوانات الضالة إذ يتتبعون آثارها ليردوها إلى أصحابها .

أما قيافة البشر فيستدل بهيئة الإنسان وشكله على نسبته ... وللعرب في ذلك قصص كثيرة، إذ بمجرد أن ينظروا إلى الشخص كانوا يلحقونه بأبيه، أو يلحقون الأخ بأخيه ، ويميزون الأجنبي إذا كان بينهم[1] .

أما الفراسة :

فتعني الاستدلال بهيئة الإنسان وأشكاله ولونه وأقواله، على أخلاقه وفضائله ورذائله[2] .

الكِهانة والعرافة : وتختص الكِهانة بالتكهن لأمور المستقبل، أما العرافة فللأمور الماضية .

وقد اشتهر عدد من الكهان والعرافين في العصر الجاهلي، كان يفزع إليهم العرب لتعرف الحوادث ، ويتنافرون إليهم في الخصومات .

اشتهر منهم جماعة معدودون منهم : شق بن أنمار ، وسطيح بن مازن .

ومن النساء : طريفة الكاهنة ، وسلمى الهمدانية ، وعفيراء الكاهنة ... وقد نقل الآلوسي عنهن أشياء عجيبة ، وأساطير غريبة[3] .

ثم شاعت عندهم الحكمة ... وهي تنبيء عن معرفة الشخص بالحياة ، ووقوفه على طرقها المستقيمة التي تهدي سبيل الرشاد ، وكثرت الحكم والأمثال

(١) بلوغ الأرب : ٢٦١/٣ .
(٢) السابق : ٢٦٣/٣ .
(٣) بلوغ الأرب : ٢٦٩/٣ – ٣٠٥ .

عندهم وألف فيها كتب ضخمة في العصر العباسي ... ولعل هذه الحكم كانت مقتبسة من حقائق مجتمعهم ومعاشهم وتتميز بالبساطة والفطرة[1] .

وكثر حكام العرب في الجاهلية[2]: وهم علماؤهم الذين كانوا يحكمون بينهم إذا تشاجروا في المجد والفضل ، وهم كثيرون من أشهرهم : أكثم بن صيفي ، حاجب بن زرارة ، هاشم بن عبد مناف ، عبد المطلب بن هاشم ، وذو الأصبع العدواني ، وتتناقل كتب الأدب والأخبار رجاحة عقولهم ، وسيادتهم في أقوامهم ، كانوا يفصلون في الخصومات ، ويحكمون في المنافرات بين العرب .

وكان في نساء العرب أيام الجاهلية من **ذوات الكمال** الكثيرات .

كان منهن ذوات معرفة ، ومزيد فطانة وذكاء . ومن اشتهر بإصابة الحكم وفصل الخصومات ، وحسن الرأي في الحكومة .

ومن أشهرهن في ذلك : هند بنت الخس الإيادية ، وصُحر بنت لقمان ، وحذام بنت الريان ... وغيرهن .

ويروى أن العرب كانت تتحاكم عند صحر ، فيما ينوبهم من المشاجرات في الأنساب وغيرها ...[3] .

وقد شاركت المرأة الجاهلية في معارف عصرها ، إلا أن هذه المعارف كانت معارف أولية ، تعتمد على التجربة الناقصة ، ولا تؤسس على قاعدة ولا نظرية ، فهم في جمهورهم بدو ، ليسوا أصحاب علم ولا نظر عقلي يؤسس على أسلوب علمي .

ولعله من أجل ذلك شاعت عندهم العيافة ، وهي التنبؤ بملاحظة حركات الطيور ، وقد تطورت إلى التشاؤم والتطير وكثرت لديهم الخرافات والأساطير في

---

(١) العصر الجاهلي : شوقي ضيف ص ٨٨ ، وجواد علي : ٣٣٦/٨ .

(٢) انظر بلوغ الأرب : ٣٠٨/١ - ٣٣٨ . وانظر أيضاً : تاريخ العرب قبل الإسلام : د. جواد علي : ٥٠٤/٥ وما بعدها .

(٣) بلوغ الأرب : ٣٣٨/١ - ٣٤٤ .

حياتهم ، حتى في معارفهم الطبية ، إذ خلطوا التجربة بالخرافة كإيمانهم بأن دم السادة يشفي من داء الكلب ، وأن عظام الميت تشفي من الجنون ...[1] .

المرأة راوية للشعر وناقدة : كانت الكتابة عند العرب في الجاهلية نادرة ، ولا عجب فقد وصفهم القرآن بأنهم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة ، ويشير إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته بقوله : « كان أكثرهم أميين ولا سيما البدو ، ومن قرأ منهم ، أو كتب كان حظه قاصراً ، وقراءته غير نافذة لأن هذه الصناعة ، من الصنائع التابعة للعمران ... » .

ولذلك كانت **رواية الشعر** في العصر الجاهلي هي الأداة الطيعة لنشره وذيوعه ، وكانت هنالك طبقة تحترف الرواية احترافاً ، هي طبقة من الشعراء أنفسهم[2] .

لذلك كان الشعر يتخطى الآفاق ويذيع بالرواية ، فكان يرويه جيل بعد جيل ...

وقد **ساهمت المرأة في رواية هذا الشعر**[3]: من ذلك أن الفارعة بنت أبي الصلت أخت أمية قدمت على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح الطائف ، فقال لها رسول الله : هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً ؟ فأخبرته خبره وأنشدته شعره الذي أوله :

باتت همومي تسري طوارقها　　أكفّ عيني والدمع سابقها

---

(١) انظر العصر الجاهلي : شوقي ضيف ص ٨٣ – ٨٨ .
وعلم الطب ومشاهير الأطباء : بلوغ الأرب : ٣٢٧/٣ وما بعدها .
(٢) انظر رواية الشعر الجاهلي : كتاب العصر الجاهلي لشوقي ضيف ص ١٤١ – ١٤٨ .
(٣) انظر المرأة في الشعر الجاهلي : د. أحمد محمد الحوفي ص ٥٩٠ – ٥٩٨ .

ثم أنشدته قوله :

كل عيش وإن تطاول يوماً ... صائر مرة إلى أن يـزولا

وخلال هذه الرواية للشعر ، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل أخيك كمثل الذي آتيناه أياتنا فانسلخ منها، فأتبعه الشيطان، فكان من الغاوين »[1] .

وكان الأعشى قد علم ابنته وثقفها حتى وثق بذوقها ونقدها فكان يعرض عليها شعره ، ويقول لها: عدي لي المخزيات – القصائد اللائي يخزين غيره – فلا يستطيع أن يأتي بمثلهن ، فتسمعه من شعره[2] .

وكذلك كان حسان بن ثابت رضي الله عنه ، على ثقة من ذوق ابنته ، وطواعيه التعبير لها على البديهة ، فقد أرق ليلة وعنده ابنته ليلى، فعنّ له الشعر فقال :

متاريك أذناب الأمور إذا اعترتْ ... أخذنا الفروع واجتثثنا أصولها

ثم أجبل (توقف) فلم يجد شيئاً ، فقالت له ابنته : هل لك أن أجيز عنك ؟ قال : نعم . فقالت :

مقاويل بالمعروف خرسٌ عن الخنا ... كرامٌ يعاطون العشيرة سُولها

فحمي حسان فقال :

وقافية مثل السنان رزينـة ... تناولت من جو السماء نزولها

فقالت :

براها الذي لا ينطق الشعر غيره ... ويعجز عن أمثالها أن يقولها[3]

---

(١) الإصابة : ٣٦٤/٤ ، طبعة دار الكتاب العربي بيروت .

(٢) الأغاني : ١٦/١٥ .

(٣) انظر الموشح ص ٦٢ المرزباني المطبعة بمصر ١٣٤٣هـ .

أما نقد المرأة للشعر[4] :

فإنه كان كنقد الرجال ، قائما على استحسان أو استهجان ، في جمل قصيرة، تدل على الاستجادة أو الاستهجان .

فكان الأعشى إذا قال القصيدة عرضها على ابنته ، وكان قد ثقفها وعلمها، ما بلغت به استحقاق التحكيم ، والاختيار لجيد الكلام .

وذكروا أن امرأ القيس نازع علقمة بن عبدة الشعر ، فقال له علقمة : قد حاكمت بيني وبينك امرأتك أم جندب .

قال : قد رضيت .

فقالت لهما : قولا شعراً على روي واحد وقافية واحدة تصفان فيه فرسيكما ...[2] .

ثم حكمت لعلقمة .

والقصة بحاجة إلى تمحيص ، على أن لها دلالتها في أن المرأة العربية كانت تتذوق الشعر وتنقده »[3] .

وكان من النساء شواعر مجيدات[4] :

وإن كان المروي لهنّ قليلاً ، وخاصة في الكتب الأولى التي جمعت الشعر ، كالطبقات والمفضليات وحماسة أبي تمام .

ثم حفلت المراجع بشعر النساء في الجاهلية والإسلام مثل : الأغاني ، ونزهة

---

(١) المرأة في الشهر الجاهلي : الحوفي ص ٥٩٣ وما بعدها .
(٢) الأغاني : ١٢١/٧ والقصة مشهورة في كتب الأدب .
(٣) المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ٥٩٧ .
(٤) انظر المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ٦٠٣ - ٦٠٨ .

الجلساء في أشعار النساء[1]، ورياض الأدب في مراثي شواعر العرب ، على أن كتب اللغة والأدب والتاريخ حافلة بقطوف من شعرهن : مثل خزانة الأدب ، والعقد الفريد ، وعيون الأخبار ، ومعجم البلدان لياقوت ، ولسان العرب ، وتاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الأثير ، وبلاغات النساء لابن طيفور ، والشعر والشعراء لابن قتيبة .. إلخ .

وقط طبعت بعض الدواوين كديوان الخنساء ... ومن أكثر الفنون التي اهتمت بها المرأة : الرثاء ، والتحميس على القتال والثأر ثم الفخر والهجاء[2] .

فالرثاء مجال فسيح تطلق فيه المرأة عواطفها ؛ لأنه نوع من النواح والبكاء .

تقول الخنساء في ديوانها :

دقّ عظمي وهاض مني جناحي   هلك صخر فما أطيق بَرَاحَا

وتقول :

قذى بعينك أم بالعين عوّار   أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

وكانت الخنساء قد تزعمت شواعر الجاهلية والإسلام في الرثاء لكثرة ما رثت أخويها ، ولجودة مراثيها وحرارة عاطفتها .

وها هي فاطمة بنت الأحجم الخزاعية ترثي أباها ، وتصور ما أصابها من ذل وضعف بشعر باك حزين[3] :

قد كنت لي جبلاً ألوذ به   فتركتني أضحى بأجرد ضاح

---

(١) مخطوط بمكتبة تيمور ٨١٣ شعر «عن المصدر السابق» .

(٢) انظر فنون شعرها للحوفي في كتابه المرأة في الشعر الجاهلي ص ٦١٢ – ٦٤٧ ، والفصل الأول من كتابنا : الحياة السياسية عند العرب : الحروب الجاهلية وأثرها على موضوعات الشعر .

(٣) شرح الحماسة : تحقيق العسيلان .

فاليوم أخضع للذليل وأتقي منه وأدفع ظالمي بالراح
وإذا دعت قمرية شجناً لها يوما على فنن دعوت صباح

والتحميس على القتال والثأر من موضوعات الشعر التي اشتهرت بها المرأة ؛ لأنها تريد مشاركة الرجال في التلهف على إدراك الثأر والتشوف لغسل الدم ومحو العار .

قالت : امرأة من غامد لما هزم ربيعة بن مكدم جمع غامد وحده :

ألا هل أتاها على نـأيها بما فضحت قومها غامدُ ؟
تمنيتم مائتي فارس فـردكم فارس واحـدُ
فليت لنا بارتباط الخيول ضأناً لها حالبٌ قاعدُ [1]

---

(١) البيان والتبيين : ٢٠٨/١ .

المبحث الثاني

تعليم المرأة في ظلال الإسلام

الإسلام يحث على طلب العلم :

حث الإسلام على طلب العلم وعظم العلم والعلماء، وشجع الرسول صلى الله عليه وسلم على طلب العلم والتفقه في الدين ، وهو الذي نزل عليه الوحي فعلمه : ﴿ **اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ [العلق : ٣-٥] . وقوله تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ [فاطر : ٢٨] . وقال تعالى مبيناً فضل العلماء : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعلمون** ﴾ [الزمر : ٩] . وقال جل من قائل : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ [المجادلة : ١١] .

ولقد حثت الأحاديث الشريفة على طلب العلم ، وبينت الأجر العظيم لمن يلتمسه مخلصا لله عز وجل. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ؛ سهل الله له طريقاً إلى الجنة »[1] . وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[2] .

وكان التحذير شديداً لمن يكتم العلم . قال صلى الله عليه وسلم : « من

---

(١) رواه مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي : ٢٦٩٩ .

(٢) السابق : ١٦٣١ .

سئل عن علم فكتمه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار »[1] واعتبر عليه الصلاة والسلام أن طلب العلم فريضة حيث قال : « طلب العلم فريضة »[2] .

« وذلك يعني أن العلم واجب مفروض ، فعلى المسلم أن يؤديه ولا يجوز أن تشغله عنه المشاغل. وأنه واجب يؤديه الإنسان إلى الله، ويتعبد به إليه ومن ثم فهو يؤديه بأمانة وإخلاص ... يحس أنه يتقرب به من الله ، فيزداد إيماناً وخشية لله وحباً ....

تلك كانت معاني العلم في نفوس المسلمين .

وبهذه الروح الواصلة كانوا يأخذون العلم على أنه فريضة تصل العمل بالعقيدة ... فكان للعلم هذا المدلول الشامل ... مشمولاً بالعقيدة ، ومرتبطاً بالله جل جلاله .

ومن ثم امتدت العلوم في نظرهم حتى شملت المعرفة كلها في علوم الدين ، من فقه وتوحيد ، ومنها علوم اللغة ، وعلوم الفلك والرياضيات ... » الخ[3] .

لم يكن العرب أمة علم قبل الإسلام ، وكان علمهم قائما على الحدس والتخمين والتجربة الحسية ، إلا ما كان من الشعر والبراعة اللغوية ، فذلك هو تراثهم الذي كانوا يعتزون به حقاً .

وعندما جاء الإسلام أحدث في نفوسهم هزة جبارة ، وفتق طاقاتهم المكنونة في نفوسهم ، فحولتهم إلى قوة هائلة تبدع في كل ميادين العلم والمعرفة ، وعندما جاء الإسلام كان عدد من يعرف القراءة والكتابة من قريش سبعة عشر رجلاً :

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن .
انظر رياض الصالحين : مراجعة شعيب الأرنؤوط ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) انظر قبسات من الرسول : محمد قطب ص ٣٦،٣٧ بتصرف واختصار . طبعة دار الشروق ١٤٠٢هـ الثامنة .

« وفي سرعة خاطفة ألم المسلمون بعلوم العالم القديم ثم أخذوا في البناء والإضافة، وظهر من بينهم حشد هائل من العباقرة في كل جانب ... وكان العلم يتميز عندهم بأنه يقرب القلوب إلى الله ... تحدوهم دوافع الصدق والإخلاص في طلبه ، وما استخدم في الشر والإيذاء قط[1] شأن غيرهم من أمم الأرض في القديم والحديث .

وقد اهتم المسلمون بنشر العلوم والمعارف في كل مكان ، ويسروا السبيل أمام طلاب العلم ، فكان التعليم بالمجان ، والغذاء بالمجان ، والإقامة بالمجان في مراحل التعليم المختلفة في المعاهد الإسلامية ....

وأعطي الفقراء الفرص المواتية ليتعلموا ما يبتغون ... ولا عجب فقد كانت سبل التعليم ميسرة للجميع ، فلا يجد النابهون والأذكياء من الفقراء أية عقبة في طريقهم .

ولذلك وجد من بينهم عظماء من الفقهاء والمفسرين والمحدثين وعلماء اللغة والأدب ... فخدموا الدين والعلم خدمة عظيمة نلمسها في مؤلفاتهم القيمة .

ولا نبالغ إذا قلنا : إن التربية الإسلامية كانت تفكر في الأذكياء ، وتلتقطهم كما تلتقط الأزهار من الحدائق، ثم تعنى بهم كل العناية، وتضعهم في المواضع التي تناسب ذكاءهم[2] .

تحول العالم الإسلامي إلى معاهد تشع بنور المعرفة في البيوت والكتاتيب ، في المساجد والحلقات العلمية، في القصور والمنتديات الأدبية والعلمية، وفي دور العلم كدار الحكمة وغيرها[3] .

---

(١) انظر قبسات من الرسول : ص ٣٨ – ٤١ .

(٢) انظر التربية الإسلامية وفلاسفتها : محمد عطية الأبراشي من ص ٢٧ – ٣٥ الطبعة الثالثة مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٣٩٥هـ .

(٣) السابق : الأبراشي من ص ٧٠ –٨٤ .

الإسلام يهتم بتعليم المرأة :

إن تاريخنا الإسلامي يزخر بالعالمات والمثقفات ، من مفسرات ومحدثات وفيقهات ، وشاعرات أدبيات .

وفي نساء الصحابة – وفي مقدمتهن أمهات المؤمنين – من روين لنا ألوف الأحاديث النبوية ...

وكان من كبار الحفاظ والمحدثين من له روايات وسماعات من النساء المحدثات .

ذلك لأن الشرع الحنيف اهتم بتعليم المرأة أمور دينها ، ورخص لها الخروج لطلب العلم ، بالشروط التي شرعها الله لها عند مغادرتها بيتها .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ! ذهب الرجال بحديثك ، وفي رواية : قال النساء : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله . فقال : « اجتمعْنَ في يوم كذا وكذا » فاجتمعن ، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله ، ثم قال : « ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاباً من النار » فقالت امرأة منهن : يا رسول الله ! واثنين واثنين واثنين ؟ ثم قال : « واثنين ، واثنين ، واثنين »(1) .

وأثنت السيدة عائشة رضي الله عنها على نساء الأنصار، إذ كن لا يتحرجن من التفقه في الدين فقالت : « نعم النساء نساء الأنصار ، لا يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين» كل ذلك شريطة أن لا يختلطن بالرجال، ولتسأل المرأة عما يهمها من أمر دينها ، فالأحاديث في هذا الباب كثيرة : فأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت علماً في ذلك، حيث حفظت وروت كثيراً من التشريعات

(1) رواه البخاري في العلم ، ومسلم مع الشرح : ١٦/١٨١ .

النبوية داخل المنزل الشريف ، ومثلها أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

وكان ذلك كله استجابة لهدي هذا الدين في طلب العلم ممثلاً بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

عن الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس قالت : دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا عند حفصة – رضي الله عنها – فقال لي : « ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة ؟ »[1] فقد كانت الشفاء رضي الله عنها من الكاتبات[2] .

لقد انتشر الاهتمام بالتفقه في دين الله ، وحفظ كتابه بين الرجال والنساء في الصدر الأول للدعوة ، فعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : « ما أخذت (ق والقرآن المجيد) إلا من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يقرأ بها على المنبر في كل جمعة »[3] .

وعن طريق النساء المسلمات حفظ كثير من العلم الشرعي ، فأم عطية شهدت غسل ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحكت ذلك فأتقنت ، وحديثها أصل في غسل الميت »[4] .

وهكذا ، كان الاهتمام ميموناً والعلم مباركاً آنذاك .

المرأة المسلمة تشارك في علوم عصرها :

نبغ عدد من المسلمات في مختلف علوم عصرهن ، فكان منهن العالمات والمحدثات والفقيهات : فالسيدة عائشة رضي الله عنها كانت فقيهة عالمة وتعلم الكثيرات ، وقال بشأنها عروة بن الزبير : ما رأيت أحداً أعلم بشعر ولا فريضة

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٥٦٦/٤ .

(٢) الإصابة : ٣٣٣/٤ .

(٣) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي . حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة ص ٣٠٧ .

(٤) الاستيعاب ٤٥٢/٤ .

ولا أعلم بفقه من عائشة[1] وتيمية جدة شيخ الإسلام كانت من العالمات المجيدات ، وإليها ينسب حفيدها رحمه الله .

« وهذه ابنة سعيد بن المسيب رحمه الله ، لما دخل بها زوجها وكان أحد طلبة والدها ، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج ، قالت له زوجته : إلى أين تريد ؟ قال : إلى مجلس سعيد أتعلم العلم : فقالت له : اجلس أعلمك ... وكان الإمام مالك يُقرأ عليه الموطأ ، فإن لحن القارىء في حرف أو زاد أو نقص تدق ابنته الباب ، فيقول أبوها : للقارىء : ارجع فالغلط معك ، فيرجع القارىء فيجد الغلط »[2] .

وكذلك كانت فاطمة بنت الشيخ علاء الدين السمرقندي الفقيه الحنفي الكبير ، صاحب تحفة الفقهاء ، عالمة جليلة وفقيهة ، تزوجها تلميذ أبيها الشيخ علاء الدين الكاساني صاحب البدائع ، فكانت الفتوى تأتي وتخرج وعليها خطها وخط أبيها[3] .

ومن النساء المسلمات النابغات :

الخنساء الشاعرة ، والسيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما، كانت شاعرة أديبة ناقدة للشعر ، ومثلها عائشة بنت طلحة رضي الله عنهما .

وفي كتب الأدب العربي والتاريخ عدد كبير من النساء المسلمات الشهيرات نذكر منهن : السيدة زبيدة زوجة الرشيد ، أحبها جدها المنصور ، وعني بتربيتها ، فنشأت مولعة بالشعر والأدب ، محبة للخير بارة بالفقهاء ، ولها أثر كبير في إنشاء المساجد والمدارس والملاجىء . وعائشة بنت أحمد بن قادم ، نشأت بقرطبة ، ولم يكن في زمانها في الأندلس من يماثلها في فهمها وعلمها وأدبها وشعرها وفصاحتها وعفتها ، كانت تجمع الكتب الثمينة في خزانتها وفي

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة : ٥١٦/٨ .

(٢) عودة الحجاب : ٢٨٧/٢ ، ٢٨٨ محمد بن أحمد بن إسماعيل .

(٣) المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي ص ١٦٥ .

دارها[1] .

واشتهر من نساء الأندلس في الطب من عائلة زهر : الطبيبة أخت أبي بكر ابن زهر الحفيد وبنتها ، كانتا عالمتين بالطب والمداواة ، ولهما خبرة كبيرة بعلاج أمراض النساء .

ومن الشهيرات في الطب : الطبيبة زينب ، طبيبة بني أود ، التي عرفت بعلاج أمراض العيون[2] .

وبذلك كانت المسلمة تتعلم وتبز الأقران ، ومعها دينها يصونها ، وحياؤها يكسوها مهابة ووقاراً، بعيدة عن الاختلاط والتبذل، وهذا ما نريده من فتاة هذا العصر .

العلوم التي تناسب المرأة :

لابد من تعليم الفتاة أم المستقبل ، لأنها أقدر على متابعة العملية التربوية لأولادها في المنزل ، وإدراك حاجات الطفل النفسية والعقلية ، كما أنها أقدر على تفهم طبيعة الحياة والمجتمع وتطلعاته .

بل إنها لأقدر على تفهم خصائص زوجها ، وسبر أغوار نفسه حتى تتكيف معه[3] .

أما إعداد المرأة لوظائف الرجال، فهو مما يناقض الفطرة ومقتضياتها، ولا نفع فيه للإنسانية أو المرأة نفسها ... ولأن المرأة مهيأة للولادة والتربية ... فقد حبتها الفطرة من الناحية النفسية تلك الملكات الملائمة لوظيفتها تلك ، كالحب والرحمة، والشفقة ورقة القلب ولطف العواطف[4] .

---

(١) انظر الإسلام وتعليم المرأة : كتاب التربية الإسلامية وفلاسفتها : محمد عطية الأبراشي (ص ١٢٣ - ١٢٨) .

(٢) انظر طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٧٠/٢ .

(٣) المرأة في التصور الإسلامي : ص ٦٧ .

(٤) الحجاب ص ١٢٨ .

والتخصص في الأعمال أرقى ما توصل إليه الإنسان ، واعتمده في هذا العصر ، وقوام التخصص الموهبة الفطرية التي جبل عليها الإنسان، ثم الممارسة والمران ، الذي ينمي هذه الموهبة ويصقلها[1] .

فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور ، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال ، فيجب أن لا يتخلين عن وظائفهن المحددة ... لذلك فمن سخف الرأي أن نجعل المرأة تتنكر للأمومة ... أو أن تلقن الفتيات التدريب العقلي والمادي ، أو أن تبث في نفسها المطامع التي يتلقاها الفتيان ، فهناك اختلافات لا تنقضي بين الجنسين ، ولذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الاختلافات في إنشاء عالم متمدن .

ومن ثم أليس عجيباً أن برامج تعليم البنات لا تشتمل بصفة عامة على أية دراسة مستفيضة للصغار والأطفال ؟ يجب أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية التي لا تشمل الحمل فقط ، بل أيضاً رعاية صغارها[2] .

ينبغي أن تتلقى النساء تعليماً أعلى ، لا لكي يصبحن طبيبات أو محاميات أو أستاذات ، ولكن كي يربين أولادهن حتى يكونوا أقوياء نافعين[3] .

إذن « لابد أن يكون تعليم الفتيات مقصوراً على ما يهمهن (أولاً) من حيث تدبير منازلهن أو تربية أولادهن ، وتهذيب أخلاقهن ، وعلى قواعد حفظ الصحة والنظام والاقتصاد ، وخلاصة إعدادهن ليكنّ خير أمهات وخير زوجات ، لا ليكنّ عدلاً للرجال في جميع الأعمال ؛ لأن ذلك لا يمكن ولا ينفع ، ودعوى مساواتهن بالرجال، من أن المرأة تصلح لكل ما يصلح له الرجل دعوى باطلة تخالف طبيعة المرأة نفسها ، وتخالف واقع الحياة البشرية »[4] .

---

(١) ماذا عن المرأة ص ١٢٠ .

(٢) الإنسان ذلك المجهول : ص ١٠٩ - ٣٥٣ .

(٣) الإنسان ذلك المجهول : ص ٣٢٩ .

(٤) قولي في المرأة ص ٨١ الشيخ مصطفى صبري .

« إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص للأعضاء ومن وجود الرحم والحمل ... إنهما تنشآن من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض ، ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد، بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً .

وأن يمنحا مسؤوليات واحدة متشابهة ، والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل ، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها ... وفوق ذلك بالنسبة لجهازها العصبي ... »[1] ومن هنا فلابد من إعداد المرأة إعداداً يختلف عن إعداد الرجال في المناهج والثقافة والأعمال التي يهيأون لها .

وإذا أتقنت الفتاة العلوم التي تهمها في رسالتها كأنثى ، إضافة إلى العلوم الشرعية الواجب عليها تعلمها ، وإذا كانت قد أوتيت موهبة وعقلاً خصباً وفكراً نيراً ، وتعلمت ما عدا ذلك من العلوم والفنون ، فالإسلام لا يعترض سبيلها ما دامت لا تتعدى حدود الشرع الحنيف ... وقد كان نساء السلف خير قدوة لها في التأدب والحيطة خلال خروجها وتعلمها .

أما ما نراه اليوم من واقع المرأة المعاصرة حيث أن الاختلاط بين الجنسين هو السائد في جميع مراحل التعليم في أكثر بلدان العالم، والمناهج التي تدرس للجنسين واحدة تقريباً ، والمآسي التي نتجت عن هذا الوضع لا تحصى ، والواقع المرير المشاهد لا يحتاج إلى دليل[2] . فإن فتاتنا المسلمة اليوم أحوج ما تكون إلى وعي ديني يجنبها كثيراً من العثرات ، ويؤهلها لحمل المسؤولية في عصر تتصارع فيه الأفكار والمذاهب ، فلابد لها من قدر مناسب من الثقافة الفقهية ، لتعبد ربها على بصيرة ، ولتعرف كيف تواجه الانحرافات التي تواجهها بعلم ومعرفة وأدلة شرعية لا بغضب وعاطفة وسطحية ...

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ص ١٠٩ .

(٢) سنفصل البحث في هذه المسألة في الباب الثالث إن شاء الله : المرأة في الجاهلية المعاصرة .

أنْ تتعرف على النظام الإسلامي وما موقف الإسلام من المذاهب الفكرية المعاصرة،وتطلع على تاريخنا الإسلامي ، وتعتب بتاريخ الأمم السابقة ... تهتم بأمور المسلمين ، فتتحلى بالثقافة المناسبة لتعرف ما يجري في العالم الذي تعيشه ...

هذا فضلاً عن إتقانها فن الطبخ والعلاقات الأسرية ... وعلى الرجل مسؤولية كبيرة في تثقيف زوجته أو أخته أو ابنته ، هلا عودها طلب العلم والمعرفة بأن أبدى اهتمامه بما تقرأ وتطالع ، فيناقشها ويقوّم معها ما تقرأ ؟! .

إن من يهمل شريكة حياته ، ويجعلها خلف ظهره ولا يهتم بها لهو أكثر من يتأذى بها .

إن العلمانيين والملاحدة سبقوا أصحاب العقيدة السليمة إلى تثقيف المرأة ... فأسهمت نساؤهم في العالم العربي والإسلامي نتيجة لتلك التربية في حمل راية السفور والحجاب .

علينا أن نسير خطوات إيجابية في تثقيف المرأة المسلمة الثقافة الدينية ونزودها بأساليب التربية ، تربية جيل الذروة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] .

---

(١) الزيارة بين النساء ص ٣٥ - ٣٨ بتصرف وإيجاز .



الفصل الثالث
عمل المرأة بين الأمس واليوم

أ - عمل المرأة في الجاهلية .

ب - الإسلام وعمل المرأة :

١ - عمل المرأة يتنافى مع تركيبها الجسدي .

٢ - قوامة الرجل وتكليفه بالنفقة .

٣ - ما يباح للمرأة من أعمال في نظر الإسلام .

٤ - المرأة المعاصرة وهموم العمل .

الفصل الثالث

تمهيـد :

أصبح عمل المرأة يشكل قضية معقدة في عصرنا الحاضر ... بسبب كثير من الملابسات والمغالطات، مآلها إلى التبعية نحو حضارة الغرب، وغزوه المركز لديار المسلمين .

وقد حاولنا في هذا الفصل أن نلقي الضوء على عمل المرأة في العصر الجاهلي ، وموقف الإسلام من عملها خارج المنزل ، ما يباح وما يحرم مستفدين من واقع هذه الأمة التاريخي .

لقد أباح الإسلام للمرأة أن تعمل بما يناسب فطرتها وأنوثتها ، وما هيئت له من تربية الأجيال وإعدادهم .

وقد راعى الفروق الطبيعية بين الذكر والأنثى ، وخص كلاً منهما بما يناسبه من أعمال .

فسارت الأسرة في عالمنا الإسلامي قروناً متطاولة سعيدة، فما شعرت المرأة خلالها بغضاضة، بل كانت تشعر بالسعادة والمحبة والأمان .

إلى أن هبت رياح التغيير والتبعية في مطلع هذا القرن ، فأثارت الشكوك والشبهات حول وضع المرأة في بلادنا .

ثم أخرجت هذه المرأة من منزلها ومسكنها ، لتزاحم الرجال بمشقة ما تزال تئن من عنائها .

وتحمل وزر هذه الدعوة أناس خدعوا بحضارة التيه والضياع ، وخبت

جذوة العقيدة في نفوسهم ، فانسلخوا من دينهم ، وأرادوا من وراء هذه الفرية الانحراف للمرأة وخلع الحجاب ، ومحادة الله ورسوله ...

لقد نسي هؤلاء أن تاريخ المرأة في ديار الغرب له ملابساته ، إذ قلبت الثورة الصناعية الأوضاع هناك مستغلة ظلم الإقطاعيين للشعب ، فتحطمت الأسرة واضطرت المرأة أن تهاجر إلى المصانع في المدينة .... تتبع أماكن العمل لتقتات وأطفالها، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى التي أودت بحياة عشرة ملايين من شباب أوربا وأمريكا ، فبقيت النساء بلا عائل .

لذلك لم يكن للمرأة بد أن تسقط راضية أو كارهة لتحصل على حاجة الطعام وحاجة الجنس ، وترضي شهوتها إلى الملابس وأدوات الزينة[1] .

ونحن ليست لدينا قضية تخص المرأة ، فهي مكفولة عند والديها ، ويكلف زوجها بالنفقة عليها بعد زواجها ويعولها قريبها : أمًّا كانت أو زوجة أو أختاً .... ولا حاجة لها بالإنفاق على نفسها إلا عند الضرورة ، وهي تقدر بقدرها .

أ - عمل المرأة في الجاهلية[2] .

مارست المرأة في البيئة البدوية ما يلائم تلك البيئة ، وما تحتاج إليه الأسرة آنذاك .

فقد ساهمت في تربية الأطفال ، وقامت بتضميد جراح المقاتلين أثناء الحروب ، ودبرت شؤون الأسرة من طعام وشراب ، يقول الشنْفري[3] :

وأمُّ العيال قد شهدتُ تقوتُهم إذا أطعمتْهم أوْتحتْ وأقلّتِ
تخاف علينا الجوع إنْ هي أكثرتْ ونحن جياعٌ أيَّ آلٍ تألّتِ

---

(١) انظر شبهات حول الإسلام ، الأستاذ محمد قطب ص ١١٠ - ١٥٤ تاريخ قضية المرأة في أوربا .
(٢) انظر المرأة في الشعر الجاهلي «صناعات المرأة» للحوفي ص ٣٩٨ - ٤٠٧ .
(٣) المفضليات ص ١١٠ رقم : ٢٠ . أوتحت : أعطت قليلاً ، تألت : أقسمت وفي هامش التحقيق : أراد بأم العيال تأبط شراً لأنهم جعلوا زادهم إليه عندما غزوا .

وكانت المرأة تقوم بغزل الصوف ، وتنسج الأقمشة ، ولم يكن أحب إليها في فراغها من الغزل والنسج ... وقد ذكر الشعراء هذه الحرفة في شعرهم . قال جندل بن المثنى الحارثي يصفُ السراب [1] :

كأنه بالصحصحان الأنجل ۔ قطن سُخامٌ بأيادي غُزَّلِ

وعندما أراد عبد الرحمن بن دارة أن يحمّس قومه على الثأر قال لهم : إنْ لم تثأروا فكونوا نساء، وأمسكوا المغازل بدل الرماح .

لئن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق والكحل
وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا ... عن الحرب وابتاعوا المغازل بالنبل[2]

وقد كان بعضهن يحترف التجميل والتزيين ، تقول أم رعلة القشيرية : يا رسول الله ! إني امرأة مقيّنة (مجملة) أقين النساء ، وأزينهن لأزواجهن ، فهل هو حوب فأثبط عنه ؟ فقال لها : « يا أم رعلة قينيهن وزينيهن إذا كسدْن » ![3] .

مما يدل على أن هذه المهنة كانت تقوم بها النساء قبل الإسلام وبعده .

وكان بعضهن قد احترف الإرضاع لأولاد الأغنياء، وقد أرضعت السيدة حليمة السعدية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان منهن القابلات، ومن ينسجن الحصر .

واشتهرت ردينة بتقويم الرماح مع زوجها سمهر ، وإليهما تنسب الرماح الجيدة عند العرب .

وطبيعي أن يرعى بعضهن الإبل والغنم ، وإن كان الرعي من أعمال العبيد والإماء، فلم يمارسه من الحرائر إلا الفقيرات[4] .

---

(١) لسان العرب : ٤/١٤ . الصحصحان : الأرض المستوية ، الأنجل : الواسع ، سخام : لين المس كالخز .
(٢) حماسة البحتري ص ١١ ، الخلوق : نوع من الطيب .
(٣) الإصابة : ٤/٤٣١ .
(٤) انظر : جواد علي : ٤/٢٨٦ في تاريخ العرب قبل الإسلام .

ولذلك يعير ذو الأصبع العدواني ابن عمه بأن أمه كانت أَمَة ترعى الأغنام[1] :

عني إليك فما أمي براعية ترعى المخاض وما رأيي بمغبون

ويذكر الميداني : أن النساء في البادية كن لا يحلبن ؛ لأنه عار عندهن، وإنما يحلب الرجال[2] .

ومن ذلك أن خالد بن جعفر أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع ، فقتل الرجال والحارث يومئذ غلام ، فبقيت النساء ، وكانت نساء بني يربوع (من ذبيان) لا يحلبن النّعم ، فلما بقين بغير رجال طفقن يدعون الحارث فيشد عصاب الناقة ثم يحلبنها ، ويبكين رجالهن ، ويبكي الحارث معهن ، فنشأ على بغض خالد[3] .

وإن كان بعض النساء من يدبغ الجلود ويحلب اللبن في قبائل أخرى ، وكذلك من يقمن بالحياكة والنسيج والخياطة في الحواضر غالباً[4] .

وبذلك نلاحظ أن أعمال النساء كانت لا تتعدى أعمال المنزل وشؤون الأسرة في الغالب ، وهذا ما ينسجم مع طبيعة المرأة .

---

(١) المفضليات ص ١٦٠ رقم : ٣١ ، المخاض : الحوامل من النوق ، ومغبون : ضعيف .

(٢) مجمع الأمثال : ٢ / ٣٣٥ ، المطبعة البهية المصرية بالقاهرة .

(٣) الأغاني : ١٦/١٠ .

(٤) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي : ٥٤٣/٧ .

ب - الإسلام وعمل المرأة

١ - من عمل المرأة ما يتنافى مع تركيبها الجسدي[1] .

راعى الإسلام طبيعة المرأة وما فطرت عليه من استعدادات وقد أثبتت الدراسات الطبية المتعددة ، أن كيان المرأة النفسي والجسدي ، قد خلقه الله على هيئة تخالف تكوين الرجل ، وقد بني جسمها ليتلاءم مع وظيفة الأمومة ملاءمة كاملة ، كما أن نفسيتها قد هيئت لتكون ربة أسرة وسيدة بيت .

وقد أثبت العلم أن الخلاف شديدٌ بين الرجل والمرأة ابتداء من الخلية ، إذ أن في جسم الإنسان ستين مليون مليون خلية ، وكل خلية في هذا الجسم موسومة بميسم الذكورة ، أو مطبوعة بطابع الأنوثة ، وانتهاء بالأنسجة والأعضاء .... إذ ترى الخلاف في الدم والعظام ، وفي الجهاز التناسلي والجهاز العضلي ، وتراه في اختلاف الهرمونات ، وفي الاختلاف النفسي كذلك فنرى إقدام الرجل وصلابته ، مقابل خفَرَ المرأة وحيائها ودلالها .

وبينما نرى أن هيكل الرجل قد بني ليخرج إلى ميدان العمل ، ليكدح ويكافح ، إذ بالمرأة تؤدي وظيفتها العظيمة في منزلها ، من حمل وولادة إلى تربية الأطفال وتهيئة عش الزوجية السعيد . قال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ .

وقد جاءت الأبحاث العلمية الحديثة ، لتفضح **دعوي التماثل الفكري بين الجنسين**[2] .

ذلك أن الصبيان يفكرون بطريقة مغايرة لتفكير البنات ، رغم أن هذه الحقيقة صدمت أنصار المرأة والداعين إلى المساواة التامة بين الجنسين .

---

(١) انظر عمل المرأة في الميزان : د. محمد علي البار من ص ٦٣ - ٧٤ .

(٢) من مقال نشرته مجلة الريدرزدايجست عدد ديسمبر ١٩٧٩م ، وانظر عمل المرأة في الميزان ص ٨٠ - ٨٥ .

وما يعتبر اكتشافاً مذهلاً : هو أن تخزين القدرات والمعلومات في الدماغ يختلف في الولد عنه في البنت ... وأن دماغ الرجل أكبر وأثقل ، وأكثر تلافيفَ من دماغ المرأة . ويزيد مخ الرجل في المتوسط عن مخ المرأة بمائة غرام .

وهذه الفروق تشمل التركيب النفسي أيضاً، والقدرات العقلية والكلامية .

وإذا استطلعنا التاريخ ، وجدنا أن النابغين في كل فن لا يكاد يحصيهم محص ، بينما نجد أن النابغات من النساء معدودات في أي مجال من هذه المجالات .... رغم أن بعض النسوة أعظم من كثير من الرجال كأمهات المؤمنين ، وزوجات الأنبياء الصالحات أو بناتهم أمثال : مريم العذراء وآسية وفاطمة الزهراء وخديجة الكبرى وعائشة بنت الصديق ، رضي الله عنهن جميعاً .

ولا ننسى أن **وظائف المرأة الفسيولوجية تعيقها** عن العمل خارج المنزل ، ويكفي أن ننظر إلى ما يعتري المرأة في الحيض والحمل والولادة ، لنعرف أن خروجها إلى العمل خارج بيتها ، يعتبر تعطيلاً لعملها الأصلي ذاته ، كما أنه يصادم فطرتها وتكوينها البيولوجي .

فخلال **الحيض** مثلاً تتعرض المرأة **لآلام شديدة** نلخصها بما يأتي :

١ – تصاب أكثر النساء بآلام وأوجاع في أسفل الظهر وأسفل البطن .

٢ – ويصاب أكثرهن بحالة من الكآبة والضيق أثناء الحيض وتكون المرأة عادة متقلبة المزاج ، سريعة الاهتياج قليلة الاحتمال ، كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى مستوى لها .

٣ – تصاب بعض النساء بالصداع النصفي قرب بداية الحيض ، وتكون الآلام مبرحة ، تصحبها زغللة في الرؤية ... مع القيء ... وانخفاض درجة الحرارة خلال فترة الحيض .

٤ – يميل كثير من النساء في فترة الحيض إلى العزلة والسكينة ، لأن هذه الفترة فترة نزيف دموي من قعر الرحم ، كما أن المرأة تصاب بفقر الدم الذي ينتج عن هذا النزيف .

٥ – تصاب الغدد الصماء بالتغير ، فتقل إفرازاتها الحيوية الهامة للجسم ، وينخفض ضغط الدم ، ويبطؤ النبض ، وتصاب كثير من النساء بالشعور بالدوخة والكسل والفتور أثناء فترة الحيض[1] .

أليس من الظلم للمرأة أن تواجه مشاق العمل ، وهي تواجه كل شهر هذه التغييرات ، التي تجعلها شبه مريضة ، وفي أدنى حالاتها الجسدية والفكرية ؟! .

وخلال **فترة الحمل والنفاس والرضاع** : تحتاج المرأة إلى رعاية خاصة حيث ينقلب كيانها خلال فترة الحمل فيبدأ الغثيان والقيء ... وتعطي الأم جنينها كل ما يحتاج إليه من مواد غذائية مهضومة جاهزة .... ويسحب كل ما يحتاج إليه من مواد لبناء جسمه ونموه حتى ولو ترك الأم شبحاً هزيلاً يعاني من لين العظام ، ونقص الفيتامينات وفقر الدم .

وتضطرب نفسية الأم عادة ، وتصاب في كثير من الأحيان بالقلق والكآبة وتقلب المزاج ...

لذلك يجب أن تحاط بجو من الحنان ، والبعد عن الأسباب التي تؤدي إلى تأثرها وانفعالها ، وتنصح النساء بعدم الإجهاد ، لأن عضلة القلب لا تتحمل أي مجهود شديد .

ويحث الأطباء في كافة أصقاع الأرض الأمهات على أن يرضعن أولادهن أطول مدة ممكنة ... وفي أغلب الأحوال لا تزيد هذه المدة عن ستة أشهر نتيجة للحياة النكدة التي يعيشها الإنسان في القرن العشرين .

وبذلك كله ، يتأكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الدعوة إلى خروج المرأة إلى معترك الحياة ، وترك بيتها وأولادها وزوجها ، هي دعوة جاهلية بعيدة كل البعد عما تقرره علوم الطب والبيولوجيا ، وهي دعوة تصادم الفطرة مصادمة

---

(١) انظر عمل المرأة في الميزان : د. محمد علي البار ص ٩١ ، ٩٢ .

واضحة ، نتائجها وخيمة على الأم والطفل والأسرة بل والمجتمع بأسره[1] .

٢ - قوامة الرجل وتكليفه بالنفقة :

قال تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ إن هذه الآية تنظم أحوال الأسرة وتوضح اختصاص الزوجين ، وتردهم إلى حكم الله تعالى ، لا حكم الهوى والانفعالات ، فالقوامة بيد الرجل ، ومن أسبابها : تفضيل الله للرجل تميزه بمقومات القوامة ، وما تتطلبه من خصائص ودربة ، وتكليفه بالإنفاق على الأسرة .

وبناء على إعطاء القوامة للرجل تُحدد اختصاصات هذه القوامة في صيانة الأسرة من التفسخ ، وحمايتها من النزوات العارضة ، وطريقة علاج هذه النزوات حين تعرض في حدود مرسومة .

وإذا كانت المؤسسات المالية والصناعية والتجارية لا يوكل أمرها عادة إلا لأكفأ المرشحين لها ممن تخصصوا في هذا الفرع علمياً ، ودربوا عليه عملياً ، فوق ما وهبوا من استعدادات طبيعية للإدارة والقوامة ....

إذا كان الأمر كذلك ، فأولى أن تتبع هذه القاعدة في مؤسسة الأسرة التي تنشيء أثمن عناصر الكون ، العنصر الإنساني .

وقد خلق الله الناس ذكراً وأنثى زوجين ... وجعل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع ، وتكفل ثمرة الاتصال بينها وبين الرجل ، وهي وظائف ضخمة أولاً وخطيرة ثانياً ... وليست هينة ولا يسيرة بحيث تؤدى دون إعداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الأنثى ، فكان عدلاً كذلك أن يناط بالشطر الثاني - الرجل - توفير الحاجات الضرورية ، وتوفير الحماية كذلك للأنثى كي تتفرغ لوظيفتها الخطيرة .

وكان عدلاً كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي

---

(١) انظر عمل المرأة في الميزان ص ٩٣ - ١٠٥ .

والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظائفه هذه ... فزود فيما زود به من الخصائص : بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة ، واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة ...

هذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة وأفضل في مجالها ، كما أن تكليفه بالإنفاق يجعله أولى بالقوامة ، لأن تدبير المعاش للمؤسسة ، ومن فيها داخل في هذه القوامة ، والإشراف على تصريف المال فيها أقرب إلى طبيعة وظيفته فيها .

بينما منحت المرأة في تكوينها العضوي ، والعصبي والعقلي والنفسي ، ما يعينها على أداء وظيفتها .

وكلما اهتزت سلطة القوامة في الأسرة ، أو اختلطت معالمها ، أو شذت عن قاعدتها الفطرية الأصيلة ، أصيبت الحياة البشرية بالتخبط والفساد والتدهور والانهيار .

مع العلم بأن وجود القيِّم في مؤسسة ما ، لا يلغي وجود ولا شخصية ولا حقوق الشركاء فيها والعاملين في وظائفها[1] إنما هو الود والتلاحم . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** ﴾ لقد أوجب الله النفقة على الزوج لزوجته ، وابنته وأخته ، أوجبها على الرجل لوالدته ، وبذلك لا تحتاج المرأة إلى العمل ، ومزاحمة الرجال بالمناكب والأقدام حتى تكسب قوتها .

وحدد الفقهاء مقدار النفقة ، وإنْ تركوا أكثر أمرها للعرف ، ولحالة الزوج من إعسار ويسر .

وفوق ذلك يبيح الشرع للمرأة أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها وولدها بالمعروف إن ضنّ عليها .

ففي الصحيحين : أن هنداً بنت عتبة زوجة أبي سفيان قالت : يا

---

(١) في ظلال القرآن : ٦٤٨/٢ - ٦٥٢ بتصرف واختصار .

رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، ليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ، فقال : « خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف »[1] .

فإذا كان هذا هو موقف الإسلام في مسألة فرض النفقة للنساء على الرجال ، فهل يستساغ عقلاً ومنطقاً أن تُخرج المرأة المسلمة من بيتها حتى تنفق على نفسها ، كما ينادي دعاة المنهج الغربي اليوم[2] ؟! .

٣ - ما يباح للمرأة من أعمال في نظر الإسلام .

عمل المرأة في البيت هو أساس رسالتها ، وإذا قامت المرأة بعملها هذا خير قيام ، لم يبق لديها وقت تصرفه في أي عمل آخر .

وكانت أمهات المؤمنين يباشرن خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسهن ، فضلا عن رعاية بيوتهن ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « كنت أرجّل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم »[3] .

وكانت النسوة في صدر الإسلام ، في خير القرون يقمن على خدمة أزواجهن ، وتدبير مصالح المنزل والأسرة .

روى عروة عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهم قالت : « تزوجني الزبير وماله شيء غير فرسه ، فكنت أسوسه وأعلفه وأدق لناضحه النوى وأستقي وأعجن ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير الذي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على رأسي وهي على ثلثي فرسخ ... حتى أرسل إلي أبو بكر بخادم فكفتني سياسة الفرس ، فكأنما أعتقتني »[4] .

---

(١) أخرجه البخاري عن عائشة : ٨٥/٧ ، ومسلم : ١٣٣٨/٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، والبخاري بمقدمة محمد محمد شاكر دار إحياء التراث العربي ١٩٥٨م .

(٢) انظر عمل المرأة وموقف الإسلام منه : عبد الرب نواب الدين ص ٨٠ .

(٣) رواه البخاري : ١/ ص ٨١ .

(٤) إسناده صحيح : أخرجه البخاري : ٢٣٤/١١ ، ومسلم : ١٦٤/١٤ ، والإمام أحمد في مسنده ، وابن سعد في طبقاته . والناضح : البعير يستقى عليه .

هذا ما كانت تقوم به ابنة الصديق ، وزوجة الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، السيدة فاطمة الزهراء على خدمة بيتها ، بعيدة عن كل مظاهر الترف والزينة .

« لما زوج الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة علياً ، بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ، ورحاءين وسقاءين » هذا جهاز ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« فقال علي لفاطمة يوماً : لقد شقوتِ حتى أسليت صدري ، وقد جاء الله بسبي ، فاذهبي فاستخدمي فقالت : وأنا والله قد طحنت حتى مَجِلت يداي ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما جاء بك أي بنية ؟ فقالت : جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت ، فأتياه جميعاً ، فذكر له عليّ حالهما .

قال : « لا والله لا أعطيكما ، وأدع أهل الصّفّة تتلوى بطونهم ، لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم » .

إطعام الجياع ، وتغليب مصلحة المسلمين العامة ، أين من هذا المسلمون هذه الأيام ؟! .

« فرجعا ، فأتاهما وقد دخلا في قطيفتهما ، إذا غطيا رؤوسهما بدت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما ، فثارا فقال : مكانكما ، ألا أخبركما بخير مما سألتماني ؟ فقالا : بلى . فقال : كلمات علمنيهن جبريل ، تسبحان في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان عشراً وتكبران عشراً .

وإذا أويتما إلى فرشكما تسبحان ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين »[1] .

توجيه رائع إلى الاستعانة بالله وحمده وتكبيره ، حيث إن الدنيا فانية ،

---

(١) رواه مسلم : ٤٥/١٧ ، ٤٦ ، والبخاري : ٧٤/٨ وفي الدعوات ، وانظر الإصابة : ٣٦٨/٤ .

والباقيات الصالحات خير وأبقى .

أما العمل خارج البيت فيباح عند الضرورة الملحة ، يؤخذ ذلك من كتاب الله ومن السنة النبوية .

يقول تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير . فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير** ﴾ [القصص : ٢٣،٢٤] .

فهاتان الآيتان تشيران إلى حالة الاضطرار التي تلجىء المرأة إلى العمل خارج المنزل .. وإلى أن المرأة مجبولة على الضعف ، وعدم القدرة على مزاحمة الرجال في الأعمال العامة ، وأنها لا تضطر إلى العمل إلا عند عدم وجود الرجل الذي يتولى العمل بالأصالة[١] .

وفي السنة المحمدية : نجد الأمثلة العديدة على عمل بعض النسوة داخل المنزل وخارجه .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « طُلقتْ خالتي ، فأرادت أن تجدّ نخلها فزجرها رجل أن تخرج ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بلى ، فجذي نخلك ، فإنك عسى أن تصدقي ، أو تفعلي معروفاً »[٢] .

وعن رائطة امرأة ابن مسعود رضي الله عنهما ، وكانت امرأة صناع اليد ، فكانت تنفق عليه وعلى ولده من صنعتها ، قالت : فقلت لعبد الله بن مسعود : لقد شغلتني أنت وولدك عن الصدقة ، فما أستطيع أن أتصدق معكم بشيء ، فقال لها عبد الله : والله ما أحبُّ إنْ لم يكن في ذلك أجر أن تفعلي فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ! إني امرأة ذات صنعة أبيع منها ، وليس لي ولأولادي ولا لزوجي نفقة غيرها ، وقد شغلوني عن الصدقة ، فما أستطيع أن

(١) تفسير الكشاف للزمخشري : ١٧١/٣ دار المعرفة والطباعة والنشر بيروت .
(٢) رواه مسلم : ١٠٨/١٠ ، وأحمد : ٣٢١/٣ ، ومعنى تجدّ : أي تجني نخلها .

أتصدق بشيء ، فهل لي من أجر فيما أنفقت ؟ قال : فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنفقي عليهم فإنّ لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم »[1] .

يؤخذ من هذا الحديث إضافة إلى جواز عمل المرأة لتنفق على زوجها وأولادها ، أن التسابق عند السلف كان نحو عمل الخير وثواب الصدقة ، ولم تكن العلاقة علاقة صراع بين المرأة وزوجها ، كما هو واقع الجاهلية المعاصرة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً » فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً ، قالت : فكانت أطولهن يداً زينب رضي الله عنها ، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق ، وأنها كانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا[2] .

يؤخذ من النصوص السابقة كلها أمور منها :

١ – جواز خدمة المرأة لزوجها وقيامها بشؤون البيت وما يتصل به .

٢ – وكذلك تشغيل المرأة في بيتها في صنعة وعمل يدوي ، كالخياطة والغزل وحياكة الملابس .

٣ – مشروعية عمل المرأة خارج البيت عند الضرورة ، أو إذا كانت ثيباً فقدت من يقوم بشؤونها[3] . لأن الإسلام لا يستريح لخروج المرأة تعمل في غير الأعمال الضرورية ، كتدريس البنات ، وتمريض النساء للنساء أو تطبيبهنّ ، وما إلى ذلك من أمور ينبغي أن تقوم بها المرأة ، وإلا حصل الاختلاط المحرم والخلوة لو باشر الرجل مثل هذه الأعمال .

وكذلك فإن حاجة المرأة إلى العمل لعدم وجود عائل لها ، أو عدم كفاية ما يعولها به عائلها ، هي حاجة تقرر حق المرأة في العمل ، لأن ذلك أصون لها من الابتذال في سبيل العيش .

---

(١) رواه أحمد : ٥٠٣/٣ من طريقين ، أحدهما سنده حسن ، وقولها : صَنَاع اليدين : أي حاذقة في صنعة يديها . هامش المرأة المتبرجة ص ١٣٦ .

(٢) رواه مسلم : ٨/١٦ .

(٣) المرأة المتبرجة : عبد الله التليدي ص ١٣٧ .

ولكن ذلك كله ضرورة ... أما أن يكون الوضع في المجتمع هو خروج المرأة لتعمل في أي عمل ، وفي أي وضع كما ترى دول الغرب والشيوعية ، فتلك حماقة لا يقرها الإسلام ، لأنها تخرج بالمرأة عن وظيفتها الأولى ، وتفسد أكثر مما تصلح .

على أن المرأة المسلمة لا بد لها من مراعاة الشروط الشرعية عند خروجها من منزلها ، كالحجاب الساتر والبعد عن الاختلاط والخلوة بالرجال ، مع أمن الفتنة ، وترك العمل المنافي لطبيعتها[1] .

ونختم هذه الفقرة بفتوى للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إذ سئل عن مجال العمل المباح الذي يمكن للمرأة المسلمة أن تعمل فيه بدون مخالفة لتعاليم دينها فأجاب : « المجال العملي للمرأة أن تعمل بما يختص به النساء مثل أن تعمل في تعليم البنات ، سواء كان ذلك عملاً إدارياً أو فنياً ، أو أن تعمل في بيتها في خياطة ثياب النساء ، وما أشبه ذلك .

وأما العمل في مجالات تختص بالرجال ، فإنه لا يجوز لها أن تعمل ، حيث يستلزم الاختلاط بالرجال ، وهي فتنة عظيمة يجب الحذر منها ، ويجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أنه قال : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ، وإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » فعلى المرء أن يجنب أهله مواقع الفتنة وأسبابها بكل حال[2] .

٤ - المرأة المعاصرة وهموم العمل .

خرجت بعض النسوة ابتغاء العمل خارج المنزل ، إلا أن المرأة تمردت متأثرة بفلسفة جديدة ، جعلت قبلتها أوربا وأمريكا هذه المرة .

كان الدور الجديد للمرأة يرمي إلى أهداف جديدة تتخطى الحاجة المالية

---

(١) انظر السفور والحجاب الفصل الأول من هذا الباب .
(٢) الفتاوى النسائية لابن عثيمين ص ٦٢ .

للأسرة لتتحول إلى كائن منفصل عن الرجل ، تحاول مساواته في كل شيء ، مناقضة لنداء الدين والعرف وطبائع الأمور .

لقد أرخصوا المرأة وابتذلوا إنسانيتها ، وأهدروا كل قيمة أدبية لها ، فاختيار السكرتيرة يخضع لمقاييس الجمال فقط ، وبائعة المتجر لا بد أن تكون فتاة مثيرة وإلا فلتعمل المرأة في الحدادة والخراطة ، وصناعة المواد الغذائية ، وليكن العمل في أماكن بعيدة لا تناسب المرأة بأي حال ... وقد تحقق ذلك في كثير من بلاد المسلمين مع الأسف .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل نجحت المرأة المعاصرة في عملها ؟ طبعاً لم تنجح لأنها حاولت التوفيق بين عملها وأعباء البيت ورعاية الأطفال ، فأخفقت وما يزال موقفها مزدوجاً ، إذ أن عليها أن تكون الزوجة الهادئة والأم الحنون والعاملة النشيطة ، دون أن تخفق في أي منها ، وأنى لها ذلك ؟! .

لقد شقيت المرأة بعملها الجديد ، وشقيت أسرتها وشقي زوجها ، وشملت التعاسة المجتمع البشري كله .

« ومن الثابت أن إرهاق المرأة في العمل ينتقل إلى جنينها في حالة الحمل ، كما ينتقل إلى طفلها في حالة الرضاعة » .

« وكدح المرأة في ميادين الأعمال العامة ، يصرفها عن رعاية الزوج والولد كليهما ، لا شك في ذلك ، لأنها تعود إلى البيت مكدودة مرهقة كالرجل ، فأيهما هو الذي يسري عن الآخر ؟ وأيهما هو الذي يتسع صدره لمداعبة البنين واحتمال ما لابد أن يحتمل في تربيتهم من ضجيج مرحهم ، وأنين ألمهم وصراخ أوجاعهم ؟! وهل تصبح الحياة عند ذلك إلا عناء وشقاء للمرأة وللرجل كليهما ؟!»[1] .

أفلا يتهدم كيان الأسرة عندما تعود المرأة مكدودة سيئة الخلق إلى منزلها .. وتجد زوجها في مثل وضعها ، والأطفال أشبه بالأيتام ، وهي مضطرة لأخذ

(١) حصوننا مهددة من داخلها : د. محمد محمد حسين ص ١٢٣ ، ١٢٨ .

حبوب منع الحمل حتى لا تضطر إلى البقاء في المنزل لتواجه أعباء الحمل والرضاعة ... وللحبوب مضارها الطبية ، وأهونها حالات الكآبة والقلق والهيجان ، وأخطرها زيادة الجلطات في الساقين والرئتين[1] .

إن البيت المسلم كان يشمله الحب والحنان والتفاهم ، إلا أن بعض الأسر المفتونة بالحضارة الجديدة أو الجاهلية المعاصرة ، تمزقت أواصرها بعد أن تخلت عن تعاليم دينها الحنيف ، وها هي صيحات المخلصين من أبناء تلك الحضارة الوافدة ، أمثال الكاتبة الشهيرة « مِسّ أترود » تقول : لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل .. ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين ، فيها الحشمة والعفاف والطهارة ، حيث أن الخادمة والرقيق ينعمان بأرغد عيش ويعاملان كما يعامل أولاد البيت ، ولا تمس الأعراض بسوء[2] .

وتقول الكاتبة الشهيرة « اللاوي كوك » « يا أيها الوالدان ، لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبهما بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ... علموهن الابتعاد عن الرجال ، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهنّ بالمرصاد .

لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج عن حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال »[3] .

ألا ما أكثر العبر وما أقل مَنْ يعتبر ! ما أشد صرعي جاهلية هذا القرن ، إلا أن المخدوعين الذين تلوثوا بأدرانها لا يتراجعون ، ولو دخلوا جحر ضب لدخلوه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وإن مفاسد العمل المختلط تئن منه النساء، والمجتمعات التي سبقتنا إليه ، وإنه لواقع مرير وهبوط شديد .

---

(١) عمل المرأة في الميزان : د. محمد علي البار ص ١٢٤ .
(٢) من مقالة في جريدة : الاسترن ميل العدد الصادر في ١٥ مايو ١٩٠١م .
(٣) حقوق النساء في الإسلام ص ٥٦ ، ٥٧ .

الفصل الرابع
دور المرأة في السياسة والحرب

المبحث الأول :

- دور المرأة في السياسة والحرب خلال العصر الجاهلي .
- مِلكات في بلاد العرب قبل الإسلام .
- بعضهن قاد الجيوش .
- اشتراك المرأة في الحرب .
- الظعائن والسبايا .

المبحث الثاني :
دور المرأة المسلمة :

- في مجال الدعوة إلى الله .
- إجارة المرأة المسلمة .
- دورها في مجال الجهاد في سبيل الله .
- حكم الإسلام في ولاية المرأة .

المبحث الأول

دور المرأة في السياسة والحرب خلال العصر الجاهلي

كانت حياة العرب قبل الإسلام تتميز بالغارات والحروب فكثرت أيامهم « أيام العرب » واستمرت الثارات والعداوات ، فوقع الأسر بينهم ، واستمر السبي للنساء مما كان يزيد الأحقاد اشتعالاً .

ولم تكن المرأة بمعزل عن هذه الحروب ، فساهمت في الرأي حيناً ، وفي تحميس المحاربين وطلب الثأر حيناً آخر « وعرفت المرأة بالكيد بين أهل الجاهلية ، وخاصة بين أهل الحاضرة ... عرفت بالكيد والخديعة ، إذ كان بوسعها استدراج الرجل والمكر به ، والعرب يتمثلون بمكر الزباء ، إذ استدرجت جذيمة الأبرش ، ثم غدرت به وعندما خطبها أجابته ، ثم خاست بالعهد فقتلته .

واشتهرت البسوس بالبؤس والشؤم بين العرب ، حتى قالوا : (شؤم البسوس) وقصتها معروفة في إثارة الحرب بين بكر وتغلب ، والتي دامت أربعين سنة وسميت (بحرب البسوس)[1] .

غير أن النظرة الغالبة تشير إلى أن الرجل كان ينظر إلى رأي المرأة على أن فيه وهناً وضعفاً ، ولهذا رأى العرب أن من الحمق الأخذ برأي المرأة ، وقالوا : شاوروهنّ وخالفوهنّ[2] . ورغم ذلك لم يجد العرب قبل الميلاد ولا بعده غضاضة من : **تمليك ملكات عليهم** : ويزعمون أنهن عُرفن بالعقل والحكمة عند أهل الجاهلية .

من هؤلاء : الزباء ملكة تدمر ، وقد حصلت على شهرة بين العرب ، ووضعوا حولها القصص ... وقالوا : كانت تغزو بالجيوش ، وتقاتل بشجاعة ،

---

(١) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي : ٦١٨/٤ ، ٦٢٥/٦ ، ٦٢٧/٦ ، وبلوغ الأرب : الآلوسي : ١٨١/٢ .

(٢) جواد علي : ٦١٨/٤ .

وتدبر الملك بحزم ، وتقاتل الرومان وتنتصر عليهم أحياناً .....

والملكة شمس في بادية الشام كانت تحكم أيام الآشوريين. ومن أشهرهن أيضاً: بلقيس ملكة سبأ ، وهي امرأة عربية ينتهي نسبها إلى قحطان ، وقصتها في القرآن معروفة ...

أما الفارعة فقد حكمت سبأ وريدان وحضرموت[1] .

وماوية الغسانية التي حكمت فلسطين في أواسط القرن الرابع بعد الميلاد .

وقد ملكت نساء غير هؤلاء في اليمن وكندة وبلاد الأنباط ، حتى لنجد في ملوك الأنباط خمس ملكات عربيات في المدة من (١٦٩ ق م إلى ٦ م)[2] .

ويبقى ملك المرأة أمراً نادراً ونشازاً ، له ظروفه وملابساته ، لأن طبيعة الأنثى ، وعواطفها واهتماماتها تخالف مشاق الملك وأحابيل السياسة وعناءها .

وقد أبطل الإسلام الولاية العامة للمرأة على كل حال .

وخلال الحروب[3] : كان المعروف عند العرب أن القتل والقتال للرجال ، وعلى الغانيات جر الذيول ، فإن شاركن في الحرب فإنما يقمن بما تطيقه الأنثى من تحميس الجنود ، وتضميد الجرحى وإطعام وسقي .

إلا أن بعض النساء حاربن كما يُحارب الرجال ، بل أدرن قطب الحرب أحيانا ، **وكن قائدات لجيش من الرجال** .

ومن هؤلاء القائدات : رقاش ، كانت في قبيلة طيء ، وكانت تغزو بقومها ، ويتيمنون برأيها ، وكانت كاهنة ، ولها حزم وعزم .

أغارت طيء بزعامتها وقيادتها على قبيلة إياد ، فظفرت بهم وغنمت

---

(١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزء الأول ، وجواد علي : ٤/٦٢٠ .
(٢) المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ٢٣٥ .
(٣) انظر الحوفي : المرأة المحاربة ٤٣٣ – ٤٥١ .

وسبت ، ثم بعد ذلك **حملت** فتراخت عن الغزو فقال شاعرهم مستهجناً :

نبئت رقاش بعد شِماسها ... حبلتْ وقد ولدتْ غلاماً أكحلا
كانت رقاش تقود جيشاً جحفلاً ... فصبت وأحر بمن صبا أن يحبَلا[1]

يستغرب شاعر طيء أن تتزوج زعيمتهم ثم تلد غلاماً ، وتترك الحرب ، رغم أن هذه هي وظيفتها الطبيعية ، وظيفة إنجاب الأجيال وتربيتهم ، إلا أن الجاهلية تحاول أن تنحرف بالمرأة عن وظيفتها الطبيعية قديماً وحديثاً .

وضربوا المثل بعز **أم قرفة** ، فقالوا : أمنع من أم قرفة . كانت عجوزاً كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، واسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كان يحرس بيتها خمسون سيفاً لخمسين فارساً كلهم لها محرم ، وهي امرأة من بني فزارة .. أدركت البعثة النبوية ، إلا أنها كانت تجاهر بعدائها للإسلام ، وقادت الفرسان من قومها ، تريد حرب المسلمين فقاتلها زيد بن حارثة رضي الله عنه بوادي القرى ، ثم سباها وقتلت قتلاً عنيفاً[2] .

ومن هؤلاء **سجاح** : وهي امرأة من بني تميم ، تنبأت في أخوالها بني تغلب ، في السنة الحادية عشرة للهجرة ، وخرجت بجمع منهم إلى بني تميم ، فأجمعوا على نصرتها، وانضم إليها عدد كبير من إياد وتميم، ثم توجهت إلى اليمامة تريد حرب مسيلمة إلا أن لقاءها به كان مغرب مجدها المأمول ، فقد تزوجته وجعلت دينه ودينها واحداً وآمنت به ، وأسقط مسيلمة عن قومها صلاتي الفجر والعشاء صداقاً لها .

ولما غزا خالد بن الوليد رضي الله عنه اليمامة ، وقتل مسيلمة ، فرت سجاح إلى بني تغلب بالعراق ، وقيل : إنها أسلمت وهاجرت إلى البصرة ، وحسن إسلامها[3] .

---

(١) مجمع الأمثال : الميداني ، المطبعة البهية المصرية بالقاهرة : ٢٦٣/١ ، والحوفي ص ٦٣٥ .
(٢) سيرة ابن هشام : ٦١٧/٢ ، وجواد علي : ٦٢٧/٦ .
(٣) انظر الكامل لابن الأثير : الجزء الثاني ، وحروب الردة في كتابنا : الحياة السياسية عند العرب : الفصل =

وفيها يقول عطارد بن حاجب بعد أن رجع للإسلام[1] :

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأضحت أنبياء الله ذكرانا
فلعنة الله رب الناس كلهم على سجاح ومن بالكفر أغوانا

واشتركت المرأة في الحروب :

إذ كانت تضرب بالمراوي وتساعد قومها على النصر ، وقد رمت النساء الخزرجيات الأوس بالحجارة من فوق الآطام في حرب حاطب ، وفيهن يقول قيس بن الخطيم[2] :

أوّبتُ لعوف إذ تقول نساؤهم ويرمين دفعاً ليتنا لم نحارب

وكان للنساء شأن عظيم في طلب الثأر[3] ، كن يقرعن المنهزمين تقريعاً يزيد الهزيمة ألماً ، ويبعث الحمية في النفوس ، وكثيراً ما حرضت الخنساء على الثأر لأخيها صخر ومن قولها[4] :

لا نوم حتى تعود الخيل عابسة ينبذْن طرحاً بمهْرات وأمهار
فتغسلوا عنكم عاراً يجللكم غسل العوارك حيّضاً بعد أطهار

وكثيراً ما كان المحاربون يصطحبون معهم نساءهم في الحروب وهي ما تسمى **بالظعائن في الحرب**[5] .

ففي يوم ذي قار بين فرسان بكر بن وائل ، والفُرس ومن معهم من قبائل العرب ، اصطحبت بكر معها نساءها ، ثم قطعوا وضن الرواحل حتى يلزموا

= الثاني ، والحوفي ص ٤٣٧ .

(١) الإصابة لابن حجر : ٤٧٧/٢ .

(٢) ديوان قيس بن الخطيم . أوبت لهم : رققت وأشفقت .

(٣) انظر الثأر عند العرب : الحياة السياسية عند العرب الفصل الأول ، والمرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ٤٤٤ - ٤٥٠ .

(٤) ديوان الخنساء . العوارك : الحوائض .

(٥) انظر المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ص ٤٥١ -٤٦١ .

أنفسهم بالثبات دفاعاً عن الحرائر ، اللائي لا يستطعن الفرار على رواحل قد تقطعت أحزمة رحالها .

وكن يهجن حماسة الرجال ويحفزنهم إلى المخاطرة والاستبسال ، فيقاتل الرجل حتى الموت حماية لنسائه .

وفي يوم فيف الريح أقبلت مذحج ومعها النساء والذراري حتى يشجعنهم على القتال والثبات(١) .

وفي غزوة أحد ، خرجت قريش بحدها وجَدّها وحديدها وأحابيشها ، خرجوا معهم بالظعْن « النساء في الهوادج » التماسَ الحفيظة وألا يفروا .

فخرج أبو سفيان بهند بنت عتبة زوجته ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته أم حكيم بنت الحارث ، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه ، وغيرهن كثير .

وكانت هند بنت عتبة تحرض النساء اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم(٢) .

والشعر الجاهلي حافل في تصوير الحماسة التي كانت الظعائن تثيرها في النفوس حمية واعتزازاً .

يقول عمرو بن كلثوم من معلقته الشهيرة :

على آثارنــا بــيضٌ حسانٌ   نحاذر أن تُقسّم أو تهونا
ظعائنُ من بني جُشمَ بن بكر   خلطْن بميسم حسباً وديناً
أخذْن على بعولتهن عهــداً   إذا لاقوا فـوارسَ معلمينا
ليستلبــنّ أبدانــاً وبَــيْضاً   وأسرى في الحروب مقرّنينا

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير : أيام العرب ، الجزء الأول .
(٢) سيرة ابن هشام : غزوة أحد : ٦٢/٢ ، ٦٧ .

إذا لم نحمهنّ فلا بقينا لشيء بعدهن ولا حيينا[1]

وبسبب اصطحاب النساء في المعارك ، كثر السبي في صفوف المغلوبين والمنهزمين ، وكان السبي مجالاً لفخر المنتصرين .

السبايا[2] :

كثر السبي بين العرب في الجاهلية ، ولا يستثنى من ذلك إلا أهل مكة ؛ لأنهم كانوا آمنين ، فلم تسب قرشية قط فتوطأ قهراً أو تجال عليها السهام[3] .

وكان السبي هدفاً مرموقاً للمقاتلين ، ومما قاله عامر بن الطفيل لقومه يوم فيف الريح: «أغيروا بنا عليهم فإني أرجو أن نأخذ غنائمهم ونسبي نساءهم»[4]. وكان العرب يفتخرون بالسبي ويعيرون به ، وكانت القبيلة تتفانى فى حماية نسائها حين يدوي نفير الحرب .

وقد صور الشعراء ما يعتلج في أحشاء السبايا من حزن ولوعة ، وما ينزل بهن من هم وحسرة .

فعروة بن الورد يقول : إن سباياهم من طيء ... شققن عن صدورهن عندما جن الظلام وطلع النجم :

رحلنا من الأجبال أجبال طيء نسوق النساءَ عوذها وعِشارها
ترى كل بيضاء العوارض طفلة تُفرّي إذا شال السِّماك صدراها
وقد علمتْ أنْ لا انقلاب لأهلها إذا تركت من آخر الليل دارها[5]

---

(١) شرح القصّائد العشر : التبريزي ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) انظر الأسرى والسبايا الفصل الأول من كتاب الحياة السياسية عند العرب – المبحث الثاني ، والحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ص ٤٦٤ – ٤٨٩ .

(٣) معجم البلدان : ياقوت الحموي : ١٣٧/٨ مطبعة السعادة بمصر .

(٤) انظر أيام العرب يوم فيف الريح بين بني عامر ، والحارث بن كعب .

(٥) ديوان عروة ص ١٩ ، شرح ابن السكيت ، طبع بيروت . ومعنى عوذ : حديثات الولادة ، عشار : حوامل : تفري : تشق ، والسماك : نجم .

وربما قتلت السبية نفسها تخلصاً من العار ، أو قد تفارق زوجها بعد أن عاشت معه دهراً وأنجبت له أطفالاً شأن سلمى زوجة عروة بن الورد .

وعندما تضع الحرب أوزارها ، وتنجلي عن السبايا ، كنّ يقسمن بالسهام بين المتحاربين كما تقسم الغنائم .

يقول الأعشى[1] :

فما برحوا حتى استُحِثَّتْ نساؤهم وأجرَوْا عليها بالسهام فذَلَّت

فإذا لم تُطْلق السبية بفداء أو منٍّ ، أو إذا لم تُخلص عنوة ، كان السابي يستولد سبيته ، لأنها لا تكلفه مهراً ، ولأنها تلد له أولاداً نجباء كما يعتقد العرب في أولاد الغرائب .

وكان سراة العرب يكرمون الزوجة السبية ، لأنّهمْ لم يقصدوا إذلالها بالزواج ، بل لأن ذلك ضرب من الفروسية عندهم ولا مهر فيه .

يقول حاتم الطائيّ[2] :

وما أنكحونا طائعين بناتهم ولكنا خطبناها بأسيافنا قَسْراً
فما زادها فينا السباء مذلة ولا كلفت خبزاً ولا طبخت قدراً
ولكنا خلطناها بخير نسائنا فجاءت بهم بيضاً وجوههم زُهْراً
وكائن ترى فينا من ابن سبية إذا لقي الأبطال يطعنهم شزْرا

---

(١) ديوان الأعشى ص ٣٣ ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٣م ، ومعنى استُحِثَّتْ : سبيت .
(٢) العقد الفريد : ٣/٢١٠ .

المبحث الثاني

دور المرأة المسلمة

كانت المرأة المسلمة إيجابية في مجتمعها ، وذات دور فعال ، تدعو إلى دينها وتضحي بالغالي والرخيص في سبيل دعوتها .

كانت مثال المرأة المجاهدة الصابرة ، تتفانى في سبيل عقيدتها ، وتساهم في مساعدة كتائب الإيمان بما يسمح به الشرع الحنيف لا يفارقها الوقار ، ويميزها الحياء والعفة أينما توجهت ....

ففي مجال الدعوة إلى الله : تحملت المرأة المسلمة أعباء هذه الدعوة منذ فجر الإسلام ، وضربت أروع الأمثلة في الصبر والتفاني والثبات .

« وإن أول قلب خفق بالإسلام، وتألق بنوره قلب امرأة، وقد هيء لها من جلال الحكمة وبعد الرأي وزكاء الحسب ما عز على الأكثرين من الرجال .

لقد تأثرت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بهذا الدين تأثراً نفذ إلى قلبه صلى الله عليه وسلم ، فكان مبعث الغبطة والسكينة عند تدافع النوب واشتداد الخطوب »[1] .

فقال صلى الله عليه وسلم مبيناً فضلها وسابقتها : « آمنت بي إذ كذبني الناس ، وآوتني إذ رفضني الناس ، ورزقتُ منها الولد ، وحرمتموه مني »[2] .

وذلك خلال حديثه مع عائشة رضي الله عنها .

ثم تحملت المرأة العذاب في سبيل دينها ، متحدية سطوة قريش وجبروت طغيانها آنذاك .

---

(١) عودة الحجاب : محمد إسماعيل المقدم : ٢٦٣/٢ .

(٢) إسناده حسن ، ونسبه الحافظ في الإصابة : ٢٢٧/١٢ ، ٢١٨ ، إلى كتاب الذرية الطاهرة للدولابي ، سير أعلام النبلاء : ١١٢/٢ .

كانت سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر ، سابعة سبعة في الإسلام ، وكان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة خرجوا بها وبابنها وزوجها إلى الصحراء، وأهالوا عليهم الرمال المتقدة وأخذوا يرضخونهم بالحجارة ، وتوفيت سمية تحت العذاب رضي الله عنها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بعمار وأمه وأبيه ، وهم يعذبون بالأبطح في رمضان مكة فيقول : « صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » .

وعن مجاهد قال : أول شهيد في الإسلام سمية بنت خياط ، والدة عمار ابن ياسر ، كانت عجوزاً كبيرة ضعيفة ، ولما قتل أبو جهل يوم بدر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار : « قتل الله قاتل أمك »[1] .

لقد هانت النفس والمال والولد عند الرعيل الأول من الرجال والنساء ، في سبيل عقيدتهم ودينهم وحب الله ورسوله .

« عن ابن إسحق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد ، فلما نُعوا لها . قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها حتى إذا رأته قالت : « كل مصيبة بعدك جلل »[2] .

وخلال الهجرة ساهمت المرأة في التخذيل عن رسول الله وصاحبه، وتحملت الأرزاء والمشاق في سبيل دينها .

فكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أوائل من هاجر إلى الحبشة ، وكان معها جملة من نساء المؤمنين[3] .

---

(١) الإصابة : ٣٢٧/٤ .

(٢) البداية والنهاية : ٤٧/٤ ، وحياة الصحابة : ٣٣٣/٢ .
وجلل : تريد صغيرة ، قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير .

(٣) الإصابة : ٢٩٧/٤ ، وسيرة ابن هشام : ٣٢٢/١ .

وكانت أم سلمة رضي الله عنها ، قد منعها قومها بنو المغيرة من الهجرة مع زوجها ، ثم جذبوا ابنها سلمة منها حتى خلعوا يده ، ففرقوا بينها وبين زوجها .

تقول رضي الله عنها : كنت أخرج كل غداة ، وأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسي سبعاً ... حتى مر بها رجل من بني عمها فرق لها . وقال لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها ، وبين ابنها ، فقالوا : الحقي بزوجك إن شئت ، وردوا عليها ابنها ثم لحقت بزوجها ، رضي الله عنهما[1] .

ويستمر شأن الجاهلية هذا حتى أيامنا هذه ، فيشرد المؤمنون في أصقاع الأرض ، ويمنع ذووهم من النساء والأطفال من تأشيرات الخروج للحاق بهم ، وتبقى سلعة الله غالية ، تستحق التضحيات الجسام .

وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، ذات مواقف عظيمة خلال الهجرة ، تمثل لباقة الداعية ، وحصافتها وثباتها .

قال ابن إسحق : حدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ، فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك ! يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أين ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده – وكان فاحشا خبيثاً – فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي[2] .

وعندما احتمل أبو بكر ماله كله ، خمسة الآف أو ستة الآف درهم خلال هجرته ، سكنت أسماء جدها أبا قحافة بأن وضعت حجارة في كوة البيت الذي كان يضع أبو بكر ماله فيها، وغطتها بثوب، ووضعت يد أبي قحافة على ما ظنه

---

(١) الإصابة : ٤/٤٣٩ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ١/٤٨٧ .

مالاً .... تقول : ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك ...»[1] .

رضي الله عن أسماء ذات النطاقين على يكثرة تضحياتها، إذ مزقت نطاقها لتربط بشقيه طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال المطاردة والمتابعة أثناء الهجرة .

ولم تكتف المرأة المسلمة بذلك ، بل ساهمت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر طاقتها .

« دخل قريب لأم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها ، فوجدت منه ريح شراب . فقالت : لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك ، لا تدخل علي أبداً »[2] .

صور وضيئة تطالعنا لسلف هذه الأمة رجالاً ونساء فما أحرانا بالاقتداء والاتباع في هذه الأيام .

وها هي أم سُليم تدفع ولدها ليكون جندياً يخدم صاحب الدعوة ، رسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم .

عن أنس قال : « جاءت بي أم سليم (والدته) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أزّرتني بنصف خمارها ، وردتني ببعضه فقالت : يا رسول الله ! هذا أُنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده » فوالله إن مالي كثير ، وإن ولدي وولد ولدي يتعادّون على نحو من مائة اليوم »[3] .

« وعندما خطب أبو طلحة أم سُلَيم (قبل أن يسلم) قالت : يا أبا طلحة :

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٤٨٨/١ .
(٢) أخرجه ابن سعد : ١٢٩/٨ ، وسنده حسن ، أعلام النبلاء : ٢٤٤/٢ .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة ، انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي : ٣٩٨/٣ .

ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض قال : بلى . قلت : أفلا تستحي ؟ تعبد شجرة ؟ إنْ أسلمت فإني لا أريد منك صداقاً غيره . قال : حتى أنظر في أمري . فذهب ثم جاء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقالت : يا أنس ! زوج أبا طلحة . فزوجها فكان صداقها الإسلام »[١] .

هكذا يكون التفاني في سبيل الإسلام ، جعلت صداقها أن أسلم على يديها خاطبها ، فأين من ذلك فتيات اليوم ؟ ممن يتغالى أهلهن بالمهور ، وقد يكون الخاطب ذا دين وخلق ، لكنه لا يستطيع دفع الأموال الطائلة ، وكذلك الفتيات يتباهين بكثرة ما يدفع إليهن من مهر وذهب ومجوهرات ، أو يبقين عوانس مدى حياتهن ، وما أكثر هذه الظاهرة في عصرنا الحاضر .

● وكانت المرأة المسلمة **تجير بالأمان ويؤخذ بإجارتها** .

قال ابن المنذر : « أجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة »[٢] .

وفي السيرة النبوية شواهد كثيرة على إجارة المرأة .

« فحين دخل أبو العاص على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم – زوجته – في جنح الليل، وهو على الشرك بعد أن نجا من سرية رسول الله، وكان مقبلاً من الشام في قافلة تجارية ، استجار بها فأجارته .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الصبح فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب رضي الله عنها من صفة النساء أيها الناس ! إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع ! فلما سلم رسول الله من الصلاة أقبل على الناس فقال : « أيها الناس : هل سمعتم ما سمعت ؟ » قالوا : نعم . قال : « أما والذي نفس محمد بيده ، ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم ، إنه يجير

---

(١) الإصابة لابن حجر : ٤٤٢/٤ .
(٢) حسن الأسوة ص ٢٥٨ .

على المسلمين أدناهم »[1] .

وعندما أجارت أم هانىء ابنة أبي طالب رجلاً عام الفتح . قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء »[2] .

وبذلك فقد شاركت المرأة المسلمة في أحداث عصرها ، وكرّمها الإسلام فأقر إجارتها وأمانها ، واحترم رأيها فلم ينقضه .

● **في مجال الجهاد في سبيل الله .**

الجهاد بمعنى القتال ليس واجباً على النساء ، وعندما سألت السيدة عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المرأة أعليها جهادٌ ؟ قال : « جهادكنّ الحج »[3] .

إلا أن المرأة قد تقاتل دفاعاً عن نفسها ، وفي حالة النفير العام إذا هوجمت ديار المسلمين لها أن تدافع عن نفسها ، كما أنها قد تصحب جيش المسلمين لا للقتال وإنما لتقوم بأعمال أخرى تناسب أنوثتها ، كسقي الماء ومداواة الجرحى ... ومن هذا القبيل ما كانت تقوم به النساء في صدر الإسلام ، كان من عادته صلى الله عليه وسلم أن يصطحب بعض نسائه في الغزو : « عن أنس ابن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سُلَيم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا ، فيسقين الماء يداوين الجرحى » رواه مسلم .

وجاء في شرح الحديث للنووي : « وفيه خروج النساء في الغزو ، والانتفاع بهن في السقي ، والمداواة ونحوهما ، وهذه المداواة لمحارمهن وأزواجهن ، وما كان منها لغيرهم لا يكون فيه مس بشرة إلا في موضع الحاجة »[4] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٦٥٧/١ ، وصفة النساء المكان المعد لهن في المسجد .

(٢) أخرجه البخاري : ١٢٢/٤ طبعة دار إحياء التراث العربي ، ومسلم ٤٩٨/١ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

(٣) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها : ٣٩/٤ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٨٨/١٢ .

ويؤكد هذا المعنى حديث أم عطية إذ تقول : « غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام ، وأداوي الجرحى ، وأقوم على المرضى »[1] .

وفي أُحد ساهمت السيدة عائشة رضي الله عنها في نقل الماء للمجاهدين بصحبة أم سليم . يقول أنس رضي الله عنه : « ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم ، وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما ، تنقلان القرب على متونهما ، ثم تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان تفرغانه في أفواه القوم »[2] .

وربما حملت المرأة المسلمة خنجرها لتدافع عن نفسها إن دنا منها مشرك .

« روى أنس رضي الله عنه أن أم سليم اتخذت حين حنين خنجراً ، فرآها أبو طلحة (زوجها) فقال : يا رسول الله ! هذه أم سليم معها خنجر !! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا الخنجر ؟ قالت : اتخذته إنْ دنا مني أحد من المشركين بقرتُ به بطنه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول : « يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن »[3] .

« وروي أن أسماء بنت يزيد شهدت اليرموك ، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها »[4] .

ولا يكون ذلك إلا عند التحام الجيوش ومهاجمة مخيم النساء حتى اضطرت أسماء أن تحمل عمود خيمتها وتقتل المهاجمين المعتدين من الروم ، لأن المسلمة لم يُفرض عليها القتال ، وإنما كانت تقوم بأعمال إضافية خلف الصفوف وتدافع

(١) رواه مسلم : ١٤٤٧/٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
(٢) مسلم بشرح النووي : ١٨٩/١٢ ، وجاء في الشرح : خدم : الواحدة خدمة وهي الخلخال ، كان ذلك يوم أحد قبل أمر النساء بالحجاب .
(٣) رواه مسلم : ١٨٨/١٢ مع الشرح ، وانظر الإصابة : ٤٤٢/٤ .
(٤) الإصابة : ٢٢٩/٤ ، ومعه الاستيعاب .

ن نفسها عند الضرورة ، ولذلك لم يسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سهم لمن حضر الغزوات من النساء ....

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء فيداوين الجرحى ويُحذَيْنَ من الغنيمة ، وأما سهم فلم يضرب لهن »[1] .

أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطاهن من الغنيمة ولم يعتبرهن مقاتلات ليسهم لهن كالمجاهدين .

ولم يكن وجود المرأة محصوراً في ميدان القتال فحسب بل كان يمتد إلى ما بعده ، فقد كانت رفيدة الأسلمية من الأنصار تداوي الجرحى ، وتحتسب نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين .

قال البخاري في الأدب المفرد : لما أصيب أكحل سعد بن مُعاذ يوم الخندق قيل : حولوه عند امرأة يقال لها : رفيدة ، وكانت تداوي الجرحى[2] .

كانت مجتمعات المسلمين مهيأة نفسياً للجهاد في سبيل الله ، يشترك في ذلك الرجال والنساء ، ومن طرائف ما روي قصة الخنساء عندما كانت توصي أبناءها الأربعة بالثبات أثناء القادسية ، ولما بلغها نبأ استشهادهم قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[3] .

فهذا هو هدي الإسلام في الجهاد ، تشارك المرأة خلف صفوف الرجال ، مهمتها الأساسية ، تأمين الماء للمجاهدين أو الإشراف على الطعام ، ثم تضميد الجرحى للمحارم ، أما غيرهم فبدون مس بشرة إلا في موضع الحاجة .

---

(١) رواه مسلم : ١٩٠/١٢ مع الشرح وجاء في الشرح : قوله : يحذين يعطين العطية ، وتسمى الرضخ ولا تستحق السهم .
(٢) الإصابة : ٢٩٥/٤ مع الاستيعاب .
(٣) الإصابة : ٢٨٠/٤ ، وانظر تفصيلاً لذلك : الباب الأول من هذا الكتاب : مكانة الأم في الإسلام .

وعند مهاجمة العدو للمسلمين والوصول إلى خيم النساء تدافع المرأة عن نفسها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، ومن ثم تحرض أبناءها ومحارمها على الثبات والصبر .... أما ما ساد بعض بلاد المسلمين من تجنيد الفتيات ضمن الجيوش شأن الأمم الأخرى ، أو تدريبهن في مخيمات الفتوة ، قد يكون المدرب ضابطاً من الجيش ثم يكون المبيت بعيداً عن الأهل ، وربما كان الاختلاط أمراً عادياً ، فذلك كله محادة لله ولرسوله ، وانتكاس نحو الجاهلية الأولى .

ونتائج مشاركة المجندات في الجيوش عند غير المسلمين أصبحت لا تخفى على أهل العقل والدين ، بما تجره من ويلات وفضائح .

• حكم الإسلام في ولاية المرأة .

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملّكوا عليهم بنت كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة »[1] .

فيدل الحديث على عدم جواز ولاية المرأة الولاية العامة ، بما فيها الرئاسة والخلافة والوزراء والسفارة والقضاء والقيادة، وغير هذا من الولايات التي تحتاج فيها المرأة إلى الاختلاط بالرجال والاجتماع بهم .

وكل أمة خالفت هذا فولت على شأن من شؤونها العامة امرأة لن تفلح أبداً ، وسيكون مآلها الانهيار والهلاك طال الزمن أو قصر[2] .

قال ابن قدامة الحنبلي : « ... ولا تصلح المرأة للإمامة العظمى ولا لتولية البلدان ، ولذا لم يُول النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ولا مَنْ بعدهم امرأة قضاء ولا ولاية بلد فيما بلغنا ، ولو جاز ذلك لم يخل منه جميع الزمان غالباً »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري : ١٠/٦ دار إحياء التراث العربي ، والنسائي والترمذي ، وحسن الأسوة ص ٢٨٢ .
(٢) المرأة المتبرجة وأثرها السيىء في الأمة : عبد الله التليدي ص ١٤٠ ، ١٤١ .
(٣) المغني : ٣٦/٧ .

وهذا هو مذهب كل الأئمة والعلماء ، إلا أن بعض أهل الشذوذ أجازوا لمرأة تولي القضاء ، ولو كان هذا جائزاً لفعله النبي وخلفاؤه الراشدون .

قال الشيرازي الشافعي : « ولا يجوز أن يكون القاضي امرأة (لحديث أبي بكرة) ولأنه لابد للقاضي من مجالسة الرجال من الفقهاء والشهود والخصوم ، المرأة ممنوعة من مجالسة الرجال لما يخاف عليها من الفتنة بها[1] .

ودلت سيرة السلف على عدم مشاركة المرأة في اختيار الخلفاء ولا تولي مثل هذه المهام « ففي سقيفة بني ساعدة عندما تم اختيار الخليفة الأول قد بلغ الخلاف أشده ، ثم استقر الأمر لأبي بكر ، وبويع بعد ذلك البيعة العامة في المسجد ، ولم تشترك امرأة مع الرجال في مداولة الرأي في السقيفة ، ولم تُدع لذلك ، كما أنها لم تدع ولم تشترك في تلك البيعة العامة .

وكم من اجتماعات شورية من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومن الخلفاء وإخوانهم في شؤون عامة لم تدع إليها امرأة ، ولم تشترك فيها »[2] .

إلا أن حمى المساواة التي غزت بلاد المسلمين ، وجهود المبشرين والمستشرقين في إقامة المؤتمرات ، ومحاولة تسميم أفكار ضعاف النفوس من أبناء المسلمين ، ألجأتهم إلى تحريف نصوص القرآن والحديث لتنسجم مع عادات الغرب السائدة .

وأكثر ما نجد هذا التحريف في المرأة وما يتصل بشؤونها ، ومن هذا مقال الدكتور منير القاضي عميد كلية الحقوق في بغداد ، الذي يزعم أن الإسلام قد أسس حقوقاً في الحكم ولم يفرق بين الرجل والمرأة في سائر الأحكام ، ومنح النساء حق المبايعة لرئيس الدولة كالرجال ويستشهد لذلك بآية من كتاب الله وردها مبتورة على هذا النحو : ﴿ **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن** ﴾ وتمام الآية الكريمة هو : ﴿ **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك**

---

١) المهذب بشرح النووي : ١٦٣/١٨ .

٢) الحركات النسائية : محمد عطية خميس ص ١٠٩ .

على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة : ١٢] .

وواضح من الآية أن البيعة هنا هي عهد من النساء بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم بالتزام طريق الله المستقيم ، ولا يمكن أن يستنتج منها أن الإسلام قد منح النساء حق المشاركة في انتخاب رئيس الدولة[1] .

أما ما نشاهده اليوم من تولي بعض النساء الوزارة أو رئاستها في ديار المسلمين ، أو المشاركة في البرلمانات ومزاحمة الرجال في المناكب ... إنما هو ارتكاس إلى الجاهلية الأولى ، إذ كان أهل الجاهلية يولون عليهم بعض النساء في الحكم أو قيادةَ الجيوش .

أو هو تقليد الضعفاء لأهل الجاهلية المعاصرة ممن أضلهم الله ، ولن يفلحوا على كل حال مهما طال الزمن .

فالسياسة وأحابيلها ومشكلاتها ينوء بحملها الرجال فما بالك بالمرأة ، وقد هيئت لغير هذا في طبيعتها وأنوثتها، وأهم اختصاص لها تربية الأجيال القادرة على القيادة ، وإدارة دفة الحكم والعودة بهذه الأمة إلى سابق عزها ومجدها أيام كانت كتائب التوحيد تشرق وتغرب وتفرض حضارتها، وتنشر دينها في أنحاء المعمورة، ليس لها مزاحم .

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية : د. محمد محمد حسين ص ١٢٥ - ١٣٩ بتصرف وإيجاز .

الباب الثالث

المرأة في الجاهلية المعاصرة

فصل الأول :

المؤامرة على المرأة في ديار المسلمين .

مبحث الأول :

غزو من الداخل .

- دور القيادات الفكرية .
- دور الحركات النسائية .
- دور القيادات السياسية .

مبحث الثاني :

دور الغزو الفكري في المؤامرة .

- التعليم .
- دور وسائل الإعلام .

فصل الثاني :

مأساة المرأة في الجاهلية المعاصرة .

مبحث الأول :

دور اليهود في إفساد المرأة .

مبحث الثاني :

مأساة المرأة المعاصرة .

- تمزق روابط الأسرة .
- القلق والاضطراب .
- شيوع الرذيلة وإعلان المجون في شريعة الغاب الجديدة .



الفصل الأول

المؤامرة على المرأة في ديار المسلمين[1]

تمهيد :

عرفنا مكانة المرأة في الإسلام أماً وزوجة وابنة ....

عرفنا دورها البناء في قيام الأسرة المسلمة المعطاء ، وفي تربية الأجيال الخيرة ....

عرفنا دورها في تلاحم المجتمع المسلم ، وإشاعة جو الفضيلة والمودة والعفاف،في خروجها محجبة ، وفي تعلمها وعملها حسب هدي هذا الدين ، ولم تنس دورها في معاونة المجاهدين في الصفوف الخلفية للمداواة والسقاية ....[2] .

« إلا أن هذه المجتمعات الخيرة انحدرت من القمة الشامخة إلى الحضيض ، الذي تعانيه الأمة اليوم ... مسافة هائلة تبعث على الذهول » .

ولنا الحق أن نتساءل : « كيف تأتّى للأمة التي ارتفعت إلى تلك القمم السامقة ، التي لم تسبقها إليها أمة في التاريخ ، ولا أدركتها بعدها أمة في التاريخ ، أن تتدنى إلى هذا الدرك من الضياع والذل والهوان ، والهبوط المسف الذي وصلت إليه اليوم ، والذي لا تكاد تدانيه أمة في الواقع المعاصر ....؟! » .

« فلماذا لم تحافظ علي أفقها السامي ، بل لماذا لم تحافظ حتى على المستوى الأدنى الذي لا ينبغي لها أن تهبط دونه ؟! »[3] .

---

(١) فضلنا هذا العُنوان على العنوان الشائع : تحرير المرأة ، لأنه ألصق بأحداث التاريخ لقضية المرأة في بلادنا ، وما كانت المسلمة مستعبدة قط حتى يأتي دعاة التغريب ليحرروها .

(٢) انظر البابين الأول والثاني .

(٣) انظر واقعنا المعاصر ص ١١٣ ، ١١٧ .

ذلك لأن الاستعلاء لا يكون إلا مع الإيمان ، ولن يغير الله واقعنا المرير حتى نغير ما بنفوسنا . ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾[1] .

« وإنه لما تُسأل عنه هذه الأمة يوم القيامة ، كيف ضيعت دينها ، وهي التي أخرجها الله لتكون شاهدة لهذا الدين ، وشاهدة على كل البشرية يوم القيامة ؟ وكيف تخلت عن التكاليف التي فرضها الله عليها لتحقيق المنهج الرباني في الحياة ؟! »[2] .

وسوف نفصل الحديث في هذا الباب عن تلك المؤامرة ، التي أخرجت المرأة المسلمة من بيتها وخفرها باسم التقدم والتحرر ، فمن هم أولئك المتآمرون باسم المدنية ؟ وما الدوافع الحقيقية التي دفعت بهم إلى هذا العمل المشين ؟! ومَنْ هم الذين كانوا يدفعونهم لذلك ؟ فهذا هو الغزو الداخلي مضافاً إلى الغزو الفكري الخارجي وما حقيقة الحياة الجديدة التي عاشتها المرأة في هذا العصر ؟ بل وما المآسي التي تعاني منها المرأة في الجاهلية المعاصرة ؟! في البيت والعمل والشارع ؟ ذلك ما نحاول الإجابة عليه في هذا الباب إن شاء الله .

---

(١) سورة الرعد : الآية ١١ .

(٢) انظر واقعنا المعاصر ص ١١٣ ، ١١٧ .

المبحث الأول : غزو من الداخل .

١ - دور القيادات الفكرية في المؤامرة .

لقد تضافرت جهود المفكرين المتأثرين بأفكار الغرب العلمانية ، والمنبهرين بما وصلت إليه المرأة الغربية ، فراحوا يدعون إلى ما أسموه (تحرير المرأة) ولو كان ذلك على حساب حجابها وحيائها ووقارها .

كان من أوائل المبهورين بحضارة الغرب ، إمامٌ لطلاب البعثات في فرنسا ، وهو شيخ أزهري ذلك هو :

رفاعة الطهطاوي :

ذهب إلى فرنسا ليؤم الطلاب هنالك ولكنه عاد ، وهو واحد من أئمة التغريب .... استقبله أهله بالفرح يوم عاد من فرنسا بعد غيبة سنين .... فأشاح عنهم في ازدراء ، ووسمهم بأنهم فلاحون لا يستحقون شرف استقباله ! .

ثم ألف كتابه الذي تحدث فيه عن أخبار (باريز) ودعا فيه إلى تحرير المرأة ، أي إلى السفور وإلى الاختلاط ، وأزال في كتابه هذا عن الرقص المختلط وصْمة الدنس ، فقال : « إن الرقص حركات رياضية موقعة على أنغام الموسيقى ، فلا ينبغي النظر إليه على أنه عمل مذموم »[1] .

لقد ادعى الطهطاوي في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ، أن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعياً إلى الفساد .

ذلك ليبرر دعوته إلى الاقتداء بالفرنسيين حتى في إنشاء المسارح والمراقص مدعياً أن « الرقص على الطريقة الأوربية ، ليس من الفسق في شيء بل هو أناقة وفتوّة » .

---

(١) انظر واقعنا المعاصر ص ٢٠٩ .

ثم دعا المرأة إلى التعلم حتى تتمكن من تعاطي الأشغال والأعمال التي يتعاطاها الرجال[1] .

وكان الطهطاوي كذلك أول من تكلم في كتابه (تخليص الإبريز) عن الطلاق الذي لا يتم عند الفرنسيين إلا أمام المحكمة بإقامة دعوى الزنا ، وتكلم عن عادات القوم في الاختلاط ... وتعدد الزوجات .

وأورد قصصاً وأقوالاً تحبذ الاقتصار على زوجة واحدة ، وفي كل ذلك إثارة لأكثر القضايا التي أصبحت بعد ذلك مثار الجدل والمناقشة[2] .

هذا واحد من دعاة تحرير المرأة ، حسب طريقة فرنسا إلا أن الأمة لم تستجب لهذه الدعوة آنذاك .

« ولم يكن يتوقع أن تستجيب الأمة الإسلامية في مصر إلى هذه الدعوة في حينها ، فقد كانت بقية الإسلام في نفوس المسلمين حية ، كما كانت سيطرة التقاليد الإسلامية ، تجعل مثل تلك الدعوة في ذلك الوقت مثاراً للسخرية ، ومثاراً للاستنكار الشديد .... » .

وكانت جذوة الإسلام هي التي منعتهم من الإعجاب بالغزاة الصليبيين ، رغم أن غاراتهم كانت مفاجئة للمسلمين وهم على غير استعداد ... ومع ذلك لم تذل أرواح المسلمين ... بل كان الصليبيون في نظرهم هم المشركين عبّاد الصليب ، ... كانوا يقولون عنهم : إنهم ديايث ، يكون الواحد منهم سائراً مع زوجته فتلتقي بصديق لها ، فيتنحى الزوج جانبا ليتيح للمرأة أن تتحدث مع صديقها ما شاءت من الحديث .

انظر كيف انقلبت المعايير بعد الهزيمة الأخيرة ، فوجد في المسلمين من يقول في مجلة روز اليوسف : « إلى متى نظل رجعيين ! يكون الواحد سائراً مع زوجته

---

(١) الإسلام والحضارة العربية : د. محمد محمد حسين رحمه الله ص ٣٦ ، طبعة بيروت مؤسسة الرسالة الخامسة ١٤٠٢هـ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥ — ٣٧ بإيجاز .

في الطريق فتلتقي بصديق لها ، فيصر الزوج على الوقوف ليستمع لما يدور بين الزوجة والصديق »[1] .

فهذا الانبهار بما عند الغرب ، هو الذي أدى إلى التبعية الكاملة ، ولا يكون ذلك إلا بسبب الهزيمة الداخلية الناجمة عن التخلف العقدي ...

والاستعلاء قرين الإيمان .

دور الصالونات الثقافية[2] .

لقد ابتليت مصر في تاريخها الحديث بثلاثة صالونات كان لها تأثير ملحوظ في خط سير الأحداث : صالون ميّ زيادة الأديبة المسيحية اللبنانية ، وصالون هدى شعراوي ، وصالون نازلي فاضل .

أما ميّ الأديبة الشاعرة ، فقد فتنت أدباء مصر جميعاً في وقت من الأوقات بظرفها – كما قالوا – ولطف حديثها وحسن استقبالها للرجال ، ولباقتها[3] .

أما هدى شعراوي فقد استقطبت مَنْ استقطبت من الصحفيين الشعراء، والكتاب المدافعين عن قضية المرأة .

أما **نازلي فاضل** فقد كان صالونها أخطر الثلاثة :

كانت أميرة متحررة من أميرات أسرة محمد علي ، تعلمت على الطريقة الغربية ، وتخلقت بأخلاق الغرب ، وجعلت من بيتها صالوناً تستقبل فيه الرجال ، وتتجاذب معهم أطراف الحديث .

ولكن أي رجال ... ؟ وأي أحاديث ؟! .

لقد كان أكبر زبائنها اللورد كرومر نفسه ، وناهيك عن صالون يكون

---

(١) انظر واقعنا المعاصر ص ٢٠٩ ، ٢١٢ بتصرف يسير .

(٢) انظر واقعنا المعاصر ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٣) انظر دواوين العقاد الأربعة الأولى ، وأوراق الورد للرافعي ورسائل الأحزان كذلك .

ضيف الشرف الدائم فيه هو المعتمد البريطاني ، الحاكم المطلق في البلاد[1] .

كرومر الذي يقول : جئت لأمحو ثلاثاً : القرآن والكعبة والأزهر[2] .

ثم كان من رواد ذلك الصالون : الشيخ محمد عبده ، ومصطفى فهمي والد صفية التي سميت بعد زواجها من سعد زغلول صفية زغلول[3] وكان من أكبر رواده لطفي السيد ، وسعد زغلول ، وقاسم أمين .

ومما كتبه الشيخ محمد عبده في مذكراته التي نشرتها دار الهلال بعنوان : (مذكرات محمد عبده) : « إنه تأثر تأثراً عميقاً بلطف السيدة .... وإن عمق تأثره بها قد غير نظرته إلى المرأة تغييراً كاملاً »[4] .

كان الشيخ محمد عبده صديقاً حميماً للأميرة نازلي فاضل ، وكان يلقبها (بتمثال الكمال والجمال) وقد خصته بمكانة تجمع بين الحب والإجلال .

كان الشيخ يجد في كنف الأميرة ما يغذي روحه الحساس وذوقه اللطيف ، ويجدد نشاطه للعمل[5] .

هذه الأميرة المتحررة ، والملكة فيما بعد ، هي زوجة الملك فؤاد ، وأم الملك فاروق ، تزوجها آخر حياتها طبيب أمريكي ، فأخرجها عن الإسلام وتنصّرت ، وكذلك ابنتها (فتحية) ، تزوجها نصراني مصري ، بدعوى أنه أسلم ثم تبين أنه لم يسلم ، بل حملها على أن تتنصر معه ، ومن ثم أخذ مالها ، وفارقها ، وقد قتلت في أوربا منذ سنوات[6] .

هذه هي عقوبة الله في الدنيا ، وإن في الآخرة الجزاء الأوفى . وهذه بعض

---

(١) واقعنا المعاصر ص ٣٠٩ .

(٢) الخنجر المسموم : أنور الجندي ص ٢٩ ، دار الاعتصام القاهرة عام ١٩٧٦م .

(٣) نسبة إلى زوجها على طريقة الغرب في إلحاق الزوجة بلقب الزوج .

(٤) عن واقعنا المعاصر ص ٣١٠ .

(٥) عودة الحجاب : محمد إسماعيل المقدم : ٣٨/١ عن مجلة الهلال العدد الماسي ص ٢٢٥ جـ ٧ مجلد ٦٦ .

(٦) عودة الحجاب : عن خواطر دينية لعبد الله بن الصديق ص ١٨٩ .

عواقب التحرر والتفلت عند علية القوم فما بالك بعامتهم ؟! . هذه بعض نتائج الاختلاط ، والخروج عن الحشمة والوقار .

وممن تزعَّم كِبْر الدعوة إلى تحرير المرأة في العصر الحديث .

قاسم أمين : وكان هو الآخر من مفتوني حضارة الغرب ، ومتاهات فرنسا .

كان قد حصل على ليسانس الحقوق من القاهرة وهو في سن العشرين ... ثم سافر إلى فرنسا في هذه السنّ الباكرة ، فتأثر بفكر القوم تأثراً بالغاً ، وعاد إلى مصر بفكر جديد وعقل جديد ووجهة جديدة ....

يقول قاسم أمين في مذكراته مؤكداً ما نقول : إنه التقى هناك بفتاة فرنسية أصبحت صديقة حميمة له اسمها (سلافا) ، نشأت بينه وبينها علاقة عاطفيةَ عميقة ولكنها (بريئة) ....!!.

وإنها كانت تصحبه إلى بيوت الأسر الفرنسية والنوادي والصالونات الفرنسية ، فتُفتح في وجهه البيوت والنوادي والصالونات ، ويكون فيها موضع الترحيب[1] .

فقد لعبت هذه الفتاة بعقله كما لعبت بقلبه وغيرت مجرى حياته ، وجعلته صالحاً للعب الدور المطلوب الذي قررت مؤتمرات التبشير أنه لابد منه لهدم الإسلام مهما ادعى البراءة .... فالعلاقة تشتمل على خلوة محرمة في ذاتها ، سواء أدت إلى الفاحشة أم لم تؤد إليها ، وهي محرمة في دين الله .....

وأياً كان الأمر ، فقد عاد قاسم أمين من فرنسا داعياً إلى تحرير المرأة ، داعياً إلى السفور ، ونزع الحجاب ... نفس دعوة الطهطاوي تتكرر عندما رجع من فرنسا مع فارق رئيسي بينهما ، لا في الدعوة ذاتها ولكن في المدعوين ، إذ ان أكثر من نصف قرن من الغزو الفكري المستمر كانت قد فعلت فعلها في نفوس

---

(١) انظر مذكرات قاسم أمين .

الناس .... ورغم ذلك فقد أثار كتاب تحرير المرأة معارضة عنيفة جعلت (قاسم أمين) ينزوي في بيته خوفاً أو يأساً ، ولكن (سعد زغلول) شجعه وقال له : امض في طريقك وسوف أحميك[1] .

ولكتاب قاسم أمين (تحرير المرأة) ظروف وملابسات يحسن أن نوضحها ليقف القارىء على الخلفية التي أظهرت هذا الكتاب للوجود .

كتاب تحرير المرأة[2] :

عندما قرأ قاسم أمين كتاباً عن المصريين ألفه (داركير) تألم أشد الألم ، فرد عليه في كتاب (المصريون) ، ورغم أن الرد كان تبريرياً ، والشرح قد اتسم بالخنوع والذلة ، فقد استنكر قاسم أمين خطة بعض السيدات المصريات اللائي يتشبهن بالأوربيات .

عندما وشى به خصومه إلى الأميرة نازلي ، بأنه يعرض بها هي .... لأنه لم يكن في نساء مصر آنذاك مَنْ يتشبه بالنساء الأوربيات غيرها .

فقد كانت الوحيدة التي تختلط بالرجال ، وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته ليكون مركزاً تبث منه الدعوة إلى التغريب ، وإلى ما يسمى بتحرير المرأة (عودة الحجاب ١/٣٦) .

« كانت قد افتتحت هذا المنتدى إثر عودتها إلى مصر بعد الاحتلال ، وبعد أن قويت روابطها مع اللورد كرومر ، واتخذت من المعتمد البريطاني أداة لحماية رواد هذه الدعوة[3] .

وتوعدت نازلي فاضل قائلة للشيخ محمد عبده قولاً شديداً في هذا الشأن .

وتم الاتفاق بين قاسم وسعد زغلول ، والشيخ محمد عبده ، على أن ينشر

---

(١) انظر واقعنا المعاصر ص ٢٥١ - ٢٥٣ .

(٢) انظر قاسم أمين فتنة الأجيال وداعية السفور في عهد الاحتلال في كتاب عودة الحجاب: ١/٣٣-٧٤.

(٣) لأخوات المسلمات : محمد محمود الجوهري ومحمد الخيال- دار الدعوة في الأسكندرية ص ٢٤٠ .

كتاباً يصحح فيه خطأه ، واقتنع بالفكرة ، وبذلك ولد كتاب (تحرير المرأة) عام ١٨٩٩م [(١)] .

أما كتاب المرأة الجديدة :

فقد كان أشد خطورة من سابقه ، وأكثر إمعاناً في خروجه على الإسلام ، انظر إليه إذ يقول مشيراً إلى المرأة الغربية : « هذا التحول هو ما نقصد إليه ، وغاية ما نسعى إليه : هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع ، وأن تخطو هذه الخطوة على سلم الكمال ، وأن تكون مثلها تحرراً ، فالبنات في سن العشرين يتركن عائلاتهن ويسافرن من أمريكا إلى أبعد مكان في الأرض وحدهن ، ويقضين الشهور والأعوام متغيبات في السياحة ، ولم يخطر على بال أحد من أقاربهن أنّ وحدتهن تعرضهن إلى خطر ما .

وكان من تحررها أن يكون لها أصحاب غير أصحاب الزوج .

والرجل يرى أنّ زوجته لها أن تميل إلى ما يوافق ذوقها وعقلها وإحساسها ، وأن تعيش بالطريقة التي تراها مستحسنة في نظرها »[(٢)] .

فالمرأة الجديدة التي يقصدها قاسم أمين هي المرأة الأوربية التي أراد من المرأة المصرية أن تتحول إليها وتتخذها مثلاً أعلى لها .

وبذلك يلتقي مع الطهطاوي ، وكل دعاة التغريب في القديم والحديث ، بل إن الدول المستعمرة كانت تؤيد مثل هذه الدعوات وتشجع أصحابها فقد كتب مصطفى كامل في اللواء : (في ٩ فبراير ١٩٠١م) يقول : « هذا وقد انتشر خبر كتاب تحرير المرأة في جهات الهند واهتم الإنجليز بترجمته ، وبث قضاياه .... لما وراء العمل به من فائدة لهم »[(٣)] .

---

(١) عودة الحجاب : ٣٧/١ .

(٢) آثار باحثة البادية : ملك حفني ناصف ص ٢٧٤ جمع وتبويب مجد الدين حفني ناصف ١٩٦٢م ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، وعودة الحجاب : ٦٤/١ .

(٣) عن عودة الحجاب : ٥٨/١ .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدعوات غريبة على جسم أمتنا الإسلامية ، حتى مع الذين كانوا ينادون بها ، إذ أوقعتهم بالتناقض ، ولا غرابة حين تكون التبعية والمذلة .

« فزوجة قاسم أمين مثلا كانت محجبة حجاباً كاملاً ، وقد ذكرت بعد وفاته : أن زوجها قاسما لم يرغمها على السفور عندما كان ينادي إليه ، وتقول : إنها ظلت ترتدي البرقع والحبرة ، وإن قاسماً كان يكتفي بالمناداة بفكرته ، ولكنه لم يطبقها في أسرته إلا على النشْء الجديد ، أعني بناته »[1] .

ومما يُحكى عنه : « أن صديقاً عزيزاً عليه ، هو المؤرخ الإسلامي (رفيق العظم) زاره ذات مرة ، فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك في بعض المسائل الاجتماعية ! فدهش قاسم أمين ، إذ كيف يطلب صديقه منه مقابلة زوجته ومحادثتها ؟! .

قال له صديقه : ألست تدعو إلى ذلك ؟ إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك ؟ فأطرق قاسم أمين صامتا »[2] .

ومن المفكرين الذين دفعوا بقضية (ما يسمى بتحرير المرأة) قدماً **الشيخ محمد عبده** : فقد كان يريد أن يقيم سداً في وجه التيار العلماني اللاديني ليحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه ، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد أصبح قنطرة للعلمانية ، عبرت فوقها إلى العالم الإسلامي لتحتل المواقع واحداً بعد الآخر .

ثم جاء فريق من تلاميذ محمد عبده وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى طريق العلمانية اللادينية[3] .

كان الشيخ يريد الدفاع عن الإسلام بإثبات أنه يساير الحضارة الغربية الوافدة، وأنه يماشي العقل والتطور، فتجاوز النصوص الشرعية، ووقع فيما وقع فيه .

---

(١) انظر قاسم أمين لأحمد خاكي ص ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٢) قاسم أمين : د. ماهر حسن فهمي ص ١٥٩ عن عودة الحجاب : ٧٣/١ .
(٣) عودة الحجاب : ٣١/١ .

ومن هنا كانت دعوته لتحرير المرأة ، قال داود بركات رئيس تحرير الأهرام : « وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة في دروسه في الرواق العباسي بالأزهر ، وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول (كتاب تحرير المرأة) ، أو كان له دور في مراجعتها »[1] .

بينما يجزم محمد عمارة وهو يعدد إنجازات الشيخ : « بأن أبرز أعماله الفكرية في هذه التجربة .... الفصول التي شارك فيها في كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين سنة ١٨٩٩م »[2] .

وعرفنا فيما سبق أن الشيخ كان من رواد نازلي فاضل في ناديها المتحرر ، ومن رواد هذا النادي كرومر المعتمد البريطاني .

ثم كثر الناعقون باسم هذه الفرية ، والداعون إلى الاختلاط بين الجنسين في المدارس والجامعات ، وكان على رأس هؤلاء : أحمد لطفي السيد ، والدكتور طه حسين[3] .

ويستمر دعاة السفور والانحلال يشجعون النساء المخدوعات ، ويزعمون أنهم من أنصارهنّ .

ومن هؤلاء إحسان عبد القدوس الذي يقول : « إن إيماني بحرية المرأة ليس له حدود » .

ويقول في مجلة روزاليوسف : « إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها ، وتذهب إلى أبيها وتقول له : هذا صديقي »[4] .

ومن هؤلاء : نجيب محفوظ في قصصه الخليعة ، ونزار قباني في شعره الماجن والذي يقول: «لو كنت حاكما لألغيت مؤسسة الزواج وختمت أبوابها بالشمع الأحمر».

---

(١) جريدة الأهرام مايو عام ١٩٢٨م .

(٢) الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده ص ١٣٨ د. محمد عمارة ، كتاب الهلال .

(٣) سنبين دورهما خلال الحديث عن الاختلاط في الجامعات .

(٤) واقعنا المعاصر ص ٢٩٤ .

والذي يقول مستهزئاً : « العري أكثر حشمة من التستر »[1] .

وبذلك فُتح الباب على مصراعيه منذ رفاعة الطهطاوي وحتى اليوم ، تشكيكاً بتعاليم هذا الدين ، ثم مهاجمة لمعاقل الإسلام في أسره وبيوته ، وما تزال الحملات المسعورة تتعالى هنا وهناك ، في الصحف والمجلات ، وقصص الجنس ، والتلفزيون والشعر الهابط ، حتى وصلت الأمور إلى ما لا يخفى على كل مطلع عاقل .

---

(١) الصحافة والأقلام المسمومة : أنور الجندي ص ٩٩ وما بعدها .

١ - دور الحركة النسائية :

لقد ساهمت زعيمات الحركة النسائية بقسط وافر من التسيب والتحلل ن ضوابط الخلق الإسلامي ، وروادع الحشمة والوقار .

ذلك أنهن من خريجات جامعات أوربا ومدارسها ، وممن كنّ يرتبطن أو سرهنّ بجهات استعمارية مشبوهة ، وصرن يعشْن حياتهن الخاصة ، وأمام لمجتمع ، كما تعيش نساء أوربا آنذاك .

ومن أوائل هؤلاء الزعيمات **هدى شعراوي** :

هي نور الهدى بنت محمد سلطان باشا ، وقد تسمت فيما بعد بهدى ثعراوي إلحاقاً لها باسم زوجها علي باشا شعراوي .

كان أبوها محمد سلطان باشا يرافق جيش الاحتلال الإنجليزي خلال زحفه على القاهرة ، وكان يدعو الأمة إلى عدم المقاومة .

ولم يكتف بذلك بل تقدم هذا الخائن مع فريق من الكبراء بهدية من لأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال شكراً لهم على (إنقاذ البلاد) .

وهي زوجة علي شعراوي باشا ، ابن عمتها وتلميذ محمد عبده ، ورفيق سعد زغلول والصديق الوفي للطفي السيد ، وأحد أعضاء حزب الأمة الذين أطلق عليهم الإنجليز اسم (الرجال المعتدلون) وهو الحزب الذي عرف فيما بعد باسم (حزب الوفد) ، والذي كان علي شعراوي وكيلاً له[١] .

كانت هذه السيدة قد سافرت إلى فرنسا لتتعلم ، وسافرت محجبة ، ولكنها عادت سافرة ، وبينما كان أبوها يستقبلها في ميناء الأسكندرية ، ومعه مجموعة من أصدقائه فوجيء بها تنزل من الباخرة سافرة ، فاحمر وجهه خجلاً وغضباً ، وانصرف دون أن يحييها ، ولكن ذلك لم يردعها عن صَنِيعها ، ولم يردها عن

---

(١) الاتجاهات الوطنية : د. محمد محمد حسين : ١٣٥/٢ .
وانظر مجلة حواء : العدد١٢٣١ في ١٩٨٠/٤/٢٦ وكذلك العدد ١٢٢٧ .

غيها الذي عادت به من فرنسا .

ثم اتخذت من بيتها صالوناً تقابل فيه الرجال سافرة من غير وجود محرم .

وتحلق حولها بعض النسوة وبعض الرجال ، الرجال الذين يدافعون عن قضية المرأة – حسب زعمهم– في الصحف والمجلات بالنثر والشعر ، وكانت تشجعهم على صَنيعهم هذا[1] .

ثم اشتركت مع صفية زغلول بمظاهرة نسائية بعد قيام ثورة ١٩١٩م ، تجمع النسوة أمام قصر النيل أمام ثكنات الجيش الإنجليزي . ثم شكلت لجنة الوفد من السيدات اللائي اجتمعن برئاسة هدى شعراوي في **الكنيسة المرقصية الكبرى في** (٨ يناير ١٩٢٠م) .

ومنذ ذلك التاريخ انتقل التنظيم النسائيّ إلى مرحلة العمل المنظم على أساس أنه هيئة حرة معترف بها[2] .

وهدى شعراوي كانت تلميذة وفية لزوجة حسين رشدي باشا الفرنسية ، والتي كانت هدى تتخذها المثل الأعلى لها[3] .

هكذا كانت نشأة زعيمة النهضة النسائية في مصر وهكذا كانت حياتها ، وصلات أسرتها ، ومنابع تلقيها وتعلمها ... فكيف يتأتى لها ولأمثالها السمو والحشمة والدعوة إلى الفضيلة ومبادىء الإسلام ؟!.

دورها في المؤتمرات النسائية :

« لقد كانت كذلك اليد اليمنى لصفية زغلول ، والمفكرة المتحررة لنسوة الطليعة الواعية بمصر والبلاد العربية ، وقد استجابت لدعوة المؤتمرات النسوية في الشرق والغرب ، ولما عقد أول مؤتمر دولي للمرأة في روما عام ١٩٢٣م حضرته هدى شعراوي .

---

(١) انظر واقعنا المعاصر ص ٢٥٧ – ٢٥٩ بتصرف يسير .

(٢) عودة الحجاب : ٧٨/١ .

(٣) انظر مذكرات هدى شعراوي ص ٩٦ ، كتاب الهلال سبتمبر ١٩٨١م .

ثم توالت بعدئذ رحلاتها إلى الشرق والغرب لتمثيل نساء بلادها ، رافعة علم مصر بين أعلام الدول الوافدة على المؤتمر ...

وقد التقت في هذا المؤتمر بموسوليني ثلاث مرات ، ثم كونت بعد عودتها من هذا المؤتمر : (الاتحاد النسائي المصري) عام ١٩٢٣م ، ووضعت له الحجر الأساسي في إبريل عام ١٩٢٤م .

وقد حقق هذا الاتحاد بقيادة هدى شعراوي الأهداف التي حرص الاستعمار على الوصول إليها ، وفي مقدمتها : تعديل قوانين الطلاق ، ومنع تعدد الزوجات ، علاوة على المطالبة بحقوق سياسية واجتماعية مزعومة للمرأة .

ثم طالبت أخيراً بالمساواة في الميراث[1] .

وبعد عشرين عاماً من تكوين هذا الاتحاد ، استطاع أذناب الاستعمار تحت مظلة النفوذ الأجنبي ، أن يمهدوا لعقد ما سمي بالمؤتمر النسائي العربي عام ١٩٤٤م وقد حضرته مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة .

وكان هذا المؤتمر قد أثار الرأي العام الإسلامي ، إذ كانت الدوائر الأجنبية في إنجلترا وأمريكا - خاصة - ترحب بهذه الحركة وتهلل لها ... حتى أن حرم الرئيس روزفلت أبرقت إلى المؤتمر بتاريخ (١٧ ديسمبر ١٩٤٤م) البرقية التالية : « يسرني أن تتاح لي فرصة إرسال تحيتي إلى مندوبات الاتحاد النسائي في مختلف بلاد الشرق العربي . والواقع إن نفوذ النساء ليتعاظم ويزداد قوة في مختلف أرجاء العالم ، وإني لواثقة أن النساء العربيات سيقمن بدورهن إلى جانب شقيقاتهن في باقي بلدان العالم أملاً في نشر التفاهم ، والسلم العالمي في المستقبل » .

ولسنا بحاجة إلى ذكر الدور الخطير الذي لعبته هذه السيدة في إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين .... وهذا ما يبين لنا نوع السلام المزعوم ، والذي

---

(١) عودة الحجاب : ١/١١١ ، ١١٢ .

يرمي إلى التسليم بالأمر الواقع في البلاد الإسلامية ، والخضوع التام لاحتلال بلاد العرب المختلفة[1] .

وخلال هذا المؤتمر اتخذت القرارات التي تطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق السياسية وخاصة حق الانتخاب ، ثم تقييد حق الطلاق والحد من سلطة الولي ، وتقييد تعدد الزوجات .

وفي نهاية القرارات كان هنالك اقتراح لتقديم طلب بواسطة رئيسة المؤتمر إلى المجمع اللغوي في القاهرة ، والمجامع العلمية العربية ، بأن تحذف نون النسوة من اللغة العربية[2] .

وليس هذا الاتصال المشبوه بمستغرب ، وما عاد سراً على كل مطلع ، وهاهي شاهدة من القوم تؤكد هذه الصلة :

تقول أمينة السعيد : « كونت هدى شعراوي عام ١٩٢٣م الاتحاد النسائي المصري ...

وقد كان تكوين الاتحاد النسائي مثار اهتمام كبير في الدوائر الأجنبية حتى أن (الدكتورة ريد) رئيسة الاتحاد النسائي الدولي حضرت بنفسها إلى مصر لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية ، ولتناصر هذه الحركة بتصريحاتها التي ترمي إلى إعطاء الحقوق السياسية المزعومة »[3] .

هذه صورة مجملة عن أول زعيمة في الحركة النسائية في مصر والعالم العربي ، ولعل سيرتها تكشف أسرار هذه المؤامرة على المرأة في ديار المسلمين .... واستلمت الراية معها عدد من النسوة أمثال : السيدة صفية زغلول ، والآنسة

---

(١) الحركات النسائية : محمد عطية خميس ص ٨٥ ، ٨٦ من مقال عن صلة الحركات النسائية بالاستعمار : حسين محمد يوسف .

(٢) الحركات النسائية في الشرق والغرب ص ٢٤ عن عودة الحجاب : ١١٣/١ .

(٣) الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار ص ٨٣ : محمد عطية خميس .

سيزا نبراوي ، وأكملت مسيرة هذه الحركة كل من الدكتورة درية شفيق ، وأمينة السعيد .

أما صفية زغلول : فهي ابنة مصطفي فهمي ، وقد تسمّت باسم زوجها سعد زغلول تشبهاً بالإفرنج في نسبة المرأة إلى زوجها .

كان والدها من أشهر أصدقاء الإنجليز ، خلال الاحتلال الإنجليزي لمصر ، إذ كان من المخلصين للمستعمرين ، ومن أقوى العاملين على تحقيق مآربهم ، فقد تسلم رئاسة الوزراء تحت ظل أسياده عدداً من المرات ، وحكم في وزارته الثانية بدعم من كرومر الحاكم العسكري البريطاني ثلاثة عشر عاماً .

تزعمت ابنته صفية مع هدى شعراوي أول مظاهرة نسائية عام ١٩١٩م[1] .

كان ذلك بحجة مشاركة الثورة المصرية التي قامت تندد بالاحتلال الإنجليزي ... وقد أطلق الجنود البريطانيون الرصاص على المتظاهرين .

وفي وسط هذه المظاهرة الجادة ، قامت مظاهرة النسوة هذه ، إذ تجمعت المتظاهرات أمام ثكنات قصر النيل وهتفن ضد الاحتلال ، وبتدبير مسبق ، ودون مقدمات ظاهرة ، خَلَعنَ الحجاب وألقين به في الأرض ، وأشعلن فيه النار ، وتحررت المرأة ؟!!.

ولكن ما علاقة احتلال الإنجليز بخلع الحجاب ؟ إنها مسرحية مفتعلة ، ولكن ما المنطق فيها ؟! لا يوجد منطق واضح ، إلا أن الذي يقوم بعمل تخريبي ضد الإسلام ، ينبغي أن تخلع عليه ألقاب البطولة حتى تنجح المسرحية[2] .

---

(١) انظر الاتجاهات الوطنية : ٣٨٦/٢ ، ط ٢ سنة ١٩٦٨م المطبعة النموذجية في القاهرة ، وانظر مصطفى كامل للرافعي ص ٤١٦ ، عودة الحجاب : ١٠٥/١ .

(٢) انظر واقعنا المعاصر ص ٢٥٧ - ٢٥٩ .

أما الآنسة سيزا نبراوي[1] :

سكرتيرة هدى شعراوي فقد كان لوالدتها صداقة حميمة مع هدى شعراوي تقول في مذكراتها : « وعندما عدت من الخارج حيث عشت حتى بلغت الثامنة عشرة من عمري ، كنت متحررة متحمسة ، ولهذا رفضت لبس البرقع وأصررت على لبس القبعة ، وبحكم الصداقة التي كانت بين والدتي وبين هدى شعراوي ، أخذت تهدىء من ثورتي ، وتقنعني بأن الظروف غير مواتية للحصول على حقوق المرأة مرة واحدة .... »[2] .

ولما تقدم الفنان مصطفى نجيب للزواج منها قالت : إنها لا تستطيع أن ترتبط بحياة ، يكون من حق أحد طرفيها فقط أن يتخلى عن التزامه فيها بالطلاق في أي وقت يشاء ، فتزوجها على أن تكون العصمة في يدها ، ولم يدم الزواج أكثر من أربع سنوات[3] .

وقد اختيرت (سيزا نبراوي) مندوبة عن الاتحاد النسائي ، أثناء مرور غاندي بمصر عائداً إلى الهند من مؤتمر في لندن عام ١٩٣١م ، وطلبت منه أن يوجه كلمة للسيدات المصريات ، فكتب كلمة بالإنجليزية ما ترجمته بالعربية : « أرجو أن تلعب الأخت المصرية نفس الدور الذي تلعبه أخواتها الهنديات في حركة تحرير أراضيهم المحترمة ، لأني أعتقد أن عدم القسوة هو امتياز المرأة »[4] .

درية شفيق ...المرأة الغامضة[5] :

كانت تلميذة وفية من تلميذات لطفي السيد ، رحلت وحدها مجرد تخرجها إلى فرنسا لتحصل على شهادة الدكتوراه ، ثم عادت متشبعة بأفكار فرنسا

---

(١) انظر عودة الحجاب : ١١٧/١ .
(٢) مجلة حواء : ١٩٥٧/١٢/٢١ .
(٣) الأخوات المسلمات ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، دار الدعوة بالأسكندرية .
(٤) مجلة حواء : ٤ أكتوبر ١٩٨٠م .
(٥) انظر عودة الحجاب : ١١٨/١ - ١٢٤ .

والغرب ، وشكلت حزب (بنت النيل) وأخيراً توفيت منتحرة إذ ألقت بنفسها من شقتها في الدور السادس[1] وكان من الأهداف المباشرة لحزب (بنت النيل) كما أوضحتها درية شفيق : منح المرأة حق الاقتراع ، وحق دخول البرلمان ، وإلغاء تعدد الزوجات ... إلى آخر ما تعارف عليه القوم في الغرب ، كانت تريد للمرأة حقاً في الحرية المطلقة من كل قيد .

وقد تبين أن لهذا الحزب صلة قوية بالسفارتين الإنجليزية والأمريكية ، وأنهما كانتا تمدان الحزب بألفين من الجنيهات سنوياً[2] .

وكانت تلك المرأة تصرخ باستمرار وبحدة ، مطالبة بحقوق المرأة في الانتخاب والترشيح ، وضرورة إيجاد نص في القانون يجعل النساء سواسية مع الرجال .

من أجل ذلك قامت حملة من العلماء في مصر ضدها ، مما حمل الزعيمة على الاتصال بالإنجليز مستغيثة ، ثم لجأت إلى مندوب الإذاعة البريطانية في مصر (باتريك سميث) ليرفع إلى بلاده شكوى عميلتهم من الحكومة المصرية ، وقد فعل .

واشتركت في مؤتمر روما ، وسافرت بصحبة مندوبة إنجلترا ومندوبة إسرائيل ، وخلال هذا المؤتمر اتصلت برئيسة وفد إسرائيل ، ونشرت الصحف الأوربية تفاصيل ذلك اللقاء مع أخذ الصور الكثيرة[3] .

وكانت درية شفيق تعتبر أنه من العار : « أن يصوت الطاهي وتحرم من ذلك السيدة التي تستخدمه في منزلها »[4] .

---

(١) جريدة الأخبار : ١٩٨٦/٤/١٢م مصطفى أمين .

(٢) الحركات النسائية في الشرق ص ٢٩ وما بعدها : محمد فهمي عبد الوهاب .

(٣) الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار : محمد فهمي عبد الوهاب ص ٢٨ وما بعدها باختصار .

(٤) عودة الحجاب : ١٢٤/١ .

ويأتي في آخر هذا المسلسل رئيسة تحرير مجلة حواء .

أمينة السعيد[1] :

وقد كانت تلميذة وفية للدكتور طه حسين ، تمكنت من خلال مجلة حواء أن تحرض النساء على النشوز ، والفتيات على التهتك والانحلال .

تلقفت الراية ممن سبقْنها ، إلا أنها تفوقت عليهن في باب التجرد من الآداب والأخلاق الأساسية ، والاستهزاء بشرع الله عز وجل حتى أنها قالت : « كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق ؟! »[2] .

وقالت كذلك مستنكرة : « هل من الإسلام أن ترتدي البنات في الجامعة ملابسهن تغطيهن تماماً ، وتجعلهن كالعفاريت ؟ ... وهل لابد من تكفين البنات بالملابس وهنّ على قيد الحياة حتي لا يرى منها شيء وهي تسير في الشارع »[3] .

وهكذا فإن الحركة النسائية بقياداتها الآنفة الذكر – ومَنْ سار على شاكلتهن في الأقطار العربية والإسلامية – قد خرجن على الأعراف والتقاليد ، بعد أن تحللن من أخلاق الإسلام وآدابه وتكاليفه .

• كان معظمهن قد تلوث بأدران الغرب ودرس في معاهده وجامعاته ، وتمثلن ثقافته وطرائق حياته .

• وكان أكثرهن ينتسب إلى بيوت مشبوهة كرست حياتها لخدمة المستعمر الظالم ، والمنصرين الحاقدين .

• كانت صلة هؤلاء النسوة بالمستعمر ورموزه واضحة جلية ، يمد إليهن يد العون والمساعدة والتوجيه والدعم .

---

(١) انظر عودة الحجاب : ١/١٢٥ – ١٣٠ .

(٢) الأخوات المسلمات ص ٢٦٤ .

(٣) مجلة المصور : ٢٢ يناير ١٩٨٢م ص ٧٥ نقلاً عن عودة الحجاب : ١٢٦/١ .

وتستمر الدوامة عند المتمردات على دينهن بتشجيع من أعداء الإسلام كلما سنحت الفرصة ، تحت مظلة أجنبية مشبوهة .

فهل تعي النسوة في ديار المسلمين أبعاد هذه المؤامرة ؟.

ألا يكفي أنها فكرة غريبة دخيلة حملتها إلينا نسوة من ديار الأعداء .

وبثها رجال رضعوا لبان التحلل في تلك الديار ؟، وذابت شخصياتهم في تبعية وانبهار لبريق جاهلية التيه والضياع .

٣ - دور القيادات السياسية :

كان دور بعض الزعماء في بلاد المسلمين هو تنفيذ الأفكار الهدامة ، التي نادى بها من سموا أنفسهم (أنصار المرأة) ، ثم تطبيقها عن طريق سنّ القوانين الوضعية بقوة الحديد والنار .

كان سعد زغلول : من أوائل من ناصر هذه اللوثة ، رغم أنه متخرج من الأزهر ، فقدْ درس فيه الحقوق ، ثم اتصل برجال تركيا الفتاة ، ثم بالأميرة نازلي التي كانت تؤيد أفكار تركيا الفتاة ، فالتقت بسعد فكرياً ، وعهدت إليه بالإشراف على ممتلكاتها .

وعن طريق منتدى نازلي لمع نجم سعد ، وخاصة عندما مثل أول أدواره السياسية بوصفه صهر مصطفي فهمي باشا رئيس الوزراء المصري ، وأحد المقربين من اللورد كرومر سنة ١٩٠٧م ، ثم عندما أسس حزب الأمة الذي بارك كرومر تكوينه لأنه يرجو أن يحد من النزعة الإسلامية آنذاك[١] .

تنبيه لقاسم أمين :

عندما أصدر قاسم أمين كتابه تحرير المرأة وهوجم بعنف ، واتهم بالكفر بسببه ثم منع من دخول قصر الخديوي بدعوى أنه يدعو إلى الإباحية ، وبعد أن أقفل الناس بيوتهم في وجهه ، واقتحم عدد من الشبان بيته في شارع الهرم ، وطالبوا قاسم أمين أن يسمح لهم أن يجتمعوا مع زوجته على انفراد تطبيقاً لدعوته إلى سفور المرأة .

عندها فتح سعد زغلول له بيته ، ودعاه وزوجته ليتناولا طعام الغداء والعشاء على مائدته ، ومائدة زوجته صفية زغلول ، وأصر أن يخرج في عربته مع قاسم أمين ، ويطوف شوارع العاصمة متحدياً حتى الأصدقاء الذين نصحوه

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية : كارل بروكلمان ص ٧٢٤ ترجمة بنيه أمين فارس ، ومنير البعلبكي - بيروت ١٩٦٨م .

بأن لا يظهر مع قاسم أمين في مكان عام ، وإلا ضربه الناس بالطوب ... وعندما وضع قاسم أمين كتابه الثاني (المرأة الجديدة) ، أهدى هذا الكتاب إلى سعد زغلول صديقه الحميم ونصيره الأول[1] .

دور سعد في هتك الحجاب[2] :

عندما نفت بريطانيا (سعد زغلول) فترة لتعيده زعيماً لمصر ورئيساً للوزراء فيها ، ولتوقيع معاهدة الاحتلال هيىء الجو في الاسكندرية لاستقباله ، وكانوا قد أعدوا سرادقاً للرجال وآخر للنساء المحجبات ، ولكن سعداً نزل من الباخرة متوجهاً إلى سرادق النساء ، ولما دخل على النساء المحجبات استقبلته هدى شعراوي بحجابها .. فمد يده (الآثمة) ونزع الحجاب عن وجهها ، تنفيذاً لخطة مبيتة وهو يضحك فصفقت هدى ، وصفقت النساء لهذا الهتك المشين ونزعن الحجاب ، ومنذ ذلك اليوم أسفرت المرأة المصرية عن وجهها استجابة لرجل الوطنية سعد .

كان مثل هذا الفعل يسبب حرباً شعواء سواء في الجاهلية أو الإسلام ، إلا أن الغيرة قد فقدت ، والحياء قد اختفى .

العلاقة الحميمة بين كرومر وسعد :

قد يعجب القاريء أن يكون رجل الوطنية ورمز المقاومة المفتعلة ، من أشد المعجبين باللورد كرومر الذي حكم مصر بالحديد والنار ، وأن الحاكم المستعمر كان يحتل لدى زعيم الوطنية مكانة عظيمة .

استمع إليه وهو يقول : « كان كرومر يجلس معي الساعة والساعتين ، ويحدثني في مسائل شتى كي أتنوّر منها في حياتي السياسية » ، « وكان يصفه : بأن صفاته قد اتفق الكل علَى كمالها » .

(١) جريدة المساء : الخميس في ٤ أغسطس ١٩٨٣م ، بعنوان هل انتحر محرر المرأة ؟ عن عودة الحجاب : ٤٧/١ ، ٤٨ .

(٢) المرأة المسلمة : وهبي الغاوجي ص ١٨٨ ، مؤسسة الرسالة ، دار القلم بيروت ط ١٣٩٨/٢هـ .

وعندما أعفي كرومر من منصبه قال سعد حزيناً : « أما أنا فكنت كمن تقع ضربة شديدة على رأسه ... لقد امتلأ رأسي أوهاماً ، وقلبي خفقاناً وصدري ضيقاً» . أهكذا يكون زعيم الوطنية في شدة ولائه لعدو بلاده؟! .

لم يغادر كرومر مصر إلا بعد أن اطمأن هادىء البال ، لأنه أقام القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال .

لقد أُنشىء في ذلك العام حزب الأمة ، الذي تحول فيما بعد إلى حزب الوفد .

وقد كان من منهجه التعاون مع الأجانب لإدخال الحضارة الغربية إلى البلاد ، الأمر الذي جعل كرومر يحصر فيه أمله الوحيد في قيام الوطنية المصرية[1] .

ومن دعاة التغريب **لطفي السيد** ، حامل لواء صحيفة الحزب (الجريدة) ، ومن أكبر المؤيدين لهذا الاتجاه يقول أستاذ الجيل ؟! (كما كان يلقب) في جريدته : « إن الإنجليز هم أولياء أمورنا في الوقت الحاضر ، ولا ينبغي أن نحاربهم ونقاومهم ! .

إنما واجبنا أن نتعلم منهم ، ثم نتفاهم معهم بعد ذلك لتصفية ما بيننا من خلافات » .

لقد كانت الخدمة الحقيقية التي قام بها : « تخريج جيل من الزعماء في اتجاهات مختلفة ، من بينهم الشيخ محمد عبده ، وقاسم أمين ، وسعد زغلول ، فهنا تكون الأستاذية الحقة التي تستحق هذا اللقب ، وتستحق التقدير »[2] .

لقد كان أثر الإنجليز في هؤلاء الزعماء واضحاً ومؤسفاً ، وكانت التبعية شديدة والهبوط قوياً .

---

(١) انظر عودة الحجاب : ١/٨٥ ، ٨٦ .

(٢) واقعنا المعاصر ص ٣٠٧ ، ٣٠٩ .

استمع إلى سعد وهو يقول بعد فشل المفاوضات مع الإنجليز « خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز » و « الإنجليز خصوم شرفاء معقولون »[1] .

بمثل هذا الولاء تصنع البطولات المزيفة في تاريخنا الحديث وهؤلاء هم الذين قاموا بأدوار التآمر على أوطانهم وأمتهم .

أما كمال أتاتورك[*]:

فهو رأس التآمر على الإسلام وأهله ، قام بإسقاط الخلافة وقتل العلماء وأهل العلم والصلاح .

« كمال أتاتورك الذي أطاح بالخلافة ، وأراد أن يقطع ما بين الأتراك وبين إسلامهم ، فمنع الأذان باللغة العربية ، وكتب اللغة التركية بالحروف اللاتينية وأمر بخلع الحجاب ، وذبح عدداً من علماء المسلمين »[2] وهو الذي أصدر قراراته عام ١٩٢٦م بإلغاء الزواج الشرعي وجعله مدنياً ، ثم أصدر قانوناً بإلغاء الحجاب للمرأة ومنع تعدد الزوجات ، وأدخل إلى البلاد التعليم المختلط[3] .

وقد أشادت الصحف المأجورة بحركة أتاتورك الإصلاحية – كما يسمونها – فكتبت صحيفة المقتطف عن أحوال تركيا المعاصرة ، مشيدة بالتطور الاجتماعي الذي طرأ على تركيا بسفور النساء ، واشتراكهن في المجتمعات مع الرجال ، ومشاركتهن الشبان في الدراسات الجامعية ، وإنشاء الدور المختلطة التي تضم الشباب من الجنسين ليمارسوا الرياضة[4] .

---

(١) واقعنا المعاصر ص ٣٢٤ .

(*) أفردناه بالذكر بين القادة غير العرب ، بسبب صلة العرب بالخلافة العثمانية ، وأنّ بعض الزعماء العرب اتخذوه قدوة لهم .

(٢) واقعنا المعاصر ص ٢٥٩ .

(٣) انظر معركة الحجاب في تركيا من كتاب عودة الحجاب ص ٢٠٥ ، ٢١٤ ، وانظر : الرجل الصنم الطبعة الأولى ١٩٧٧م .

(٤) عدد نيسان عام ١٩٢٦ م ، وانظر عودة الحجاب ص ٢٠٨ .

وقد حاولت السلطات العسكرية في بلاد الخلافة أن تكمل رسالة أتاتورك ، وتعتبر أن تعاليمه لا يجوز الخروج عليها .

نشرت جريدة (المسلمون) الدولية ، أن السلطات حاولت أن تلزم الدكتورة (نبهة كورد) أستاذة مساعدة في جامعة إيجة في أزمير بخلع حجابها عن رأسها ،ثم منعت بعد ذلك من ممارسة التدريس في الجامعة[1] .

ومن الحوادث المؤلمة في تاريخ جامعة أنقرة أن الطالبة (هايتس بابا كان) في أواخر الستينيات كانت تدرُس الأديان في تلك الجامعة ، ورفضت أن تخلع الحجاب ثم قام الأستاذ (نيست كاجاتي) بطرد الطالبة من قاعة المحاضرات بعد إهانتها بألفاظ غير لائقة ؛ لأنها ترتدي الحجاب ، ثم قام مجلس الكلية بفصلها من الجامعة .

تقول هايتس وهي تتحدث عن ذكرياتها : « إن عميد الكلية حسين غازي ، استدعاني إلى مكتبه وقال لي : إنني أعلم أنك تغطين رأسك وجسمك لأنك غير قادرة على التحكم في غريزتك الجنسية ، ولأنك شاذة جنسياً ، فيجب أن تخجلي من نفسك »[2] .

أين الحرية الشخصية التي يدعيها هؤلاء العلمانيون وينادون بها ؟ أم أن الحرية حريتهم في التفلت من القيم والتقاليد ، والتكاليف الشرعية ؟!.

وفي عام ١٩٦٨م أصدرت حكومة سليمان ديميريل قانوناً يحظر على المدرسات المسلمات ارتداء الحجاب في العمل ، وتم فصل عدد كبير منهن .

وفي عاصمة بني أمية :

في ديار الشام تلك التي كانت تتميز بتقاليدها المحافظة على تعاليم الإسلام ، قامت السلطات بفصل عدد من المدرسات من عملهن عام ١٩٦٧م ، بسبب

---

(١) العدد الثالث والثلاثون السبت ١٣ محرم ١٤٠٦هـ تحت عنوان : الدكتورة نبهة هل تخلع الحجاب بالقوة في تركيا ؟ .

(٢) عودة الحجاب : ٢١٣/١ ، ٢١٤ ، انقلبت الموازين ولكن إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

إصرارهن على لبس الحجاب والجلباب الساتر ، ثم تم إبعاد عدد من التدريس والتوجيه ، ووضعن في دوائر حكومية يختلط فيها الرجال والنساء .

وفي إحدى محافظات القطر السوري ، وفي أشدها محافظة على التقاليد الشرعية وعادات الغيرة ، امتعض مدير التعليم هنالك من لباس إحدى مدرسات الدين لأنه ساتر شرعي ، وزعم المدير المربي ؟!! أن أمعاءه تقطعت بسبب هذا المنظر واللباس الرجعي في دار المعلمات ، ومن ثم تم فصل المدرسة من وظيفتها بقرار من وزير المعارف مصدقاً من رئيس الجمهورية آنذاك عام ١٩٦٧م أيضا .

ثم رفع الحجاب بعد فترة عن رؤوس بعض الفتيات ووجوههن ، بالقوة على أيدي عدد من المجندات (المظلّيات) ، وقد سقط عدد من القتلى بسبب تلك الاعتداءات السافرة .

وفي تونس :

أصدر الحبيب بورقيبة الرئيس التونسي السابق عام ١٩٥٦م قانوناً يمنع تعدد الزوجات ، ويعتبر أن التعدد جنحة يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة سنة ، وبغرامة مالية تقرب من (٢٤٠) ديناراً[١] .

وعندما ضبط أحد الذين تزوجوا ثانية ، وسيق إلى المحكمة ، تبرأ من عمله بأن هذه ليست زوجته الثانية ، وإنما هي خليلته ، فأعفي عنه[٢] .

وهكذا يحاكم السفاح مواطناً مسلماً على أمر مباح مشروع ، ومن ثم يعفو عمن يدعي السِّفاح والزنا ، وللمرتدين في حكم بلادهم عجائب لا تنتهي .

وكانت الصحف قد نقلت عن (زياد بري) رئيس جمهورية الصومال السابق ، أنه أصدر بعض القوانين التي تساوي بين الرجل والمرأة في الميراث ،

---

(١) في حديث لبورقيبة بالأهرام ١٩٧٥/١٢/٣٠م .

(٢) أساليب الغزو الفكري : علي جريشة ومحمد الزيبق ، هامش ص ٨٩ ، دار الاعتصام ١٣٩٨هـ من مقال لشيخ الأزهر .

وتمنع تعدد الزوجات .... وكانت عقوبة الإعدام للمعارضين من العلماء الذين وقفوا في وجهه وتحدوا طغيانه وانحرافه[1] .

وفي حكومة الثورة في مصر :

كان قد وُضعَ (الميثاق) لُيصَدّ به الناس عن القرآن ، وكان مما جاء فيه : « المرأة تتساوى بالرجل ، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرة ، حتى تستطيع أن تشارك الرجل بعمق وإيجابية في صنع الحياة » .

وبوحي من هذه الفلسفة العلمانية صدرت قرارات ، وقوانين تقضي :

١ - بفرض نائبات في مجلس الشعب .
٢ - أن يكون الانتخاب والتصويت إجبارياً على كل أنثى تبلغ الثامنة عشرة من عمرها .
٣ - ثم صدر قانون الأحوال الشخصية الذي خطط له العلمانيون طويلاً ، وتحقق فيه حلم قاسم أمين وأمثاله[1] .

إن جمال عبد الناصر الذي قام بمجزرة ذبح فيها قادة الدعوة الإسلامية في مصر ، هو الذي ألغى المحاكم الشرعية في عهده ، وهو الذي همّ بإلغاء الأزهر وأضاف جرعات جديدة لتحرير المرأة ، قد أضيفت عليه البطولات المصطنعة لإخفاء الجريمة الهائلة التي ارتكبها ضد الإسلام[2] .

وفي جزائر الثورة :

كان من مكملات هذا المسلسل أحمد بن بلاّ الذي جاء ليسرق الثورة الإسلامية - ثورة المليون شهيد - جاء ليحولها إلى ثورة اشتراكية بعيدة عن الإسلام ، قد صنعت له البطولات المزيفة ، ذلك حينما خطف من الطائرة عندما

---

(١) كان ذلك عام ١٩٧٥م .

(٢) انظر عودة الحجاب : ٢١٨/١ .

(٣) انظر واقعنا المعاصر ص ٢٦٠ .

كان متوجهاً من فرنسا إلى الجزائر حتى إذا نضجت اللعبة أطلق سراحه ليقوم بعمله ضد الإسلام .

اعتبر بطلاً عندما دعا المرأة الجزائرية إلى خلع الحجاب ، بحجة عجيبة حين قال : « إن المرأة الجزائرية قد امتنعت عن خلع الحجاب في الماضي ، لأن فرنسا هي التي كانت تدعوها إلى ذلك ! أما اليوم فإني أطالب المرأة الجزائرية بخلع الحجاب من أجل الجزائر »[1] .

وهكذا فقد تضافرت القيادات الفكرية والسياسية ، والحركات النسائية على إخراج المرأة المسلمة من دينها ، وما تزال جادة في ذلك ، وقد ساهم في إفراز هذا التآمر :

١ – هزيمة نفسية ، وصغار شديد أمام ثقافة اليهود والنصارى ، وانبهار بمظاهر حضارتهم المادية ، وتقاليدهم الاجتماعية .

٢ – ولاء لأعداء الله ، وعداء للإسلام وأهله .

٣ – كان الغرب المستعمر ، والشرق الشيوعي يمدان هذه القيادات بالدعم المادي والمعنوي ، وبتشجيعهم للمضي قدما باسم التحرر والتقدمية .

٤ – وجود مخططات مدروسة حاقدة ، كان يأخذ بعضها برقاب بعض .

وما تزال هذه المخططات بوسائلها الخبيثة تحاك ضد ما تبقى من حصوننا في ديار المسلمين ، وداخل بيوتنا ، تحت مظلة الغلبة العسكرية ، أو التقدم الثقافي والاقتصادي .

ولا منجاة لهذه الأمة إلا بتربية جادة صادقة على تعاليم الكتاب والسنة ، وطريق سلف هذه الأمة .

---

(١) واقعنا المعاصر ص ٢٦٠ .

عندها تتعالى الفتاة شامخة بحجابها ، معتزة بدينها تهتف بقولها على لسان عائشة التيمورية[1] :

بيد العفاف أصون عز حجابي	وبعصمتي أعلو على أترابي
وبفكـرة وقّـادة وقـريحة	نقـادة قـد كمـلتْ آدابي
ما ضرني أدبي وحسن تعلمي	إلا بكوني زهرة الألبـاب
ماعاقني خجلي عن العليا ولا	سَدْل الخمار بلمتي ونقابي

ماذا يريد دعاة التغريب ؟! .

سؤال يطرح نفسه ، طالما أثار دعاة التغريب والناعقون باسم تحرير المرأة مجموعة من المطالب والشبهات ، وزعموا أن المرأة الشرقية مهضومة الحقوق متخلفة ، ولابد لها أن تسترد حقوقها لتساهم في ركب الحضارة والتمدن .

ويمكن تلخيص هذه المطالب بما يأتي :

١ - حق العمل خارج المنزل :

زعموا أن منع المرأة من العمل تعطيل لقوة نصف المجتمع ، وتباكوا على هذا التخلف في تعطيل الطاقات ، منطلقين من واقع المرأة الغربية ، متناسين أن الرجال لا يجدون لهم عملاً « والمضحك المبكي أن البلاد المتخلفة تعاني من بطالة حقيقية ، فهناك الملايين من الرجال الذين يبحثون عن عمل فلا يجدونه ، ومع هذا تقام حملات إعلاميه ضخمة تتحدث عن نصف الأمة المشلول ... ونصف الأمة المسجون ... ويطالبون بإخراج المرأة إلى ميادين العمل والإنتاج ، ولا إنتاج هناك »[2] .

وقد أثبتت التجارب أن المرأة المعاصرة شقيت في حياتها ، واستغلت على حساب كرامتها ، وأنها تعيش في مأساة حقيقية .

(١) عودة الحجاب ١٤٩/١ ، عن الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، لزينب بنت يوسف العاملي ص ٣٠٩ .

(٢) عمل المرأة في الميزان : د. محمد علي البار ص ١٢٠ .

بينما أباح لها الإسلام العمل بما يناسب أنوثتها وطبيعة رسالتها ... وقد ناقشنا هذا الموضوع مفصلاً[1] .

٢ – تعديل قوانين الطلاق :

ومنع تعدد الزوجات ثم المساواة في الميراث بين الرجل والمرأة ... وقد فصلنا الحديث في هذه الموضوعات[2] .

٣ – المطالبة بالمساواة :

لم تشعر المرأة المسلمة طوال تاريخها بحاجتها لهذا الطلب بالمساواة ، وإنما طالب دعاة التغريب بحق المرأة في الانتخاب ، وفي ترشيح نفسها لدخول البرلمان ، وبضرورة إيجاد نص يجعل النساء سواسية مع الرجال في هذه الحقوق السياسية .. « وكانت قضية المساواة في أوربا لها ظروفها المحلية ، إذ أن الأصل فيها هو المناداة بالمساواة في الأجور في المعامل ، لأن المرأة كانت تتقاضى نصف أجرة الرجل ، رغم أن ساعات العمل واحدة ، وأن المصنع واحد ...

ثم اتسعت القضية لتصبح قضية مساواة تامة مع الرجل في كل شيء ... كقضية حق المرأة في اختيار شريك حياتها ، ثم حق المرأة في إبداء عواطفها ، وأخيراً حق المرأة في أن تهب نفسها لمن تشاء » .

لقد عملت الجاهلية المعاصرة على (ترجيل المرأة) وإفساد أنوثتها ، وما تزال تنفخ في كيانها باسم المساواة مع الرجل[3] .

وقد أفسدت عليها حياتها بما لا يتناسب مع طبيعتها وتكوينها الجسمي والنفسي ، إلا أنها الهزيمة النفسية ، والتبعية الكاملة .

---

(١) انظر عمل المرأة بين الأمس واليوم ، الباب الثاني من هذا الكتاب .

(٢) انظر الباب الأول من هذا الكتاب : الطلاق وحدوده في الإسلام ، وتعدد الزوجات في الباب الثاني الفصل الرابع .

(٣) انظر واقعنا المعاصر ص ٢٥٥ ، ٥١٢ .

وتؤكد المؤتمرات النسائية على هذه الحقوق المزعومة ، وانتحرت درية شفيق ، وهي ما تزال تصيح وتنادي بهذه الحقوق .

وطالب دعاة العلمانية بالحرية المطلقة للمرأة : فشجعوها على نزع قوامة الرجل ، وصار لها حق الخروج من منزلها متى شاءت ، وكيفما أرادت في مظهرها وحركتها ، وبعبارة موجزة « في خلع لباس الحشمة والحياء معاً » ، ومحادة شريعة الله .

والواقع الملموس للمرأة في ديار الغرب ثم ديار المسلمين خير شاهد على ذلك .

تقول درية شفيق : « إنها تريد للمرأة حقاً في الحرية الحرة المطلقة من كل قيد »[1] .

وهذا يستدعي إسقاط قوامة الرجل على المرأة ، وقد نادوا بذلك ، متناسين أن حق القوامة هو لضبط البيت المسلم ورعاية الأسرة المسلمة والمحافظة على رونق الحياة الزوجية[2] .

وعندما تحررت المرأة الغربية ، ومَنْ قلدها من نساء المسلمين ، عندما أعطيت لها الحرية ، ماذا كانت النتائج التي وصلت إليها ؟ .

ذلك ما يثبته الواقع المرير في مأساة المرأة في هذه الجاهلية .

ويتجاهل هؤلاء أن الإسلام أعطى المرأة حقوقاً لم تنلها في أي نظام آخر[3] .

---

(١) تطور النهضة النسائية ص ٦٠ .

(٢) انظر قوامة الرجل : الباب الثاني من هذا الكتاب ، الفصل الثالث .

(٣) انظر الباب الأول من هذا الكتاب : المرأة في الحياة الأسرية ، والباب الثاني : المرأة في المجتمع .

٤ - المطالبة بخلع الحجاب :

خُدع دعاة التغريب بمظاهر الاختلاط وخلع الحجاب الساتر كما شاهدوا ذلك في ديار الغرب ، فعادوا مفتونين بتلك المظاهر ، منادين بتطبيقها في ديار المسلمين متناسين أن القيم مختلفة والظروف متباينة بيننا وبين سادتهم هنالك .

ثم زعم هؤلاء العلمانيون أن الحجاب ليس من الإسلام وإنما هو عادة وافدة من أمم أخرى ، يقول قاسم أمين : « سيقول قوم إن ما أنشره اليوم بدعة فأقول نعم ! أتيت ببدعة ولكنها ليست في الإسلام ، بل في العوائد وطرق المعاملة التي يحمد طلب الكمال فيها » .

« ويزعم أن الشريعة ليس فيها نص يوجب الحجاب على الطريقة المعهودة ، وإنما هي عادة عرضت لهم من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها ، وأخذوا بها وبالغوا فيها ، وألبسوها لباس الدين ، والدين منها براء »[١] .

ثم تمادى بعد ذلك ليقول : « فقد صح أن الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها في عصرنا »[٢] .

هذه مغالطات كان قد نعق فيها هؤلاء المتآمرون ، ليخرجوا المرأة المسلمة سافرة وقد فعلوا .... والحقيقة التي لا مرية فيها أن الحجاب أمر مفروض شرعاً في الكتاب والسنة ، وقد طبقته المجتمعات الإسلامية خلال القرون الماضية ، وأن الاختلاط بالأجانب محرم شرعاً ، وكذلك السفور حسبما يريده دعاة التغريب .

وللمرأة المسلمة لباسها الشرعي المتميز منذ فجر الدعوة وخلال حياة السلف الصالح[٣] .

وعندما تحول هذا الحجاب إلى عادة بحتة ومجرد تقليد ، لا عن إيمان واع

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ، طبعة محمد زكي بالقاهرة ١٣٤٧هـ ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) المرأة الجديدة : قاسم أمين ص ١٨٣ مطبعة الشعب بمصر ١٩١١م .

(٣) انظر أحكام السفور والحجاب : الفصل الأول من الباب الثاني .

بالأصل الاعتقادي الذي انبثق منه الحجاب ، تمكن الغزو الفكري من إخراج المرأة حاسرة في الطريق ، ولم يصمد أكثر من نصف قرن على المؤامرة ...

فلم يكن الرجل هو الذي فرض الحجاب على المرأة ، حتى تحاول التخلص من هذا الظلم المزعوم ، وإنما الذي فرض الحجاب على المرأة هو خالقها جل وعلا ... فقد كان الحجاب مطبقاً في خير القرون على الإطلاق ، وكان قرين النظافة الخلقية والروحية .

ولكن المقصود من مطالب هؤلاء ، هو نزع الحجاب ، هو السفور هو التبرج ... المطلوب عندهم أن تخرج المرأة عارية في الطريق وذلك ما تطلبه مؤتمرات المبشرين ، وما يطلبه الصليبيون واليهود[١] .

لقد جعل دعاة التغريب مشكلة الحجاب معركة شارك فيها الكتاب والشعراء ، وأُلفت الكتب العديدة لترد على افتراءاتهم ، حتى بلغت الكتب التي يرد فيها أصحابها على قاسم أمين مائة كتاب[٢] .

ومن الشعر الذي يستنكر على قاسم أمين دعوته ، قول أحمد محرم :

أغركِ يا أسماءُ ما ظن قاسم؟! ... أقيمي وراء الخدر فالمرء واهم
سلام على الأخلاق في الشرق كله ... إذا ما استبيحت في الخدور الكرائم
أقاسم لا تقذف بجيشك تبتغي ... بقومك والإسلام ما الله عالم
لنا في كتاب الله مجدٌ مُؤثَّل ... ومُلك على الحِدْثان والدهر دائم
عفا الله عن قوم تمادت ظنونهم ... فلا النهجُ مأمونٌ ولا الرأيُ حازمُ
ألا إن بالإسلام داء مخامـراً ... وإن كتاب الله للدّاء حاسمُ[٣]

---

(١) واقع معاصر ص ١٥٧ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) تطور النهضة النسائية ص ١٢ .

(٣) ديوان أحمد محرم : ٢/٦٣ - ٦٥ .

ومن قذائف الحق في هذه المعركة ما قاله الأديب مصطفى صادق الرافعي من قصيدة يرد فيها على دعاة تحرير المرأة[1] :

دعي عنك قوماً زاحمتهم نساؤهم فكانوا كما حفّ الشرابَ ذبابُ
وما عجبي أنّ النساء ترجلتْ ولكنّ تأنيث الرجال عُجاب

ومن روائع ما قيل في هذه المعركة قول محمد حسن النجمي[2] :

زعم السفور والاختلاط وسيلة للمجد قوم في المجانة أغرقوا
كذبوا متى كان التعرض للخنا شيئاً تعز به الشعوب وتسبق
أيكون كشف السوأتين فضيلة فيذيعها هذا الشباب الأحمق
ليس التمدن أن نرى روح الحيا بيد الخلاعة كل يوم تزهق
لكن العلم اهتدى بضيائه غرب البسيطة حين ضل المشرق

---

(١) ديوان الرافعي : الجزء الثاني ، وعودة الحجاب : ١٩١/١ .

(٢) للشاعر محمد حسن النجمي من كتاب : قولي في المرأة ص ٨٦ — ٨٨ .

المبحث الثاني :

دور الغزو الفكري في المؤامرة

لقد خطط اليهود والنصارى لإفساد المرأة المسلمة لأنها القلعة الحصينة المتبقية أمام غزوهم ، فحاولوا إفساد المرأة من خلال المؤسسات التعليمية ، أو عن طريق وسائل الإعلام المختلفة .

١ - التعليم :

حاول المنصّرون إنشاء مدارس وجامعات في بلاد المسلمين على النمط الغربي العلماني ، في العصر الحديث .

وقد جند هؤلاء المنصّرون (المبشرون) كل قواهم لإخراج المسلمين من دينهم عن طريق التعليم .

يقول المبشر تاكلي : « يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني ، لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية » .

ويرى (زويمر) أن أقصر السبل لإخراج المسلمين عن إسلامهم هو إفساد المرأة[1] .

وكان قد أوصى المبشرين في مؤتمر القاهرة التبشيري ١٩٠٦م بجملة وصايا : كان آخرها : « أنْ لا يقنطوا من نجاح مهمتهم ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وإلى تحرير نسائهم »[2] .

لقد اهتم المبشرون ببناء المدارس والجامعات في بلاد المسلمين ، فكانت

---

(١) زويمر هو رئيس جمعيات التبشير وعقد عدة مؤتمرات لذلك .

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : د. علي جريشة ص ٣٤ .

الجامعة الأمريكية في بيروت ، من أخطر المؤسسات على المسلمين ، وكذلك فروعها في كل من القاهرة وعمان واستانبول .

ولا يقل عنها خطراً الكلية اليسوعية في لبنان، عدا عن العديد من المدارس الابتدائية والثانوية للبنين والبنات ... في أنحاء العالم الإسلامي ، وكان هدفهم الأساسي هو تشكيك المسلمين في دينهم وحضارتهم ، وزرع القيم الغربية الوافدة في نفوس أبنائهم .

لقد خرجت هذه المؤسسات عدداً من القادة العلمانيين حكموا بلادهم في مطلع هذا القرن الميلادي ، وأخص بالذكر الجامعة الأمريكية والكلية اليسوعية والمدارس الأخرى المتناثرة في بلاد الشام .

لقد كانوا أصحاب رسالة أفسدوا الناشئة وكنموذج على ذلك انظر ما نشرته جريدة الحياة تحت عنوان : (حوار الذكريات مع نجاح سلام) المغنية : ذكرت المذكورة أن جدها كان رجل فقه ودين (هو الشيخ عبد الرحمن سلام) ورغم أن والدها كان فناناً من كبار الملحّنين ، إلا أنه كان يردد جملته الشهيرة : « لا أريد ابنتي تروح ، لا على المسرح ولا الإذاعة » .

وتقول : لكن في نهاية كل عام دراسي كانت تقام حفلة ، وكان من الطبيعي أن أغني ، ويعود الفضل في ذلك إلى السيدة الفاضلة (أميلي سرسق) التي كانت راعية مدرسة (زهرة الإحسان ، كانت تحبني وتخصني برعاية مميزة ، وذات يوم طلبت من والدي أن تتبناني ، فقال لها والدي : كيف لي أن أقْبَل وهي وحيدة بين خمسة فتيان ، وفعلاً نفذتُ جانباً من رغبتها ، وبقيت في المدرسة لفترة طويلة ، . كانت ترفض أن تأخذ ما يترتب على والدي من نفقات ، شجعتني كثيراً ، ومنحت لي في نهاية كل عام فرصة تقديم حفلة في المدرسة[1] .

إنهم أصحاب رسالة في التخريب والإفساد ، فهذه امرأة نصرانية في بيروت تجعل من حفيدة رجل الفقه والدين مغنية خليعة .

---

(١) جريدة الحياة العدد : ١٠٣٥٩ ، الأحد ١٦ حزيران ١٩٩١م من أحمد علي الزين : بيروت .

بينما ما تزال مدارسنا الأهلية مع الأسف تتعثر في مشكلات جانبية ، وحسابات مالية تحسب لها كل حساب ، أما تربية الأجيال المؤمنة ، أمّا التضحية والتفاني فاسمعها في المحاضرات والادعاءات ... لقد أراد المبشرون أن يصوغوا الفتاة المسلمة على النمط الغربي الذي تختفي فيه كلمة الحرام والحياء والفضيلة . وما يزال هؤلاء يعدون التقرير تلو التقرير ، والخطة بعد الخطة ... فانظر إلى محاولاتهم المتتابعة في بلاد المسلمين ... يقول القسيس (تروبريدج) في تقرير له في (مؤتمر لكنو) عن الأعمال النسائية : « إن الحكومة في الدولة العثمانية ، سمحت عقب إعلان القانون الأساسي لخمس فتيات عثمانيات مسلمات ، أن يتعلمن في كلية البنات الأمريكية ليتهيأن لإدارة الأمور في مدارس الحكومة للبنات ، كما أن عدداً قليلاً من البنات المسلمات في الولايات يترددن على مدارس إرساليات التبشير ... »[1] .

« ولم يكتف هؤلاء المتآمرون بإنشاء المدارس ، بل اهتمت بعض المؤسسات الأجنبية بالتركيز على المرأة الريفية المسلمة لإفسادها وفرنجتها ، واستئصال حيائها في النهار المبصر »[2] .

« وقد بلغ الهوس الديني بين العاملين في مجال التبشير ، أن صاحت المبشرات في مؤتمر القاهرة التبشيري قائلات : لا سبيل إلا بجلب النساء للمسيح ، إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً ، فكل نشاط مجدٍ للوصول إليهن ، يجب أن يكون أوسع مما بذل حتى الآن .

نحن لا نقترح إيجاد منظمات جديدة ، ولكننا نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل واضعة نصب أعينها هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم الإسلامي كله في هذا الجيل . ألم تقل (آناميلجان) ليس هناك طريق أقصر لهدم الإسلام من السيطرة على قلب المرأة المسلمة ؟! »[3] .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي ص ١٨٢ .

(٢) حصوننا مهددة من داخلها : د. محمد محمد حسين ص ٢٦ .

(٣) الزحف إلى مكة: د. عبد الودود شلبي، الزهراء للإعلام العربي- قسم النشر- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

هكذا كان التركيز على إفساد المرأة شديداً حاقداً في آن واحد في بلاد المسلمين .

واعتمدت الإرساليات المسيحية على التعليم لتحقيق الأهداف التنصيرية عندها .

يقول هنري جب : « إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية ، إنما هو واسطة إلى غاية فقط .

هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح ، وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية؟! ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض ... وخير الجراحين والأطباء ، فإننا لا نتردد حينئذ في أن نقول : إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى مدى علماني محض ... إلى مدى علمي دنيوي . مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات مثل : كمبردج وهارفرد وشيفلد ، لا الجمعيات التبشيرية التي تسعى إلى أهداف روحية فحسب »[1] .

أهداف المنصرين واضحة ، لا يريدون العلم لوجه الله ، تلك علمانية ممقوتة ، وإنما يصرون على تعاليم المسيح – كما يزعمون – ذات الأهداف الروحية .

يريد هؤلاء المنصرون أن ينقلوا أبناء المسلمين من عقيدة التوحيد الصافية إلى عقيدة التثليث والشرك والخرافة . فقد جاء في تقرير جمعية التبشير الإنجليزية في مصر ، وهي تتحدث عن نشاط المبشرين في السودان : « ...إنه أصبح في استطاعة المبشرين في عطبرة أن يطلبوا من التلاميذ الصغار المسلمين أن يصلوا معهم ... وهم يطلبون أيضاً مثل هذا الطلب من المرضى المسلمين في مستشفى أم درمان »[2] .

---

(١) الزحف إلى مكة ، عن حقيقة التبشير ، لواء مهندس أحمد عبد الوهاب ، طبعة مكتبة وهبة القاهرة .

(٢) الغارة على العالم الإسلامي ص ٢٢٢ .

ويستغل المنصرون حاجة هؤلاء المساكين للتعليم والدواء في سبيل إخراجهم عن دينهم ، وأموال المسلمين تضيّع في الترَف ، والله المستعان .

وقد تأثرت المدارس في بلادنا بأساليب التعليم الغربي :

ويأتي على رأس القائمة مصر باعتبارها ركيزة الثقافة الإسلامية ، ثم تركيا باعتبارها مقر الخلافة السابق ، ثم تبعتْ الأقطار الأخرى ، ففي بلاد الشام كانت مدارس التنصير تسير حسب خطط مدروسة ، خرجت عدداً من العلمانيين قادوا بلادهم إلى الهاوية .

وقد تم الانسلاخ من الحجاب والعقيدة الإسلامية والثقافة الشرعية بالتدريج : « فأصبح من المناظر المألوفة في العاصمة المصرية مثلا ، ثم في المدن الأخرى ، أن ترى الأمهات متحجبات والبنات سافرات ، وكانت الأداة العظمى في عملية التحويل هذه هي التعليم من جهة ، والصحافة من جهة أخرى .

واستفاد أعداء الإسلام من الوضع السيىء الذي كان يسود المجتمع الإسلامي تجاه المرأة وتعليمها ، فأثاروها قضية .

لقد سقط الحجاب تدريجياً عن طريق بنات المدارس .

والإسلام لا يمنع المرأة من التعليم جامعياً أو غير جامعي ، بشرط أن تحافظ الفتاة على دينها وأخلاقها ، وعلى وظيفتها الأولى ... وهي رعاية الأسرة وتنشئة الأجيال »[1] .

« لكن المرأة دخلت الجامعة لا لتتعلم فقط ، ولكن لتتحرر ، لتتحرر من الدين والأخلاق والتقاليد .

لقد أُنشئت الجامعة المصرية – جامعة القاهرة – لتكون منبراً حراً يهاجم منه الدين، والأخلاق والتقاليد مهاجمة شفوية وعملية كلما أمكن ... »[2] .

(١،٢) انظر واقعنا المعاصر ص ٢٦١ - ٢٧٢ ، ٢٧٧ .

إن هذا الاتجاه ازداد عمقاً لدى عدد من المبهورين بالغرب ومعطياته ، أمثال لطفي السيد ، الذي حمل على عاتقه الدعوة إلى خروج النساء باسم التحرير ، وها هو يتحدى المسلمين فيُدخل عدداً من الفتيات في الجامعة يختلطن بالطلاب سافرات الوجوه ، ولأول مرة في تاريخ الجامعة المصرية .

وظل أستاذ الجيل (كما كان يسميه أسياده الإنجليز) يروّج لحركة تحرير المرأة على صفحات صحيفته (الجريدة) لسان حزب الأمة .

وكان عضده ونصيره في تلك الخطوة (الدكتور طه حسين) ، فقد أعلن خلال احتفال عام بتكريم أولى خريجات الجامعة في كلمته قائلاً : « لقد ائتمر الجامعيون وقرروا أن يخدعوا الحكومة ... بأن يختلسوا الإذن منها للفتيات بالتعليم العالي في الجامعة المصرية ... وإنه لولا هذه المؤامرة التي اشترك فيها الجامعيون ، وبنوع خاص أحمد لطفي السيد باشا ، وعلي إبراهيم باشا ، وهذا الذي يتحدث إليكم ...

لولا هذه المؤامرة التي دبرناها سراً في غرفة محكمة الإغلاق ، لما أتيح لنا ، ولا للاتحاد النسائي أن أقدم إليكم الآن محامية مصرية ، وأديبات مصريات ... »[1] .

ثم خطط (دنلوب) لإفساد مناهج التعليم :

وأشرف على تنفيذ هذه الخطط بكل دقة سعد زغلول ، الذي عين وزيراً للمعارف آنذاك .

يقول كرومر عن تعيينه لسعد زغلول في هذا المنصب ، في تقريره المقدم للبرلمان الإنجليزي في أبريل سنة ١٩٠٧م ، بعد كلام طويل وصف في ختامه المدرسة الفكرية ، التي ينتمي سعد إليها ، والتي سماها على سبيل الاختصار

---

(١) المرأة المصرية : لدرية شفيق ص ١٥٣ ، ٢٦٧ عن حواء : العدد : ١٢٥٥/ ١١ أكتوبر ١٩٨٠م ، وانظر عودة الحجاب : ٧٥/١ .

(مدرسة الشيخ محمد عبده) بأن : « برنامجها يقوم على التعاون مع الأوربيين – لا معارضتهم – في إدخال المدنية الأوربية إلى بلادهم » ، « ونصح بأن يمنحوا كل تشجيع ممكن ... ثم يقول كرومر بعد ذلك : إن اختيار سعد زغلول لمنصب وزير المعارف ليس إلا تنفيذاً لسياسة ترمي إلى تأييد هذه المدرسة ، ووضع مقاليد السلطة في يدها »[1] .

هكذا يضع المناهج خريج إحدى المدارس اللاهوتية ، وينفذها خريج الأزهر ، وزير المعارف ، بتخطيط الحاكم البريطاني المستعمر .

ومن هنا كان دور سعد وزوجته في تبني ما يسمى بتحرير المرأة .

وماذا كانت النتائج بعد هذا التحول نحو العلمانية في تعليم البنين والبنات ؟! .

تخرجت أجيال جاهلة بدينها ، تستهين بالاختلاط المشين بين الفتيان والفتيات ، تنهج المرأة في حياتها منهج المرأة الغربية في حياتها ، وكان من آثار هذه المناهج فشل كثير من الطلاب والطالبات نتيجة ما لديهم من مثيرات ...

وارتفاع الحياء ، وشيوع الانحلال ، ووقوع الفاحشة ، وواقع الجامعات والمدارس المختلطة ومعسكرات الفتوة المختلطة بين الجنسين ، والأسفار والرحلات الجامعية المختلطة كذلك لا يحتاج إلى دليل ، والمناظر الخليعة بل والعري الفاجر أصبح كل هذا مألوفاً مع كل أسف في أكثر ديار المسلمين .

ولذلك ظهر اتجاه جديد مؤخراً ، يدعو إلى الفصل بين الطلاب والطالبات حتى في ديار الغرب ، وفي جميع مراحل التعليم .

ويبقى للإسلام مناهجه المتميزة في تعليم المرأة بعيداً عن الاختلاط ، بعيداً عن المثيرات ، تكسو الفتاة حلة ساترة وحجابٌ مهيب ، تسير والحياء يجللها ، والفضيلة رائدها ضمن مجتمعات الطهر والفضيلة .

---

(١) واقعنا المعاصر ص ٣١٢ .

هذا ما كانت عليه مجتمعات المسلمين ..[1] وها هي المدارس والجامعات أضحت تزخر بالطلبة المؤمنين ، والفتيات المؤمنات يحافظن على زيهن الإسلامي ، ولو أدى بهن إلى طردهن من المدارس والجامعات .

إنه الأمل المنشود في العودة الجادة إلى عقيدة هذه الأمة ، وطهر مجتمعاتها والحياء لدى فتياتها ، إنها الصحوة المباركة ، بعد أن تعرت خيوط المؤامرة ، والمتآمرين على المرأة في ديار المسلمين .

(١) انظر تعليم المرأة في ظلال الإسلام : في الباب الثاني من هذا الكتاب .

٢ – دور وسائل الإعلام .

أصبح الإعلام يؤدي وظيفة من أخطر الوظائف في العصر الحديث ... وقد تمكنت الصليبية والشيوعية واليهود من توظيف وسائل الإعلام على أكثر من صعيد هنا وهناك ... بل أقامت لها مؤسسات إعلامية في أنحاء العالم ، تمولها وتحركها كيف شاءت .

يشترك في ذلك كله الإذاعة والتلفزيون والصحافة والسينما والمسرح[١] .

وكان من أكثر وسائل الإعلام انتشاراً وأقدمها ظهوراً **الصحافة** .

إذ قامت الصحافة بأخطر الأدوار ، وكانت مصر في نظر المخططين هي مركز التوجيه الروحي والثقافي بسبب موقعها الجغرافي ومكانتها التاريخية ، وبسبب وجود الأزهر فيها .

فركز عليها المخططون من الأعداء ، لأنه إذا أمكن إفسادها من الناحية الإسلامية ... سيكون ذلك أفعل من الإفساد لو جاء وعليه خاتم لندن أو باريس !! .

لذلك لا نعجب كثيراً إذا علمنا بوجود ثلاث مؤسسات صحفية كبيرة ، لبنانية مسيحية مارونية في القاهرة ! فوجود هذه الدور الصحفية الثلاث : دار الأهرام لآل تقلا ، ودار الهلال لآل زيدان ، ودار المقطم لآل صروف هو نتيجة توجيه صليبي عالمي ، لا مجرد انبعاث صليبي ذاتي ، ولا توافق خواطر بين أصحاب هذه الدور الثلاث .

وأياً كان المنبع فالمصب واحد ، والتخطيط واحد ، والأهداف واحدة[٢] .

---

(١) الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون : مروان كجك ص ٣٧ – ٣٩ نشر وتوزيع دار الكلمة الطيبة – القاهرة : ط ٣ ، ١٤١٠هـ .

(٢) واقعنا المعاصر ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

لقد أولت الصحافة اليومية والأسبوعية اهتماماً كبيراً بالمرأة ، وظهرت صحف متخصصة بقضاياها ، وكانت تعتمد خلال ذلك على مفاهيم مضللة عن حرية المرأة وعملها من خلال مفاهيم الغرب وقيمه .

ولعل مجلتي (حواء) و (الشرقية) كانتا أشد المجلات عنفاً وجرأة في هذا المجال ، ولا يقل عنهما مجلة المصور وصباح الخير وسيدتي والنهضة ، في نشر الصور الخليعة والكلمة الفاجرة .

ثم حرصت هذه الصحافة على تغيير العرف الإسلامي العام في مجال الأسرة والمرأة ، مستهدفة تحطيم ذلك الحاجز القوي الذي أقامه الإسلام على أساس المحافظة على العرض والشرف والخلق المستقيم ...[1] .

وطبيعي أن معظم هذه الصحف – في مصر – لم تقف الموقف المحايد وهي نصرانية ، ذلك أنها كانت تعرض الحضارة الغربية ، وتدافع عنها دفاع المستميت رغم سقطاتها وانحرافاتها ...

فظلت الصحافة المصرية – اللبنانية المسيحية المارونية – تتحدث عن البغاء مثلاً ، وعن كونه (ضرورة اجتماعية) في (العالم المتحضر) عشرات السنين قبل أن تكون في العالم الإسلامي كله مشكلة تدعو إلى وجوده ولا إلى الحديث عنه .

كان المراد إذن تذويب الحس الإسلامي الذي ينفر من الفاحشة ، ومن التعالن بها بعد أن نحيت الشريعة التي تمنع البغاء وتعاقب عليه .

هذا مجرد نموذج يمكن أن يُقاس عليه كل ما يسمى (بالقضايا التقدمية) الأخرى ، كالاختلاط والعلاقات الحرة ، وما يسمى (بقضية المرأة) ...إلخ[2] .

ويمكن أن تقاس الصحافة في بقية الأقطار العربية على هذا النموذج ، ولا سيما لبنان بصحفها ومجلاتها ، ولا تنس النوع الهابط منها ، إذ كانت الأرصفة

---

(١) انظر عودة الحجاب : ١٣٥/١ ، ١٣٦ .

(٢) انظر واقعنا المعاصر ص ٢٤٣ – ٢٤٥ .

مملوءة بالكتيبات الصغيرة ، وهي تعج بالصور العارية والكلمات الجنسية الرخيصة .

وقل مثل ذلك في الكويت وتونس و ... كل البلدان المفتوحة على الغرب .

« وقد ركزت عدسة الصحافة على الفتاة الجامعية وهي تشق طريقها (الصاعد) الذي تدوس فيه كل المقدسات كي تصل إلى النور ، وكان من بين ما حرصت عليه تلك الصحافة إبراز ما يسمى بالروح الجامعية .

ويعني ذلك ممارسة الاختلاط بما يرافقه من تحرر وانطلاق .

شيئان ينبغي أن تُحرر منهما الفتاة الجامعية (في نظرهم) غض البصر والحياء »[1] .

ثم تجرأ عدد من كتاب الصحافة على مهاجمة القيم والأخلاق بشكل سافر ، ودعوا بعدها صراحة إلى تقليد جامعات أوربا ، فكتب أنيس منصور في إحدى مقالاته في أخبار اليوم : « أنه زار إحدى جامعات ألمانيا ، ورأى هناك الأولاد والبنات أزواجاً أزواجاً مستلقين على الحشائش في فناء الجامعة .

قال : فقلت في نفسي ، متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط ، كي تراه عيون أهل الصعيد وتتعود عليه ! » .

هذا وغيره ، فضلاً عن آلاف بل ملايين الصور العارية ، والأغاني العارية والنكت العارية ، التي تملأ الصحف والمجلات ، والإذاعة والسينما والتلفزيون ... وآلاف بل ملايين الأجساد العارية في كل مكان ... فضلاً عن التفاهة التي تشيعها السينما والإذاعة والتلفزيون في نفوس مشاهديها ومستمعيها ... التفاهة التي لا تجعل النفوس تتجه لشيء جاد .. فضلاً عن أن تتجه لله واليوم الآخر أو للجهاد في سبيل الله »[2] .

(١ - ٢) انظر واقعنا المعاصر ٢٨٧ - ٢٩٠ و٢٩٤ ، ٢٩٥ .

لقد استمرت الصحافة تدعو إلى السفور والتحلل صراحة ، يحررها سفوريون أو ممن انضم إليهم من أمثال الدكتور (محمد حسين هيكل) صاحب جريدة (السياسة) وبعض كتاب مجلة (الهلال) وغيرهم ، بل رسمت الصحافة صورة المرأة المثالية ، التي يجب أن تتمثلها المرأة المصرية وهي نفسها صورة المرأة الأوربية في ذلك الوقت .

يقول أحد الكتاب : « المرأة الأوربية ، عندها واجبان مقدسان : بيتها ووطنها ، وبين الواجبين تخص بساعة نفسها ، فتحضر (حفل موسيقي) ، أو تدعو أصحابها لليلة راقصة ، ولا تنسى أنْ تقف أمام المرآة لتزين حالها ، فتتذكر دائماً أنها امرأة ، إنها في نظري مثال المرأة الأعلى ، ويحسن بالمرأة الشرقية أن تقتبس عنها كل شيء »[1] .

أثر التلفزيون والفيديو :

كان لهذين الجهازين أثر خطير في توجيه الناشئة إذ أصبح التلفزيون يزاحم المؤسسات التربوية التقليدية ، كالأسرة والمدرسة في توجيه النشء ، وإنّ ما يعرض عادة لا يعدو أن يكون صوراً لا تشبع نهماً ولا تروي صادياً ، بل تزيد من غلواء الجنس وتضرم ناره[2] .

والأم نفسها قد شُوهت صورتها من خلال وسائل الإعلام ، وعلى رأسها التلفزيون والسينما فمعظم الأفلام والمسلسلات تظهر المرأة بصورة تتنافى مع الواقع مثل : الراقصة وبائعة الهوى ، وتاجرة المخدرات ، والخادمة التي تتزوج رب الأسرة ، والصغيرة التي تحب من هو في سن أبيها ، ... وقد ثبت للعلماء أن التلفزيون والسينما يدعوان الشباب صراحة إلى الحب والغزل والتدخين وشرب الخمر ... إلخ[3] .

---

(١) المؤامرة على المرأة المسلمة ص ١٤ ، وانظر عودة الحجاب : ٧٨/١ .

(٢) انظر الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون ، دار الكلمة الطيبة القاهرة : ط ٣ ص ٨٨ ، ٩١ ، ص ١٤١ .

(٣) الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون ص ٢٠٨ .

والحياة الزوجية تدهورت بسبب هاتين الأداتين فكم من خلاف قام بين الزوجين بسبب برامج التلفزيون وأفلام الفيديو ، وكم تحول التلفزيون والفيديو بأزواج من سمات الطهر والحياء إلى صفات الدناءة والوقاحة .

فالبرامج التلفزيونية قد تجعل من الخيانة الزوجية أمراً عادياً وحلاً عادلاً منصفاً ، ووسيلة حضارية مقبولة ، فلا ترى فيها فسوقاً ولا فجوراً ، وإنما هي في نظرها قضايا شخصية بحتة ينبغي ألا ينظر إليها بمنظار الاستنكار والاستهجان .

لقد شاركنا التلفزيون في توجيه أبنائنا بغرس المفاهيم والعقائد المغايرة لعقائدنا وتاريخنا[1] .

ولا يقل أثر السينما عن التلفزيون ، وإنما عم شرها بعرض الأفلام الخليعة والجنس الهابط .

وصناعة السينما أصلاً صناعة يهودية يتحكم فيها اليهود وخاصة في أمريكا حالياً ، وأصبح شرها عاماً ، وقد أشارت مخططات اليهود لذلك .

ويمكن تبيان **مخاطر وسائل الإعلام** (وخاصة الصحافة) ، وإيضاح مفاسدها للمرأة المسلمة في ميادينها المختلفة بما يأتي[2] .

١ – إشاعة التبرج الصارخ ، والتمرد على الفطرة من خلال قنوات الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية ، والسينما والمسرح والقصة وغيرها ، ثم الإفاضة في شأن الموديلات والسهرات ومسابقات الجمال ، وأخبار الفاسقات من الممثلات والراقصات .

٢ – التركيز على دمج الرجولة في الأنوثة والعكس ، وإلباس الرجل ثياب المرأة ، والمرأة ثياب الرجل .

---

(١) السابق ص ١٦٣ – ١٦٩ مختارات متفرقة .

(٢) انظر عودة الحجاب : ١٣٨/١ – ١٤٢ بإيجاز .

وذلك يتعارض مع حكمة الإسلام في ضرورة الفصل الدقيق بين الرجل والمرأة .

٣ - تستهدف الصحافة من وراء نشر عشرات الحوادث المخلّة والإغراء بها ، وكذا ما تنقله عن المجتمعات الغربية ، تستهدف أن تبدو العلاقة المحرمة في نظر الناس سهلة يسيرة بل ومقبولة .

ويحاول بعض الصحفيين الإيحاء بين الناس أن الشرف والفضيلة والعرض ، كلها مسائل تافهة لا يتمسك بها إلا السذج والبسطاء والرجعيون .

ومن هنا تجد التصريحات الفاضحة بلا وجل ولا حياء . تقول أمينة السعيد : « الحرية الجنسية في البلاد الأخرى طاغية في خطابات القراء عندهم ، فإذا وجدوا بنتاً معقدة شجعوها أن تنطلق جنسياً ؟! وتمارس حياتها بلا حدود .

وعندنا البنت عندما تخطىء تكاد تقتل نفسها . هناك يقولون : إنها إحدى تجارب الحياة ، ستتعلمين منها ، واحترسي في المرة القادمة .

وإذا كانت حاملاً دون زواج يقولون : « وماله ؟! أعط الطفل أمومتك وربيه ، وواجهي به المجتمع ، يعني شيء مختلف لا يمكن أن يسري عندنا »[1] .

هكذا تفتي أمينة السعيد لبنات جنسها ممن هن على شاكلتها ، باقتراف الجريمة والسقوط في الرذيلة ، ثم تهوين هذا السقوط على أنفسهنّ .

وجاء في مجلة صباح الخير : « إن نظام الزواج في وطننا العربي هو نظام مضحك يدعو إلى السخرية ، مهر وعقد ، مظاهر جوفاء تقتل فيها الإرادة ، وتقتل المشاعر الإنسانية »[2] .

دعوة سافرة للإباحية الهابطة ، غاب عنها صوت الحق ، وسياط الردع ، وبذلك تشتغل بعض الصحف الماجنة ، والمجلات الخليعة .

---

(١) المصور : العدد : ٣١٣٩ تاريخ ٧ ديسمبر ١٩٨٤م .

(٢) عن مجلة الجامعة الإسلامية : ١٣٩٥ / ١٣٩٦هـ ص ١٢٨ ، وعودة الحجاب : ١٣٩/١ .

٤ – دعوة الصحافة وبقية وسائل الإعلام ، إلى إغراء المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل ، باعتبار أن انتشار هذه الحبوب بلا رقابة من شأنه أن يشيع الفاحشة وفي ذلك هدم الأسر والترويج للحرام .

٥ – الاهتمام البالغ بالموضة ، وخاصة في الصحافة النسوية .

يقول أحد الباحثين : « إن المجتمع يدفع المرأة إلى الجنون ، ففي كل دقيقة تظهر موضة جديدة ، وفي كل لحظة هناك منتجات ظهرت خصيصاً للمرأة ، وتجد المرأة نفسها منجذبة نحو هذا التيار الجارف من المعروضات لدرجة تكاد تدفعها إلى الجنون ، إنها تريد أن تجرب كل شيء ، وتشتري كل شيء ، وعندما لا تستطيع تصاب بعقدة » .

« فالمرأة المؤمنة متزنة ، تقدر المسؤولية ، وعندما يفقد هذا الوازع ، تخضع لكل المؤثرات الدنوية .

يقول علماء النفس : « إن المرأة التي ليس لها رصيد من القناعة ، يصبح لها رصيد من العُقد ، فهناك الآف من الأشياء التي تجذب المرأة إليها ، والتي تجعلها تفقد الاهتمام بزوجها .

والحل أن تلزم المرأة التوازن ، وتزن الأمور حتى لا تصبح فريسة للضياع في بحر من العُقد »[1] .

٦ – ومن أخطر ما تبنته الصحافة ، رفع قدر الممثلات والراقصات والمغنيات ، وجعلهن مثلاً أعلى للفتاة في المأكل والملبس والعادات والتقاليد .

والذي يتابع وسائل الإعلام الحالية يجد أنها تسلط الأضواء على هؤلاء ، ولا تلتفت إلى رفع أصحاب القدر والفضل والخلق القويم . مقاييس مهزوزة ، وموازين معكوسة ، هي التي تعتمد عليها وسائل الإعلام المأجورة .

---

(١) عودة الحجاب : ١٤٠/١ .

وهكذا دأبت القوى المعادية تتآمر على المرأة المسلمة ، والأسرة المسلمة ، خلال عشرات السنين ، وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي ، مستهدفة إخراج هذه المرأة من دينها ، وخلع حجابها وخفرها ، لتقتدي بالمرأة الغربية تمرداً وتحللاً وانطلاقاً .

لقد تعاونت القوى الفكرية المتأثرة ببريق معطيات الغرب ، وأحقاد اليهود والنصارى مع الحركات النسائية بتمردها وتأثرها ببيئة أوربا خلال الدراسة أو المعايشة ، والقوى السياسية ذات القرار في محاولات التغيير .

كان ذلك على مستوي الغزو الداخلي أما الغزو الخارجي ، الغزو الفكري ، فقد تمثل بهجوم المنصّرين على ديار المسلمين عن طريق المؤسسات التعليمية : المدارس والجامعات ، والمناهج وطرق التدريس ... والمستشفيات .

يشاطرهم في الإفساد اليهود ، وخاصة في وسائل الإعلام المختلفة .

قرابة قرن من الزمان والمؤامرة تحطم حصون أسرنا المسلمة ، حتى وصلت الأمور إلى ما هي عليه الآن ، من صراع بين قوى الخير والفضيلة في داخل بلادنا ، وقوى العلمانية والتغريب مستمدة العون من ديار العدو المتربص .

والله غالب على أمره ، والعاقبة للمتقين

الفصـل الثاني

مأساة المرأة في الجاهلية المعاصرة

المبحث الأول :

● دور اليهود في إفساد المرأة .

المبحث الثاني :

● صور من مأساة المرأة المعاصرة :

١ – تمزق روابط الأسرة .

٢ – القلق والاضطراب .

٣ – شيوع الرذيلة ، وإعلان المجون في شريعة الغاب الجديدة .

تمهيـد :

في الفصل السابق حاولنا أن نكشف عن دور المتآمرين على المرأة المسلمة ، أولئك الذين حاولوا أن يبعدوها عن دينها وحجابها باسم التحرر والتقدم .

وعرفنا كيف وقفت ابنة العقيدة تذب عن دينها محافظة على سترها وخفرها ، ولو أدى بها ذلك إلى العنت والمشقة ، رغم كثرة الاستفزاز والمضايقات .

كان ذلك صراعاً عقدياً بين المؤمنين والمؤمنات من جهة ، وبين رموز الجاهلية والعلمانية من جهة أخرى ، هذا الصراع الذي هو سمة من سمات جهاد المؤمنين والمؤمنات في كل العصور ضد الظلم والطغيان والانحراف .

ونود في هذا الفصل أن نركز على دور اليهود في إفساد أوربا، وإفساد المرأة فيها بشكل خاص ، وقد تسللوا عن طريق قوة الاستعمار ، ووسائله العسكرية والثقافية إلى بقية العالم محاولين إفساده ، والإجهاز على قيمه وأخلاقه .

وأن نوضح ما تعانيه المرأة في ديار الغرب ، ذلك أنها تعيش في مأساة حقيقية ، يمزقها القلق وتقتلها الحيرة خلال تدبير معيشة نفسها ومن تعول ، وضياع كرامتها والاعتداء على شرفها وعفافها راضية أو كارهة .

مما سنوضحه في الصفحات القادمة إن شاء الله ، متوخين أن يفيق المخدوعون ببريق الحضارة الزائفة ، خلال تقديم صورة مجملة عن حقائق حياة أولئك الناس ومآسيهم ، والعاقل من اتعظ بغيره .

المبحث الأول : دور اليهود في إفساد المرأة .

لقد بدأ اليهود جولتهم بإفساد أوربا ، ثم نشروا الفساد في الأرض كلها عن طريق أوربا ... ففي القرون الثلاثة الأخيرة كانت القوة السياسية العسكرية والعلمية والمادية لأوربا في تزايد مستمر ... وكانت قوتها تسيطر على العالم كله ، والعالم الإسلامي خاصة .

ومن خلال هذه السيطرة نشر اليهود سمومهم فشملت الأمميين جميعاً – إلا من رحم ربك – وأدخلتهم في المخطط الشرير الذي يحدد التلمود أهدافه ووسائله .

ثم أدى علماء اليهود دوراً خطيراً في توهين عرى الدين والأخلاق والتقاليد .

قام بهذا الدور ماركس وداورن وفرويد ، ثم قامت عصابات أخرى بعملية لا تقل خطورة عما سبق ، وذلك بإقامة مجتمع في عالم الواقع منسلخ من الدين والأخلاق والتقاليد ... فساهموا في إقامة المجتمع الصناعي حسب أهوائهم وشرورهم ، وسخروا وسائل الإعلام لتحقيق ما يريدون[1] .

وليكن واضحاً أن اليهود لا ينشئون الأحداث كما يزعمون لأنفسهم ، وكما يتوهم الذين تبهرهم سيطرة اليهود في الوقت الحاضر .

ولكن لا شك أنهم يجيدون انتهاز الفرص ، واستغلالها لتنفيذ مخططهم الشرير .

لقد كرهتهم الأمم كلها لخصالهم تلك ، فانطووا على أنفسهم ، يملأ نفوسهم الحقد الدفين على الأمم كلها ، يريدون أن يقضوا على كل شعوب الأرض ليبقوا هم وحدهم ، أو يريدون أن يستعبدوا الأمم كلها ويسخروها

(١) انظر مذاهب فكرية معاصرة : للأستاذ محمد قطب ص ١٦٦ ، ١١٩ .

لمصالحهم[1] فهم يتاجرون بأعراض الآخرين ، لأنها رخيصة في نظرهم « إن تجارة البغاء بالأجنبي والأجنبية ليست إثماً ، لأن الشريعة براء منهما »[2] .

فاليهود يسعون أبداً إلى نشر الفساد في الأرض ، الفساد العقدي والخلقي وكل أنواع الفساد قال تعالى عنهم : ﴿ **ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين** ﴾ [المائدة : ٦٤] ذلك أن الفجور من طبيعتهم ، وهذه توراتهم المحرفة تنسب إليهم الفجور والزنا ، حتى أنهم أقحموا الأنبياء وأزواجهم معهم ، ليأخذوا الشرعية لأعمالهم القبيحة .

ففي سفر أرمياء وصف لتكالب القوم على الزنا والفواحش : « كيف أصفح لك عن هذه ، بنوك تركوني ، وحلفوا بما ليست إله ، ولما أشبعتهم ، صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه »[3] .

ولم يكتف اليهود بالترويج الإعلامي للخلاعة والمجون ، بل توجهوا للممارسة الفعلية لكل أنواع الانحراف الخلقي ، فأخذت دور البغاء والدعارة في العالم الصفة القانونية من خلال تصاريح خاصة .

يقول الأستاذ علي إمام عطية : « لو أننا بحثنا بحثاً دقيقاً مدعماً بالإحصاءات لوجدنا أن مديري الأندية الخاصة باللهو والميسر والدعارة في كل مملكة من الممالك ، أو قطر من الأقطار في العالم بأسره هم من اليهود والصهاينة »[4] .

أما التلمود فلا يقل عن التوارة المحرفة في هذه الموبقات ، ذلك أن السعار الجنسي الذي يجتاح العالم ، ما هو إلا من فعل اليهود الذين روجوا لهذه السموم ونشروها من خلال بيوت الدعارة في العالم ، ومن خلال اللباس الفاضح ، والمجلات الداعرة ، والأشرطة العفنة ، والقصة الماجنة والقصيدة الخليعة ، وغير

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص ٧٩ .

(٢) همجية التعاليم الصهيونية : بولس حنا سعد ، دار الكتاب العربي بيروت ص ١٧٣ .

(٣) أرمياء ٥ ، ٧ ، ٩ .

(٤) الصهيونية العالمية وأرض الميعاد : علي إمام عطية ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ط القاهرة ١٣٨٣هـ .

ذلك مما لا يمكن حصره ، ولا يقف وراء هذه الأمور إلا نفوس تأصل فيها الانحراف ونشر الرذيلة[1] .

وبذلك نلاحظ أن طبيعة اليهود ، وتراثهم المحرف ، كل ذلك قد ساهم في إفساد أوربا ، ثم إفساد العالم بعد ذلك .

وسوف نلاحظ أنهم ما تركوا وسيلة إلا اتبعوها .

نشرهم للفساد باسم النظريات العلمية :

قام اليهود بتحطيم الأخلاق ، فأشاعوا الفوضى الجنسية ، وحاربوا قيود العفة التي تحول بينهم وبين تنفيذ مخططاتهم الواسعة .

وقد اعتمدوا على تضليل الناس باسم النظريات العلمية ، سواء في الاقتصاد أو التاريخ كالحتمية التاريخية لدى ماركس ، أو باسم علم الاجتماع (دور كايم) أو علم النفس ... وهكذا .

جاء في البروتوكول الثاني : « لا تتصوروا تصريحاتنا كلمات جوفاء ، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشة قد رتبناه من قبل ، ومن هنا جاء فيلسوفهم **ماركس** ليقول : إن قضية العفة إنما أخذت أهميتها من أنانية الرجل في المجتمع الزراعي المتأخر ... ثم وضع عليها وسم الدين والأخلاق خدمة لأنانيته »[2] .

وقام اليهود بتحطيم الأسرة ، لأنها أحد القيود التي تمنع التحلل الخلقي ، أو تبطىء عجلته .

يقول البروتوكول العاشر : « فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية ، فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأمميين ، وتفسد أهميتها »[3] .

---

(١) أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود : عطا الله بخيت المعايطة ، رسالة ماجستير من أم القرى ١٤٠٩هـ .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) البروتوكولات ص ١٣٦ العاشر .

أما دور كايم فهو عالم اجتماع يهودي فرنسي ، عزا إلى العقل المشترك للمجتمع أصل الدين والأخلاق .

ويقول في تبجح الملاحدة : « إنه لا يمكن إثبات شيء من القيم على الإطلاق ، لا الدين ولا الأخلاق ، ولا التقاليد !.

كان المظنون أن الدين والزواج والأسرة هي أشياء من الفطرة ، ولكن التاريخ يوقفنا على أن هذه النزعات ليست فطرية في الإنسان »[1] .

من هنا أفسد علم الاجتماع منذ نشأته ، وأصبح معادياً للدين ، وذلك أمر مسلم به عند علماء الاجتماع في الغرب ، وفي العالم العربي[2] .

ويأتي دور فرويد :

ذلك اليهودي النمساوي الذي حطم الأخلاق ، بأسلوب يزعم أنه علمي يعتمد على علم النفس .

لقد اعتنى به والده عناية خاصة ، فرباه على التعصب لليهودية ، وأهدى إليه نسخة من التوارة كان يقرأ فيها وهو في سن السابعة ... وكان فرويد على علاقة حميمة بهرتزل مؤسس الصهيونية ، تلك العلاقة القائمة على أساس خدمة اليهود في جميع المجالات .

والخطورة في مذهب فرويد ، أنه يرجع القيم العليا والدين إلى الشهوة الجنسية[3] .

وخلاصة نظرية فرويد : أن الطفل يولد بطاقة جنسية ، فتسيطر عليه – منذ لحظة مولده – ثم ينمو الصبي فيحس تلقاء أمه بشهوة جنسية ، ولكنه يجد

---

(١) مذاهب فكرية : محمد قطب ص ١١٧ .

(٢) انظر علماء الاجتماع والعداء للدين وللصحوة الإسلامية . مجلة البيان من العدد ٤١ – ٤٥ د. أحمد إبراهيم خضر .

(٣) أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود ص ٤٤٢ – ٤٤٥ .

أباه حائلاً بينه وبين الاستيلاء على الأم التي يشعر نحوها بتلك الشهوة الجنسية ، فيكره أباه الذي يحبه في ذات الوقت .

ويصطرع الحب والكره اللذان يحس بهما في آن واحد تجاه الأب .. إلخ .

ويعتبر فرويد : أن الأخلاق كوابت تكبت المنطلق الطبيعي للطاقة الجنسية ، بل إنها تتسم بطابع القسوة حتى في صورتها العادية .

فأي معول أشد تحطيماً للأخلاق من دعوة العالم النفساني الكبير للأولاد والبنات ، أن ينطلقوا لتلبية نداء الجنس ؟! بلا قيود ولا حواجز ؟! وفيما يأتي يوضح أحد تلامذة فرويد المقربين حقد أستاذه على العقائد الدينية ، بشكل سافر .

يقول بونج أحد تلامذته ، أن فرويد قال له : « إننا ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية ، وينبغي أن نجعل من الجنس عقيدة »[1] .

واقع المجتمع الصناعي (في أوربا) وأصابع يهود[2] .

وقع المجتمع الصناعي في قبضة اليهود منذ اللحظة الأولى بسبب قيام اليهود المرابين بتمويل الصناعة الناشئة عن طريق الإقراض بالربا .

استقدموا العمال عزاباً من الريف إلى المدينة ، أو عاشوا كالعزاب ، فكانت متاعب المدينة وجوعة الجنس ، والغربة عن مواطنهم الأصلية هرباً من سياط رجال الإقطاع .

ومن هنا كان البغاء كحل لمشكلات هؤلاء العمال . هيأ اليهود لهم بغاءً شعبياً خاصاً لقاء دراهم معدودات ... ثم استُقدمت المرأة لتعمل في المصانع ، بسبب حاجتها للعمل عندما تركها عائلها وذهب متحرراً للمدينة ، كانت مضطرة لتعمل وإلا ماتت جوعاً في تلك الظروف النكدة .

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة : ص : ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ .

(٢) هذه الفقرة اقتبسناها من كتاب مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب ص ١١٩ ، ١٧٧

التقط أصحاب المصانع النساء ليضربوا بهن حركات العمال التي بدأت تطالب بزيادة الأجور ، وأعطوا المرأة نصف أجرة الرجل على نفس ساعات العمل .

ثم ساوم صاحب المعمل المرأة العاملة عنده ، فإما أن تفرط في عرضها ، وإما أن تعود إلى الجوع الذي فرت منه .... فسقط من الرعيل الأول من العاملات من سقط .... وفتحن الطريق أمام غيرهن ، ووجد اليهود صيْداً سهلاً يشغلونه في صناعتهم العتيقة ، صناعة البغاء .

ثم بدأت الصحافة تكتب عن البغاء وتزكيه ، وأصبح البغاء الرسمي وغير الرسمي حقيقة واقعة في المجتمع له صفة (الشرعية) الكاملة ، وأصبح الصحفيون وكتاب القصة والرواية والمحللون النفسيون يكتبون عنه باسم الواقعية الجديدة ، وأصبح الذي يستنكر هذه الأوضاع رجعياً متزمتاً .

وبذلك فإن اليهود **استغلوا الظروف لصالح مخططاتهم الشريرة** .

وعندما رفض أصحاب المصانع مطالب المرأة بالمساواة في الأجر مع الرجل ، طالبت المرأة – أو طولب لها – بحق الانتخاب حتى تؤثر في اختيار المرشحين للمجالس النيابية ليدافع أنصارها عن حقوقها المسلوبة .

ثم تطور الأمر فطالبوا لها بحق الترشيح ودخول البرلمان كي تسمع صوتها بنفسها للذين يصنعون القوانين ، فتدافع بذلك عن حقوقها المسلوبة .

هذه قضية المساواة في أوربا ، كانت بسبب مظالم محددة تتعلق بأجرة النساء في المعامل ، وكانت خطط اليهود بأموالهم وراء كل ذلك .

وكان أن استقلت (بعد ذلك) المرأة اقتصادياً ، وتمردت على قوامة الرجل كما تمردت على الدين والأخلاق والتقاليد بلا ضوابط ولا قيود .

وخرجت المرأة فتنةً هائجة في الطريق ، لتبرز مفاتنها لكل عين منهومة .

لقد كانت لعبة اليهود لعبة رابحة ، وأربح ما فيها سهولة الحصول على المرأة

في كل مكان ، في المكتب والمصنع والنادي والشارع والمرقص .

وأصبحت لذائذ الجنس متاحة للرجل في كل لحظة ... فهو يلقى المرأة العارية المتبرجة أمامه حيث ذهب ، وأصبح قضاء الحاجة الجنسية مع الهاويات لا مع المحترفات .

وتحقق بذلك ما دعا إليه فرويد وماركس من شيوع الجنس وتحطيم الأسرة .

ومن أجل ذلك طفح الجنس في الشارع ، والغابة والنادي والملعب والمرقص ، وفي المجلة والسينما والمسرح فيما بعد .

لقد كان إخراج المرأة للعمل هو المعول الأكبر لتحطيم الأسرة ، وإن لم يكن هو المعول الوحيد .

وكانت الصداقة بين الرجل والمرأة هي الأداة الكبرى في يد العصابة لتحويل الفطرة عن مسارها ، ففي تلك الصداقة يجد الرجل والمرأة كل مطالبهما إن كانا منحرفي الفطرة والسلوك .

تسخيرهم وسائل الإعلام لإفساد المرأة[1]

وقد سخر اليهود وسائل الإعلام المختلفة لخدمة أغراضهم ، فكان أغلب المفكرين اليهود في العصر الحديث من كتاب الصحافة ، وقد أشارت البروتوكولات إلى دور وسائل الإعلام وأهميتها :

جاء في البروتوكول الثاني : « إن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التي بها تحصل على توجيه الناس ... »[2] .

---

(١) انظر رسالة : أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود ص ٣٤٧ .

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون : محمد خليفة التونسي ص ١١٤ دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الرابعة .

ثم تقول هذه المخططات : « إن الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ، ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات ، وبهذه الوسيلة سنعطل التأثير السيء لكل صحيفة مستقلة ، ونظفر بسلطان كبير على العقل الإنساني »[1] .

واستغلوا الأدب الرخيص لتحقيق أغراضهم جاء في البروتوكولات : « وقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدباً مريضاً قذرا يغثي النفوس ، وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب »[2] .

ومن هنا نلاحظ شيوع الإلحاد والفجور والخلاعة وهدم الأخلاق ، فيما ينشر من أدب رخيص في هذا العصر .

وكان في العالم العربي كثير من الصحف اليهودية في مصر وغيرها ، منذ بداية القرن العشرين .

وعندما كشر الصهاينة عن مطامعهم الدنيئة أغلقت هذه الصحف .

وقد بلغ عدد الصحف التي أنشأها اليهود في مصر منذ عام ١٨٧٧م حتى عام ١٩٤٨م خمسين صحيفة ، معظمها كان يكتب بالعربية .

واستغلوا السينما ، وهي في الأصل مؤسسة يهودية خالصة فكرة ومالاً وتخطيطاً وتوجيهاً ، هدفها العمل السريع على إفساد الأميين بما للصورة المتحركة من سحر وقدرة على التأثير .

دور المرأة اليهودية .

« تعتبر المرأة اليهودية من الأسلحة النفاذة التي يستعملها الصهاينة ، فللمرأة اليهودية دور كبير في عالم السياسة الصهيونية .

(١، ٢) البروتوكولات ص ١٤٦ ، ١٥٣ .

ولا شك أن من نساء اليهود وخاصة الحسناوات جيشاً له خطورته ، جيشاً يحارب في سلام وخداع ، وتحت ستار الحب والانسجام ...

فمنهن المعلمات والطبيبات والممرضات ، ومنهن المربيات والحاضنات ، ومنهن الخادمات اللائي يتغلغلن في بيوت ذوي الشأن لمعرفة أسرار أصحابها ، وأخيراً منهن بنات الهوى ، وبائعات الأجساد على مذبح الرذيلة والعهر .

وتبذل كل واحدة من هؤلاء النسوة قصارى جهدها في تقديم الخدمات لمبادىء الصهيونية وتحقيق أغراضها »[1] .

« ولا يزال أهل الكتاب وخاصة اليهود يحرضون المرأة على التهتك والتبرج ، فيهود الدونمة أول من حاول نزع الحجاب في الولايات الإسلامية غير العربية ، من ذلك ما حدث في مدينة (سالونيك) مقر تجمعهم عام ١٩١٤م من تنظيمهم لحفل ليلي ، وقد استدعوا بعض النساء اليهوديات يحملن أسماء إسلامية ، ليقمن بتمزيق الحجاب على خشبة المسرح أمام الناس ، ولكن الحكومة منعت هذا الحفل لئلا يثير عواطف المسلمين »[2] .

وهكذا كان اليهود وراء إفساد المرأة في أوربا التي أصبحت محط أنظار عالمنا الإسلامي في العصر الحديث ، فكانت وسيطة الفساد والإفساد ، لقد فسدت المرأة – إلا من رحم الله – في أوربا .

ثم أحست بالمأساة التي دبرت لها ، ولكن بعد فوات الأوان ، وهذا ما سوف نلاحظه في الصحفات القادمة .

ولكنْ هل اليهود قادرون على كل هذا الشر ؟ أم أنهم يستغلون الفراغ الحقيقي من العقائد والأديان ؟! يقول الأستاذ محمد قطب في هذا المجال : « حين

---

(١) الصهيونية العالمية وأرض الميعاد : علي إمام عطية ص ٢٤١ . وانظر أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود ص ٤٥١ .

(٢) التبرج والاحتساب عليه : عبيد بن عبد العزيز ص ٤٤ عن كتاب عودة الحجاب : ٣/١٣٦ .

يكون للأمة دين حقيقي معمول به في واقع الأرض فإن اليهود - بكل قدرتهم على الشر - لا يستطيعون أن يصنعوا شيئاً ضد هذه الأمة مهما حاولوا .

والأمة التي اختارها الله لتكون شاهدة ورائدة للبشرية ، ظلت تتراجع حتى أهملت رسالتها العالمية ، بل شغلت عن رسالتها لذات نفسها ، وعندئذ برزت أوربا إلى الوجود ، قوة ممكنة في الأرض ، فملأت الفراغ الذي خلفته الأمة الإسلامية بتخليها عن رسالتها حسب السنن الربانية ، التي يدبر الله بها أمور البشر في الأرض »[1] .

وهذا هو الواقع المرير الذي تتخبط فيه البشرية ، وهي تلهث مبتعدة عن شرع الله وسنة رسوله .

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص ١٦٩ ، ١٧٤ .

المبحث الثاني : صور من مأساة المرأة المعاصرة .

١ - تمزق روابط الأسرة .

من أهم ما تباهي به الأسرة المسلمة استقرارها وتوازنها ، وإشاعة جو الطهر والفضيلة لتكون المحضن الطبيعي لتربية أجيال مؤمنة تقوم برسالتها، وتؤدي الأمانة خير أداء .

فكان للأم مكانتها ، وللزوجة احترامها ، وللبنت الحب والتقدير[1] .

أما المرأة المعاصرة فقد تمزقت نفسيتها وعقّها أبناؤها واستهان بها زوجها .

فالأم : أصبح دورها ضعيفاً في توجيه الأبناء بسبب الجهل، أو غلبة المفاهيم الغربية على كثير من المتعلمين والمتعلمات من أبناء أمتنا .

وكانت محاولات المرأة للخروج من منزلها للعمل من أهم أسباب إهمال الأطفال ، أو تسليمهم لأيدي الخادمات ، وربما كنّ غير مسلمات[2] .

لقد بدأت الصيحات تتعالى لتقليد المرأة الغربية ، مما نجم عنه خطر داهم في تفكك روابط الأسرة المسلمة ... فالأم هناك تعيش تعيسة بائسة ، لا أمل لها في أولادها ، بل إنهم ينتظرون وفاتها بفارغ الصبر لينعموا بتركتها إنْ كانت ذات مال وعقار .

وإن كانت فقيرة ، فدور العجزة والمسنين تتسع لها ولأمثالها مهما كانت حالة أبنائها ميسورة ، ولا يعرفونها إلا في اليوم الحادي والعشرين من شهر آذار

---

(١) انظر الباب الأول : المرأة في الحياة الأسرية .

(٢) انظر الخادمات وقيامهن بدور الأمهات ، في كتابنا تربية الأطفال في رحاب الإسلام ، وكتاب : أثر الخادمات الأجنبيات : عنبرة الأنصاري س ١٤١١هـ .

ليجتمعوا فيها فيما يسمى ب (عيد الأم عندهم) ، حيث يقدمون لها باقة ورد ليس إلا .... .

أين هي من الأم المسلمة التي تعيش في جو أسري في كل ساعات عمرها ، ترفرف عليهم السعادة والمحبة والتقدير .

أين الأم المعاصرة من الأم المسلمة التي تعيش ملكة في مملكتها الصغيرة ، تنعم في ظل أولادها وأحفادها بحب واحترام ربما لم تتمتع به حتى في أوج الشباب والعطاء ؟!

ذكرت مجلة البيان نماذج من مأساة الأمهات في ديار الغرب ، أذكر ذلك للعبرة والمقارنة .

يقول الدكتور عبد الله الخاطر رحمه الله[1] :

« كانت جارتنا عجوزاً يزيد عمرها على سبعين عاماً ... وكانت تستثير الشفقة حين تشاهد، وهي تدخل وتخرج وليس معها من يساعدها من أهلها وذويها .... كانت تبتاع طعامها ولباسها بنفسها ... وكان منزلها هادئاً ليس فيه أحد غيرها ، ولا يقرع بابها أحد .

وذات يوم قمت نحوها بواجب من الواجبات التي أوجبها الإسلام علينا نحو جيراننا، فدهشتْ أشد الدهشة لما رأت، مع أنني لم أصنع شيئاً ذا بال ، ولكنها تعيش في مجتمع ليس فيه عمل خير، ولا يعرف الرحمة والشفقة .

وخلال تردد هذه المرأة على بيتنا، علمت أن الرجل في بلادنا مسؤول عن بيته وأهله ، يعمل من أجل إسعادهم ، كما علمتْ مدى احترام المسلمين للمرأة سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً ، وبشكل خاص عندما يتقدم بها العمر ، حيث يتسابق أبناؤها وأحفادها على خدمتها وتقديرها .

---

(١) مشاهداتي في بريطانيا العدد الرابع من مجلة البيان عام ١٤٠٧ هـ ص ٩٦ .

كانت المرأة المسنة تلاحظ عن كثب تماسك الأسرة المسلمة ... وكانت تقارن بين ماهي عليه ، وما نحن فيه من نعمة .

كانت تذكر أن لها أولاداً وأحفاداً لا تعرف أين هم ؟ ولا يزورها منهم أحد ، وقد تموت وتدفن ، أو تحرق وهم لا يعلمون .

ولا قيمة لهذا الأمر عندهم ، أما منزلها فهو حصيلة عملها وكدها طوال حياتها .

وكانت تذكر لزوجتي الصعوبات التي تواجهها المرأة الغربية في العمل ، وشراء الحاجات ، ثم أنهت حديثها قائلة : « إن المرأة في بلادكم ملكة » . ولولا أن الوقت متأخر جداً لتزوجت رجلاً مثل زوجك، ولعشت كما تعيشون (انتهى).

وقصص العقوق، وإهمال الوالدين في تلك البلاد كثيرة بل عادية .

« فالوالدان هناك يعيشان في حالة بائسة ، إذ لا يسأل الولد عن أبيه ولا عن أمه ، ولا ينفق عليهما ولو كانت حاجتهما شديدة .

وكم من رجل مسن (وامرأة مسنة) يموت في أوربا وأمريكا في كل عام برداً وجوعاً ! .

نعم إن هناك آلاف الأشخاص من الطاعنين في السن يموتون بسبب البرد والجوع في بلاد الحضارة ..! ولا يسأل عنهم أحد ، وقد تبقى الجثة في الشقة أياماً دون أن يحس بها إنسان ، إذ يعيش معظم هؤلاء الشيوخ بمفردهم ، ولا يزورهم أحد إلا نادراً، وقد لا يرون إلا مندوب الضمان الاجتماعي في كل شهر مرة »[1] .

يقول أحد الأطباء العاملين في بريطانيا : « لقد كنت أعجب من أحد الشيوخ المرضى ، الذين كنت أقوم بعلاجهم في أحد المستشفيات التي كنت

---

(١) عمل المرأة في الميزان : د. محمد علي البار ص ٣٧ .

أعمل فيها في إحدى ضواحي لندن ، فقد كان الرجل لا يمل من الكلام عن ابنه البار الذي ليس له نظير في العالم اليوم .

ولم أر ابنه يزوره ، سألته عن ولده أمسافر هو ؟! فأجاب : لا إنه موجود ، ولكنه لا يأتي لزيارتي إلا يوم الأحد ، فقد عودني ذلك منذ سنين .

تصور ! يأتي كل يوم أحد حاملاً معه باقة من الورود ، ونذهب سوياً لنضعها على قبر أمه .

ولما سألته : هل ينفق عليك ؟ قال : لا أحد ينفق على أحد في هذه البلاد .

إنني أستلم كذا من الجنيهات ، من الضمان الاجتماعي ، وهي لا تكاد تكفيني للقوت والتدفئة ، ولكن هل هناك أحد في الدنيا مثل ولدي الذي يزورني كل يوم أحد منذ سنوات ؟!

ولم أشأ أن أصدمه لأقول له : إن الإسلام يعتبر ولده عاقاً .

إلا أن المستوى الهابط من الأخلاق ، وانتشار العقوق يجعل مجرد زيارة ولده له مرة في الأسبوع قمةً في البر والصلة[1] .

« وقد نشرت الصحف قريباً ، قصة الشاب الذي قبل أن يؤوي أمه العجوز إلى بيته مقابل أن تقوم بخدمته وخدمة زوجته وأولاده ، وتنظيف بيته ، وهذا يعتبر على أي حال كرماً من هذا الولد البار بأمه »[2] .

وقصص حياة القوم ببؤسها وشقائها تكاد لا تنتهي ، إلا أننا نذكرها للمفتونين والمفتونات في ديار المسلمين ، أولئك الذين يزينون الشقاء لمن لا يعرفونه .

حدثني أخ أثق بدينهَ كان يدرُس الطب في بريطانيا أن صديقاً له ، كان

---

(١) الدكتور محمد علي البار : من كتابه ص ٣٧ عمل المرأة في الميزان .

(٢) عمل المرأة في الميزان ص ٣٨ .

يعمل مناوباً في أحد المستشفيات هنالك ، وكان أن توفي رجل مسنّ في تلك الليلة عنده ، فأحب أن يعزي أسرة المتوفى ، ثم اتصل بولده الساعة الثانية عشرة ليلاً ، وعزاه بوفاة والده ، وهو على وجل .

فما كان من الابن العاق إلا أن امتعض من هذا الاتصال ليلاً وقال : أتتصل بي في هذه الساعة المتأخرة من الليل لتخبرني بوفاة والدي ؟! وماذا تنتظر مني أن أفعل ؟! على كل حال أنا مسافر صباحاً لمدة ثلاثة أيام ، ضعوه في الثلاجة ، وحين عودتي سأراجعكم ، لأقوم باستلام الجثة .

فظاهرة العقوق ظاهرة عامة في حياة الأسرة الغربية ، فقد تجمدت العواطف ، ونضبت معاني الإنسانية ، وأفسدت الفطرة لديهم .

وهذه المعاني غريبة على تقاليد العرب حتى في جاهليتهم ، ممقوتة بغيضة محرمة في شريعتنا الحنيفية ، ولكن كثيراً من الناس لا يعلمون حقائق الأمور .

وإذا كان الأبناء عاقين ، فهم يردون الصاع صاعين لإهمالهم صغاراً من أبويهم ، انظر إلى الخبر التالي : « نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ١٤٠٠/٩/١٥هـ خبراً مفاده أن مطلقة بريطانية اسمها مانيس جاكسون ، عرضت ابنها الوحيد للبيع بمبلغ ألف جنيه ، والمبلغ يشمل ملابس الطفل وألعابه ، وقالت : إنها تبيع ابنها لأنها لا تستطيع الإنفاق عليه ، وليس لديها دخل لإعاشته » .

والخيانة الزوجية هي سمة القوم في حياتهم :

وليس لديهم ارتباط حقيقي بالزوجة والزواج ، ما دام أمر الخليلات ميسوراً مباحاً بلا كلفة ولا ارتباط .

هذه فلسفة الرجل في ديار الغرب ، رغم أن المرأة هي التي تخطب وده باستمرار ، وتدفع المهر وتكاليف الزواج ، إلا أنّ الخيانة بين الأزواج أصبحت سمة من سمات أولئك اللاهين واللاهيات .

نشرت صحيفة الشرق الأوسط التي تصدر في لندن:[1] أن ٧٥ ٪ من الأزواج يخونون زوجاتهم في أوربا ، وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشيء ذاته .

وفي كثير من هذه الحالات يعلم الزوج بخيانة زوجته ، وتعلم الزوجة بخيانة زوجها ، ومع هذا فقد تستمر العلاقات الزوجية الشكلية .

أما العلاقات قبل الزواج فإن (٨٠٪) إلى (٨٥٪) من الرجال البالغين لهم خليلات .

واكتشفت الدراسة أن خيانة الخليلات لأخلائهن هي أكثر من خيانة الزوجات لأزواجهنّ .

وتقول الدراسة : إن ما بقي من أفراد المجتمع غير المتزوجين، والذين ليس لهم خليلات هم من الزناة الذين ينتقلون من امرأة إلى أخرى، وليست لهم علاقة دائمة .

وقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط كذلك تحت عنوان (بريطانيا الجديدة : أزمات زوجية وعائلية ، وارتفاع حالات الخيانات على أنواعها) تقول : بريطانيا مقبلة على أزمة اجتماعية كبيرة ... وتتحدث أرقام رسمية نشرت أمس في لندن عن تزايد المخاوف من زيادة نسبة الطلاق ، وانخفاض نسبة الزواج وارتفاع نسبة الخيانة الزوجية بين الطرفين ، ومما جاء في التقرير أيضاً : أنه قد ارتفع عدد الأمهات المطلقات إلى مليون وربع المليون أم ، والرقم مرشح للزيادة[2] .

أما الطلاق (وضحايا الجنس) :

فقد أصبح مشكلة اجتماعية خطيرة ، ومن أبلغ ما كتب في هذاالصدد

---

(١) الشرق الأوسط : عددها الصادر في ١٤٠٠/٧/١٥هـ .

(٢) صحيفة الشرق الأوسط في ١٤٠٠/٧/١٢هـ .

مقال لكاتب أمريكي ، يحذر فيه الغرب من عواقب ذلك التدهور الذي سيحول الدول الغربية إلى دوائر إغاثة لضحايا الجنس والطلاق .

يقول : « إن إحصائيات عام ١٩٧٩ م تدق ناقوس الخطر ، فعدد اللواتي يلدن سنوياً من دون زواج شرعي وفي سن المراهقة لا يقل عن ستمائة ألف فتاة ... وإذا أضيف إلى ذلك عدد اللواتي يلدن بدون زواج بعد سن المراهقة، فإن العدد الإجمالي يتجاوز المليون ، ومعنى هذا فإن الولايات المتحدة تستقبل مليون طفل سنوياً من الزنا والسفاح ، وأن على الدولة أن تقوم بإعالتهم وإعالة أمهاتهم مما يشكل كارثة اقتصادية ، لأن كل طفل يكلف الدولة ما يقرب من (١٨ ألف دولار) .. »[١] .

الجاهلية المعاصرة ونكاح المحرمات :

ارتكست البشرية في هذا القرن في هاوية الرذيلة، وحمأة الدنس بشكل لم يسبق له نظير حتى في الجاهليات القديمة .

« ففي السويد التي تعتبر قمة في الحضارة ، فإن الدولة تدرس هناك قانونا يبيح العلاقة الجنسية بين الأخ وأخته !!.

وقريباً سيصدر تشريع بإباحته مع البنت والأم ، ولذلك فإن السويد تتمتع بأعلى معدلات الانتحار في العالم »[٢] .

وقد نشرت صحيفة (الهيرالدتريبيون) ملخصاً لأبحاث قام بها مجموعة من الأخصائيين من القضاة والأطباء الأمريكيين، حول ظاهرة غريبة ابتدأت في الانتشار في المجتمع الأمريكي ، وفي المجتمعات الغربية بصورة عامة .

وهي ظاهرة نكاح المحرمات ، ويقول الباحثون : « إن هذا الأمر لم يعد نادر الحدوث ، وإنما هو منتشر لدرجة يصعب تصديقها، فهناك عائلة من كل

---

(١) عمل المرأة في الميزان ص ١٣٩ .

(٢) عمل المرأة في الميزان : د. محمد علي البار ص ١٤٨ .

عشر عائلات أمريكية ، يمارس فيها هذا الشذوذ ، والأغرب من هذا أن الغالبية العظمى (٨٥٪) من الذين يمارسون هذه العلاقات الشاذة مع بناتهم وأولادهم أو بين الأخ وأخته، أو الابن وأمه هم من العائلات المحترمة في المجتمع، والناجحة في أعمالها والتي لا تعاني من أي مرض نفسي ، وليسوا من المجرمين ولا من العتاة »[1] .

« ومعظم هذه الحالات هي حالات اعتداء من الأب على ابنته، ولا يقتصر الاعتداء على الابنة البالغة .. وإنما قد حصلت اعتداءات كثيرة على طفلته الصغيرة ، وسجلت حالات من الاعتداء ابتداء من سن ثلاثة أشهر إلى سن البلوغ » .

« أما العلاقة بين الأخ وأخته، فيعتبرها الباحثون علاقة شاذة، ولكنها ليست بذات ضرر ، وينبغي ألا يهتم بها الوالدان، بل يتركونها للزمن فهو كفيل بمعالجتها !! » .

« ولا تقتصر حوادث العدوان على الآباء ... وإنما هناك حالات من اتصال الأم بابنها جنسياً .. كما أن هناك حالات من اتصال الجد أو العم أو الخال بحفيدته ، أو ابنة أخيه أو ابنة أخته ، يقف الباحثون أمام هذه الظاهرة قلقين لكن دون أن يدركوا العلاج الحقيقي »[2] .

ويقول الباحث (واردل بومري) بصراحة أكثر : « لقد آن الأوان لكي نعترف بأن نكاح المحرمات ليس شذوذاً، ولا دليلاً على الاضطراب العقلي .. نعم في الواقع قد يكون نكاح المحرمات، وخاصة بين الأطفال وذويهم أمراً مفيداً لكليهما » .

« وقد تكونت جماعة تطالب بحقوق الأطفال الجنسية ، وأن من حق الطفل

---

(١) الهيرالد تريبيون في عددها الصادر في ١٩٧٩/٦/٢٩ ، عن المصدر السابق .

(٢) المرجع السابق من تقرير الهيرالدتريبيون وص ١٤٩ ، ١٥٠ من كتاب : عمل المرأة في الميزان .

أن يكون له نشاط جنسي مع أي فرد من أفراد العائلة، أو حتى خارج نطاقها »[1] .

وبالتالي إنني أجد نفسي محرجاً من هذه النقول ؛ لأنها تبعث على الاشمئزاز والقرف ، ولكن لابد من وضع هذه الصورة البهيمية أمام المخدوعين بحضارة التيه والضياع ، وشريعة الغاب الجنسية عسى أن يتعظوا .

وما بالنا نعجب مما يجري في ديار الضياع ، وأكلة لحوم الخنازير ، وقد انتقلت اللوثة إلى بعض الأقطار العربية مع الأسف المرير .

نشرت إحدى المجلات في قطر عربي : قصة رجل مارس الرذيلة مع ابنته ، ثم راحت المجلة تبرر ذلك العمل الوحشي ، بأنه نتيجة الشوق والشبق و ... إلخ .

وحدثني من أثق بعقله وخلقه : أن ضابطاً كبيراً كان يضرب شقيقته لماذا ؟ ظننت أنه يؤدبها غيرة منه ويا هول ما سمعت ؟! كان يضربها لأنها كانت أكثر جمالاً من زوجته ، وقد صارت تصطاد زبائن زوجته !! هذه قصة حدث بها مَنْ حقَّق في هذه الفضيحة النكراء .

قلت : واحر قلباه ، والأسى يعتصر فؤادي ، بسبب ما أسمع ، فبينما كان الناس قبل عشرين عاماً يغارون على أعراضهم وكثيراً ما يقتلون الجناة الزناة ، إذا بهم الآن يتحولون إلى ديايث ؟! اللهم ارحم عبادك ، فقد بغوا وطغوا ، اللهم خلصهم من الأرجاس، ومما يعانون من هبوط في حمأة الجاهلية الوافدة، والمسلحة بأخبث الأساليب الرخيصة .

هكذا تمزقت روابط الأسرة ، فما عادت هذه الأسر موئل حنان الأمهات ، ولا حدبهن على صغارهنَّ وما عادت الفتاة تشعر بالاطمئنان ، بل ربما لا يأمن أحدهم على نفسه من بقية أفراد أسرته، وبذلك تحولت الحياة إلى جحيم لا يطاق، وقلق شديد فتاك .

---

(١) السابق ص ١٥١ ، ١٥٣ .

إن مشكلة الخليلات والخيانة بين الأزواج ، أفرزت مشكلات نفسية حادة في ذلك المجتمع الموبوء . يقول طبيب مختص بالأمراض النفسية[1]:

رأيت في عيادة الأمراض النفسية امرأة في العشرينيات من عمرها ، وكانت حالتها النفسية منهارة .. وبعد أن تحسنت أحوالها أجابت والدموع تنهمر من عينيها قائلة : مشكلتي الوحيدة أنني أعيش بقلق واضطراب ، ولا أدري متى سينفصل عني صديقي ، ولا أستطيع مطالبته بالزواج مني لأنني أخشى من موقف يتخذه ، ونصحت بالعمل على إنجاب طفل منه ، لعل هذا الطفل يرغبه في الزواج ، وها أنت ترى الطفل كما أنك تراني ولا ينقصني جمال ، ومع هذا وذاك فإني أبذل كل السبل من تقديم خدمات وإنفاق مال ، لكنني لم أنجح في إقناعه بالزواج مني ، وهذا سر مرضي .

إنني أعيش وحدي في هذا المجتمع ، فليس لي زوج يساعدني على أعباء الحياة ، ولي أهل ولكن وجودهم وعدمه سواء ، وليتني بقيت بدون طفل لأنني لا أريد أن يتعذب ويشقى في هذه الحياة كما تعذبت وشقيت[1] .

هذه بعض مآسي المرأة في الجاهلية المعاصرة ، وكل ما تتمناه أن يعترف بها - من أذلها وهتك عرضها - زوجة، وأن يعترف بطفلها المسكين ضحية السفاح المعترف به اجتماعيا ورسمياً في بلادهم . أين هذا من حياة السعادة لدى الأسرة المسلمة عندما يكون القران ، وعندما تبشر بمولود ، ولكن المفتونين لا يفقهون .

إن الأمراض الاجتماعية (في أوربا بقسميها الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي ، وكذلك أمريكا) أمراض خطيرة مزقت روابط الأسرة ، حتى اشتكى المنصفون من مفكريهم مما حل بهم .

---

(١) البيان العدد السادس ١٤٠٧هـ ص ٥٩، د. عبد الله الخاطر ، رحمه الله .

« فللرجل الثري كل الحقوق، وفي استطاعته أن ينبذ زوجته الطاعنة في السن ، ويهجر أمه المحتاجة لتقع فريسة الفقر ، ويسرق هؤلاء الذين أمنوه على أموالهم،كما أن الشذوذ الجنسي آخذ في الانتشار بعد أن طرحت الآداب الجنسية جانباً ، وأصبح المحللون النفسيون يستعرضون حياة الرجال والنساء الزوجية ، ولم يعد هناك خلاف بين الخطأ والصواب، والعدل والظلم »[1] .

ها هم أهل تلك الحضارة الزائفة يشتكون منها، وما يزال بين أبناء جلدتنا من ينعق منادياً باتباع أولئك القوم على ما هم عليه من المآسي والفسق والفجور .

لقد رتع إبليس وجنوده بسبب الخيانات الزوجية والفراق بين الرجل وزوجته ، ويصور ذلك الحديث الشريف :

عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة . يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئاً ، ثم يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه ، ويقول : نعم . أنت فيلتزمه »[2] .

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ص ١٧٧ .

(٢) رواه الإمام مسلم وغيره ، حسن الأسوة ص ٤٥٣ .

٢ - القلق والاضطراب

تمهيد :

من أهم مظاهر الحياة في الجاهلية المعاصرة القلق والكآبة وعدم الاستقرار .

ولعل : « تقارير أهلها تغني عن الحديث، إذ أن الجنون يصيب من أفراد الشعب الأمريكي ، أكثر من المصابين بأي مرض آخر من الأمراض الفتاكة .

والملاحظ أن العيادات النفسية منتشرة في غرب أوربا وأمريكا بشكل يلفت الأنظار .

ومن الروتين المعتاد في الحياة الغربية أن يذهب الإنسان إلى العيادة النفسية مرة على الأقل كل شهر، إن لم يكن مرة كل أسبوع لمعالجة القلق النفسي، والاضطرابات العصبية » .

« والجريمة في تزايد مستمر ... فقد زادت حتى أصبحت أصلاً من أصول المجتمع ، بحيث لا يأمن الناس على أنفسهم من أن تقع عليهم في أية لحظة جريمة خطف، أو سرقة ، أو قتل ، أو اغتصاب .

وإن جرائم الأحداث أسوأ دلالة وأشد خطورة ... فقد صارت مشغلة دائمة للمجتمع الغربي .

إنهم الأطفال المشردون الذين تركتهم أمهاتهم من أجل العمل في المكاتب والمصانع والمتاجر في النهار وللهو والعبث في الليل .

والذين فقدوا توجيه الأب الحازم ؛ لأن الأب ذاته فقد كيانه في معركته مع المرأة (المتحررة) ؟ . والذين علمتهم السينما والتلفزيون كيف يصبحون مجرمين ! .

هذا كله غير ألوان الميوعة والتفاهة التي يعيشها الشباب، وغير ألوان

(الجنون) العامة التي استولت على حياته، جنون السينما وجنون التلفزيون ... وجنون الجنس ، وجنون الموضة ، وجنون العري ، وجنون السرعة »[1] .

والمرأة في الجاهلية المعاصرة تشترك في هذا القلق ، إضافة إلى أسباب أخرى وملابسات تزيد حياتها شقاء ونكداً ومرارة .

ولعل أهم هذه الأسباب : خروجها من منزلها وامتهان شخصيتها وأنوثتها ، وتعلقها بجنون الموضة والأزياء الجديدة .

أ - خروج المرأة العاملة من منزلها :

وفي ذلك مصادمة لفطرتها ، وابتعاد عن أداء رسالتها الطبيعية في تربية الأطفال .. والتقارير تؤكد صحة ما نقول ، والإحصائيات ما تزال تؤيد نداء الفطرة .

« نشرت جريدة الأهرام المصرية تحت عنوان : (مع المرأة) بقلم إحدى الصحفيات تقول : « إنهم في إنجلترا طعنوا في المرأة العاملة ، طعنوا في أنوثتها بعد أن عجزوا عن ردها عن العمل ، وعندما أقاموا استفتاء بين عدد كبير من الرجال من مختلف الطبقات لمعرفة رأيهم في أهم الصفات التي تعبر عن أنوثة المرأة » . « جاء في هذه الاستفتاء عند الموظفين والطلبة الجامعيين : أن الأنوثة لا تتمتع بها إلا المرأة التي تجلس في بيتها حيث ترعى أولادها بنفسها ، وتقوم بجميع أعمال المنزل .

أما المرأة العاملة فهي مجردة نهائياً من الأنوثة ، وكان هذا رأي الأغلبية هنا »[2] .

وفي عدد آخر (الأهرام) أعلنت المحررة السابقة هزيمتها في مهاجمة القائلين بمنع المرأة من العمل ، حدث هذا بعد خطاب وصلها من امرأة تعمل منذ خمس

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٢) عن المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي رحمه الله ص ٢٥٤ - ٢٥٦ بإيجاز .

وعشرين سنة ، وتشغل مركزاً محترماً .

يقول الخطاب : « إمّا أنك تخدعين نفسك ، وإمّا أنك ما زلت في أول سنوات العمل .

إن الرجال على حق فيما يقولون ... فالمرأة العاملة تفقد أنوثتها فعلاً بالعمل ، وقد يدهشك أنني أتمنى ألا أخرج من بيتي ، وألا أترك أولادي صباح كل يوم لأذهب إلى مكتبي ، ولكنني أعمل وأشقى لأفقد أنوثتي فعلاً باسم العناد ، إنني مثلك أخشى أن يقول الرجال : إننا تراجعنا عن ميدان العمل وفشلنا ...

قولي الحقيقة : إن المرأة مهما تقدمت في عملها، فهي لا تحب أن تصبح رجلاً ... حالة واحدة تتمنى فيها المرأة أن تعمل ، وذلك عندما يكبر الأولاد ... إذ لم يعد هناك ما يذكرها بأنوثتها ، إنها تعود إلى العمل بإحساس الرجل ، لا بإحساس المرأة »[1] .

إن مصادمة الفطرة أبعدت المرأة عن شعورها بأعز ما تفتخر به : أنوثتها ، ولذلك أصيبت بالإحباط ، والكآبة والمرارة .

وجاء في كتاب : (فتاة الشرق في حضارة الغرب) : « وجدير بالذكر أن نشير إلى أنه حتى النساء اللواتي قضي عليهن بمغادرة المنزل وراء الكسب ، غلب عليهن الأسى والندامة لهذا المصير ، وأكبر دليل على ذلك الاستفتاء الذي قام به معهد (غالوب) في أمريكا ، بصدد تعيين رأي النساء الكاسبات في صدد العمل ، ومما جاء فيه : أن المرأة متعبة الآن ، ويفضل ٦٥٪ من نساء أمريكا العودة إلى منازلهن .

كانت المرأة تتوهم أنها بلغت أمنيتها في العمل ، أما اليوم ، وقد أدمت

---

(١) عن المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي رحمه الله ص ٢٥٤ - ٢٥٦ بإيجاز .

عثرات الطريق قدميها ... فإنها تود الرجوع إلى عشها ، والتفرغ لاحتضان أفراخها »[1] .

وقد سبب خروج المرأة من منزلها أزمات عائلية خطيرة .

تقول الكاتبة الأمريكية (إيدالين) :

« إن التجارب أثبتت ضرورة لزوم الأم لبيتها ، وإشرافها على تربية أولادها ، وإن الفارق الكبير بين المستوى الخلقي لهذا الجيل ، والمستوى الخلقي للجيل الماضي إنما مرجعه إلى الأم التي هجرت بيتها وأهملت طفلها ، وتركته إلى من لا يحسن تربيته .

وإن سبب الأزمات العائلية في أمريكا ، وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة ، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق »[2] .

من آثار الكآبة والقلق على حياة المرأة العاملة :

تعاني المرأة في الغرب من قلق شديد ، وكآبة قاتلة مما أدى إلى زيادة الأمراض النفسية ، وزيادة استعمال الحبوب المهدئة .

ويتحدث الأطباء في ديار حضارة التيه والضياع عن الطوابير الطويلة من النساء اللائي يذهبن إلى العيادات ، ويشكون من صداع وغثيان ، وآلام وأوجاع في الجسم مع أرق في كثير من الأحيان .

وبعد فحص هذه الحالات فحصاً جيداً تبين أنهن يعانين من الإرهاق الجسدي والنفسي نتيجة لخروج المرأة إلى العمل .

ونتيجة لهذا القلق النفسي انغمست كثير من النساء في شرب الخمور والمخدرات والمقامرة .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٢٥٩ .

(٢) أدب الإسلام في نظام الأسرة ص ١٣٨ ، عن المرأة المتبرجة : عبد الله التليدي ص ١٤٦ .

وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط في ٢٧/٦/١٤٠٠هـ أن (٧٠٪) من البريطانيات يقامرن باستمرار ، وأنهن يصرفن نصف مصروف العائلة الأسبوعي على ذلك ، مما يدل على عدم استقرار العائلة ولا شك[١] .

وقد زادت حالات الانتحار ، ومحاولات الانتحار زيادة مرعبة ، وسنذكر مثالاً واحداً من قصة الفنانة الشهيرة (مارلين مونرو) ، ونصيحتها بل وصيتها قبل الانتحار لبنات جنسها .

تقول تلك الممثلة عند انتحارها : « احذري المجد ... احذري كل من يخدعك بالأضواء ... إنني أتعس امرأة على هذه الأرض ...

لم أستطع أن أكون أماً ... إني امرأة أفضل البيت ... أفضل الحياة العائلية الشريفة .... إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ... لقد ظلمني الناس ... وإن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة ، مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة »[٢] .

هكذا أحست هذه المرأة بأنها سلعة رخيصة ، رغم الشهرة والمجد والمال ... لقد شعرت وندمت – ولات ينفع الندم – على ما فرطت ، وعلى مصادمتها لفطرتها ، وطبيعتها وأنوثتها ، ففضلت الموت على حياة النكد والضيق والمآسي .

« آلا ما أكثر العبر ، ولكن ما أقل مَنْ يعتبر » .

ب – ابتذال المرأة وامتهان كرامتها :

إذا كان بنيان المجتمع الغربي الحديث قائماً على ثلاث قواعد : المساواة بين الرجال والنساء ، واستقلال النساء بشؤون معاشهن ، ثم الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء[٣] .

---

(١) عمل المرأة في الميزان ص ١٩٨ وما بعدها .

(٢) المرأة بين الفقه والقانون ص ٣١٥ .

(٣) الحجاب : المودودي رحمه الله ، طبع مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، عام ١٤١٣هـ ص ٢٦ .

فإن ذلك يعني أن تؤدي المرأة نفس ما يؤديه الرجل من الأعمال .

ومن هنا كان على المرأة أن تفتش عن عمل أياً كان : في دوائر الحكومة ، في الشركات ، وفي المكاتب التجارية ، أو في المخازن الكبرى ... عليها أن تعمل بائعة أو محاسبة ، تبيع الجرائد ، تنظف الشوارع ، تمسح الأحذية وتجمع القمامة ، تقطع تذاكر الركاب في السكك الحديدية ... تنظف المراحيض ، تحرس الأبنية الكبيرة في أخريات الليل ، تحمل الأثقال وتشقى في مصانع الصلب والحديد[1] .

لقد ابتذلت المرأة وأهينت كرامتها ، وابتعدت عما يليق بها في حضارة التيه والضياع ... ناهيك عن تحملها مصاريف الحياة اليومية ، أو مشاركتها في ذلك لزوجها إنْ كانت ذات زوج .

إن متاعب الحياة ومشاقها في ديار الغرب كثيرة ، إذ ما تزال المرأة هناك تتقاضى نصف أجر الرجل في أغلب مجالات العمل .

كما أنها إذا أرادت الزواج عليها أن تتنازل عن اسمها واسم أبيها لتصبح تابعة لزوجها حتى في الاسم ... هذا ومن المعلوم أن المرأة في أوربا هي التي تدفع المهر للرجل وليس العكس .

ونتيجة لتردي وضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي ، فإنها تصبح فريسة سهلة لسماسرة البغاء الدولية ، كما أنها تستخدم لترويج البضائع ، إذ دائماً ترى صورة امرأة فاتنة للإعلان عن أي شيء ، حتى ولو لم يكن له علاقة بالمرأة .

وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط أن جمعيات حقوق المرأة في بريطانيا نظمن مظاهرات صاخبة احتجاجاً على استعمال المرأة في ترويج البضائع ، ومن ذلك إعلان يقول : السيارة السبور مثل العشيقة ، أما السيارة الصالون فهي مثل الزوجة .

ولا تكاد تجد إعلاناً عن أية مادة من المواد إلا وتطالعك صورة حسناء

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي رحمه الله ص ١٧٤ ، الطبعة الخامسة ، المكتب الإسلامي .

شبه عارية تدعوك لشراء تلك السلعة[1] .

يستوي الإعلان في التلفزيون أو الصحف أو المجلات ونتيجة لهذه الأوضاع المتردية ، فإن المرأة تعاني من الوحدة فتهرب منها إلى أحضان أي رجل ذاك الذي سرعان ما يملها وينتقل إلى أخرى .

وتقول الإحصائيات : إن أغلب حالات الانتحار هي من الفتيات الصغيرات اللائي يعشن حياة قلقة يائسة[2] .

ويعتبر التحرش بالمرأة العاملة من أسباب ذلك النكد في الحياة .

« إذ تشير رئيسة معهد النساء العاملات في نيويورك إلى أن المضايقات الجنسية لا تقتصر على الاعتداء الجسدي بل إن الكلام البذيء ، والنكات الفاضحة تشكل نوعاً من الاعتداء على المرأة الحساسة .

فكم من واحدة أصيبت بالأمراض الجسدية كالصداع والقيء ، وعدم النوم نتيجة لهذا الوضع السيء التي تعيش فيه المرأة ، وكم من واحدة اضطرت إلى أخذ الحبوب المهدئة لتستطيع الذهاب إلى العمل كل صباح ، ثم سماع تلك الاسطوانة الممجوجة من الغزل البذيء[3] .

لقد هانت المرأة المسكينة في الجاهلية المعاصرة أيما إهانة ، ووصلت اللوثة إلى كثير من أنحاء دول العالم .

« ففي الصين نفذت عقوبة الإعدام في رجل لبيعه زوجته وأمه وابنته البالغة من العمر ثلاثة أعوام ، إضافة إلى ثماني عشرة سيدة أخرى .

وهذه الحادثة ليست إلا نموذجاً واحداً فقط من نماذج تجارة الرقيق المنتشرة في الصين .

(١،٢) الشرق الأوسط ١٩٨٠/٥/٢٩م ، وعمل المرأة في الميزان ص ١١٦ ، ١١٨ ، ٢٢٠ .

(٣) عمل المرأة في الميزان ص ١٦٠ .

وبينما يقول مدير الأمن في إقليم هينان : إنهم اكتشفوا في العام الماضي (٦٠٠ أو ٧٠٠) سيدة خطفن وجرى بيعهن رغماً عن إرادتهن ، قالت صحيفة صينية : إنه تم إنقاذ نحو عشرة آلاف سيدة وطفل من براثن تجار الرقيق في العام نفسه »[١] .

جـ - أثر الموضة على حياة المرأة المعاصرة :

يتلاعب مصممو الأزياء بنفسية النساء ؛ لأن المرأة مفطورة على التجمل والظهور بالمظهر اللائق الأنيق ، ولا يكسر حدة هذه الدوافع إلا قناعة المؤمنات وتعاليهن على متاع الدنيا الزائل .

« ومن الجدير بالذكر أن الموضات تندثر ، ثم تعود لما كانت عليه في الماضي تارة أخرى ، مع إيهام الناس بأنه موضة حديثة لجذب الزبائن إليها ... كل ذلك إمعاناً في استنزاف أموال الناس ، واستهزاء بعقولهم واستخفافاً بتفكيرهم ، ولقد استغل الباعة فكرة الموضة للإثراء على حساب ضعاف العقول » .

« وكثيراً ما يتغير حجم الثوب النسائي كما يتغير لونه وشكله فمرة نجده (ميني جيب) أي قصير إلى ما فوق الركبة ومرة (ميكروجيب) أي : مجهري أو بمعنى آخر صغير الحجم جداً ، ويرتفع إلى نهاية الركبة من أعلى ، وتارة يصبح (شانيل) أي تحت الركبة مباشرة ، وتارة (ميدي) أي تحت الركبة بقليل حيث يصل إلي منتصف الساق ثم يتغير إلى (الماكسي) ، وهو ثوب طويل ينسدل حتى يغطي القدمين »[٢] .

هذا التركيز على إظهار المرأة بفتنة متجددة ، أو قل بفجور متجدد أمام الأجانب ، وفي أماكن العمل والجامعات مرده إلى إفساد المرأة وإثارة الفتنة وإشاعة الرذيلة ... والمشكلات الاقتصادية لحساب محلات الأزياء ومصمميها ، ومعظمهم من المرابين اليهود في عواصم أوربا وأمريكا .

---

(١) مجلة المسلمون العدد : ٣٣٧، ٨ محرم ١٤١٢هـ .

(٢) الموضة في التصور الإسلامي : الزهراء فاطمة بنت عبد الله مكتبة السنة ١٤١١هـ ص ٢٢ ، ٣٨ .

لقد تكدست الفساتين في الخزائن ، فهذا فستان للسهرة ، وآخر للفرح وثالث للزيارة ، ورابع لموسم كذا وذاك لموسم كذا ، ثم تترك هذه الملابس وهي جديدة طالما تغيرت الموضة ... فيثقل ذلك كاهل الزوج ، وتكثر الشكاوى من المصروفات الباهظة فالديون الفادحة .

ويؤرق ذلك المرأة وهي حساسة بطبعها ، وتثقل كاهلها وهي المسؤولة عن نفسها في الحضارة الجديدة فيزداد لديها الإحباط ، أوالسقوط من أجل مواكبة الموضات ، ومسايرة الصديقات والزميلات والناس أجمعين ما داموا في معرض مكشوف مختلط ، وذلك خروج عن الفطرة السليمة « إذ أن هؤلاء المفسدين يريدون سلب الإنسان خصائص فطرته وإنسانيته بنزع لباسه وكشف سوأته » قال تعالى : ﴿ **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما** ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

« هؤلاء ينفذون المخططات الصهيونية لتدمير الإنسانية ، وإشاعة الانحلال فيها ، لتخضع لملك صهيون بلا مقاومة » . « إن العري فطرة حيوانية ، لا يميل الإنسان إليه إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان ، وإن رؤية العري جمالاً هو انتكاس في الذوق البشري قطعاً » وهو ارتكاس إلى الوهدة التي ينتشل الإسلام المتخلفين منها ، وذلك في الجاهلية الحديثة (التقدمية)[1] .

د - ومن أسباب القلق : ظهور الجنس الثالث .

إن أعمال المرأة كالرجال يجعلها مع الزمن تنسى وظيفتها الطبيعية ، وتقترب من صفات الذكورة لكنها لا تحس بالراحة . تقول الدكتورة بنت الشاطىء في مقال نشرته جريدة الأهرام من حديث لها مع صديقتها النمساوية وهي طبيبة : « ولما سألتها عن سر هذا القلق ، أجابت : إنّ ذلك القلق هو صدى شعور ببدء تطور جديد يتوقع حدوثه علماء الاجتماع والفيسيولوجيا في المرأة العاملة .

وذلك لما لحظوا من تغير بطيء في كيانها ... إذ قد ظهر من استقراء

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب : ١٢٧٥/٣ - ١٢٨٣ باختصار .

الإحصاءات أن نقص المواليد للزوجات العاملات لم يكن أكثره عن اختيار ، بل عن عقم استعصي علاجه ... مما دعا العلماء إلى افتراض تغير طارىء على كيان الأنثى العاملة ، نتيجة لانصرافها المادي والذهني والعصبي عن قصد أو غير قصد عن مشاغل الأمومة ، وتشبث المرأة بمساواة الرجل ومشاركته في ميدان عمله »[1] .

لقد أفسدت الجاهلية المعاصرة فطرة المرأة وكيانها الأنثى ، ولم تستطع أن تجعلها رجلاً كامل الرجولة ، فزادت في نكدها وشقائها ، وهكذا فكل من يعرض عن ذكر الله ، ويبتعد عن المنهج السوي تكون حياته قاحلة مجدبة : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾[2] .

إنك لا تجني من الشوك العنب :

إن حياة اليأس والقلق أوجدت آثاراً خطيرة في حياة المجتمعات المعاصرة ، من جرائم ضرب الأطفال أو قتلهم ، ومن ظهور عصابات مسلحة من النساء « لقد ظهرت ولأول مرة في تاريخ الطب ، حالات جماعية لضرب الأطفال الصغار ، ضرباً وحشياً يؤدي في كثير من الأحيان إلى الوفاة ، أو إلى تشوهات جسدية وعقلية ... ففي عام ١٩٦٧م دخل إلى المستشفيات البريطانية أكثر من (٦٥٠٠) طفل مضروب ضرباً مبرحاً أدى إلى وفاة ما يقرب من (٢٠٪) منهم ، وأصيب الباقون بعاهات جسدية وعقلية مزمنة .

وقد أصيب المئات منهم بالعمى ، كما أصيب مئات آخرون بالصمم ، وفي كل عام يصاب المئات من هؤلاء الأطفال بالعته والتخلف العقلي الشديد ، والشلل

---

(١) عمل المرأة في الميزان ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) سورة طه : الآية ١٢٣ - ١٢٦ .

نتيجة الضرب المبرح »[1] .

وقد طالعتنا وكالات الأنباء بخبر غريب يقول : سطت عصابة مسلحة مؤلفة من ثماني عشرة امرأة على عشرة منازل في قرية (بانيرا) بولاية البنغال الغربية في الهند وسلبت ما فيها .

ونقلت وكالة الأنباء الهندية عن مصادر للشرطة قولها : إن هذه العصابة اصطدمت بأصحاب البيوت المنهوبة مما أدى إلى جرح خمسة رجال ، وأضافت المصادر أن هؤلاء النسوة اصطدمن في طريق عودتهن وهن يحملن الغنائم بدورية مسلحة للشرطة حيث جرى تبادل إطلاق النار بين الطرفين ، وانتهى بإلقاء القبض علي العصابة[2] .

« وفي بورسعيد أبلغ المستشفى العام الدوائر الأمنية عن وصول سيدة في حالة سيئة يشتبه في تناولها كمية كبيرة من مادة مخدرة ، وقد أثار الحادث قلق المسؤولين ، وخاصة بعد تكرار حوادث تخدير الضحايا ، وسرقة ما معهم من مصوغات ذهبية .

وأثبتت التحريات أن المجني عليها تعمل مقرئة ، وقد استقبلت بمنزلها يوم الحادث سيدتين من دمياط للاتفاق معها على إحياء ليلة ، فاستغلتا عدم قدرتها على الإبصار ووضعتا كمية كبيرة من المخدر في كوب ليمون تشربه ، ثم استولتا على ست أساور ذهبية ، قيمتها ألف جنيه ، وبعد غيبوبة ثلاثة أيام أدلت المجني عليها ببعض المعلومات ، حيث تمكن رجال الأمن من القبض على المرأتين .

وتبين أنهما تحضران إلى بورسعيد لصيد الضحايا ، وقد اعترفت المرأتان بقيامهما بسرقات سابقة مماثلة ، وقد اتبعت المرأتان هذا الأسلوب بعد مشاهدتهما مسرحية : ريّا وسكينة »[3] .

---

(١) عمل المرأة في الميزان ص ١١٨ .

(٢-٣) الأهرام في ٢٧/١٠/١٩٨٥ ، عن الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون ، مروان كجك ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

هذه بعض إفرازات الجاهلية المعاصرة ، في العالم كله شرقاً وغرباً ، تيه وضياع ، ويأس ومآسٍ وهلع وخوف ، وذلك بما كسبت أيدي الناس والله يعفو عن كثير .

٣ – شيوع الرذيلة وإعلان المجون في شريعة الغاب الجديدة :

من أبرز ما تتميز به الجاهلية المعاصرة وخاصة في ديار الغرب الفوضى الجنسية ، والانطلاق البهيمي بلا ضوابط ولا قيود بعيداً عن الحياء والآداب العامة .

فقد اعتبر أهل هذه الجاهلية أن الاتصالات الجنسية الفوضوية مظهر من مظاهر الحرية الشخصية .

ومن ثم تعاونت جميع الأجهزة الإعلامية على تحطيم الحواجز الأخلاقية ، وإفساد النفس البشرية ، وعلى تزيين الشهوات البهيمية ، ثم وضع العناوين البريئة لها .

ومن هنا كثرت الأمراض الجنسية الخطيرة كالزهري ، وظهر مرض الأيدز ذلك الشبح المخيف الذي بدأ يهاجم ديار الدياثة والخَبَث ، وهو نتيجة طبيعية للممارسة الجنسية المنحرفة أو الشذوذ الجنسي الساقط[1] .

وقد عم البلاء أماكن العمل للمرأة العاملة ، ثم المدارس والجامعات ، حيث الاختلاط المشين ، وفي دوائر البوليس والوزارات المختلفة ، فكثرت بعد ذلك المشكلات الاجتماعية الخطيرة ، وظهرت دراسات وتقارير ، نتحدث عن هذا كله في الصفحات القادمة إن شاء الله .

استغلال المرأة العاملة جنسياً[2] .

مسكينة هي المرأة العاملة في ديار الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي ، فقد

---

(١) انظر المجون والاستهتار في حضارة القرن العشرين في الباب الثاني من كتاب : أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام .

(٢) اقتبسنا هذا العنوان وأهم أفكار هذه الفقرة من كتاب عمل المرأة في الميزان : د. محمد علي البار ص ١٥٧ ، ١٦٣ .

أصبحت سلعة رخيصة ، ودمية يتلاعب بها الرجل الماجن دون وازع من خلق أو حياء .

وقد كثرت الكتابات نتيجة التحقيقات ، أو الدراسات الأكاديمية هناك في ديارهم حول هذا الموضوع .

« من ذلك ما نشرته مجلة (النيوزويك الأمريكية) من تحقيق هام بعنوان : (سوء استخدام الجنس في المكاتب) وبعنوان فرعي : (مضايقة الرئيس لمرؤوسيه جنسياً أمر قد خرج عن السرية ، وأصبح غير قانوني) .

يقول التحقيق : على المرأة أن تدفع ذلك لقاء وظيفتها وأحياناً من صحتها ... وإن المرأة لا تستطيع أن تعارض رئيسها في أغلب الأحيان لأسباب عديدة منها : أنها ستفقد مصدر دخلها الوحيد إذا هي تجرأت بالشكوى إلى المسؤولين »[1] .

وتقول المحامية جوديت كيرتز من فرانسسكو : « إن النساء بدأن يدركن أن هذه المضايقات الجنسية نوع من التفرقة بين الجنسين في العمل ...

ومع هذا فلا تزال المرأة في مجال العمل مرؤوسة برجل غالباً ... فأكثر العاملات هن سكرتيرات ، أو كاتبات على الآلة الكاتبة ، أو بائعات في المتاجر ....

وفي كل تلك الأحوال يكون رئيسها المباشر رجلاً تعمل من أجله ولحسابه ، وله سلطة عليها ... ويملك أن يرفع أجرها أو يخفضه ، ويمكن أن يرقّيها في وظيفتها ، فتترق فيها ليزداد أجرها وعليها أن ترضيه ، ومن تلك الترضية السكوت على اعتداءاته الجنسية ، أو موافقته عليها » .

وتقول الأستاذة جاكلين بولس من جامعة جورجيا : « ليس الدافع إلى هذه المضايقات هو الرغبة الجنسية الجامحة لدى الرجل ، فإنه يستطيع بكل سهولة

---

(١) مجلة النيوزويك الأمريكية في ١٧/مارس/١٩٨٠م .

ويسر قضاءها كيفما أراد ... ولكنها الرغبة العارمة في إظهار القوة وحب السيطرة »[1] .

وتقول (لين فارلي) في كتابها **(الابتزاز الجنسي)** : « كانت المرأة تستجيب وترضخ تحت التهديد المستمر بالفصل من العمل إذا هي لم تستجب لرغبات رئيسها الجنسية ....

ليس هذا فحسب ولكن بإمكانه أن يشوه سمعتها ، ويتهمها باللاأخلاقية ، ويكون بذلك قد منعها فعلاً من الحصول على أي عمل آخر نظيف ... ويدفعها دفعاً إلى تجار الدعارة ، أو إلى الهروب خارج المدينة »[2] .

وفي عام (١٩٠٥م) نشر (ابنون سنكلير) كتابه (الغابة) الذي أثار ضجة كبرى ، فقد تحدث عن قصص تكاد لا تصدق كانت تدور في المصانع ، ولا يمكن روايتها لبشاعتها وخستها ودناءتها ....

وفي نفس الوقت كان الجميع يأخذونها على أنها أمر عادي لابد منه ... ولم يكن هناك من فرق بينها وبين أيام العبودية والرق الذي كان يسود الولايات المتحدة ، حيث كان الرقيق يعاملون بخسة ووحشية بالغة ، وتستخدم نساؤهم، لأغراض الجنس ثم يرمون للكلاب[3] .

لقد كثرت الكتابة حول تردي وضع المرأة في ديار الغرب ، وقد استغلوا حاجتها الملحة للعمل ؛ لأنها معيلة لنفسها ولأطفالها .

وكانت أول امرأة تنذر حياتها لمحاربة الاستغلال الجنسي للمرأة في مجال العمل هي : (إيما جولدمان) فقد جابت الولايات المتحدة تحاضر وتدعو إلى تحرير المرأة من نيران هذا الاستغلال بسبب حاجتها للعمل ، إذ دعت إلى التحرر من رق الجنس في العمل ... ونتيجة لهذه الحملة التي قامت بها اعتقلتها السلطات

---

(١) عمل المرأة في الميزان ص ١٥٩ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) انظر تفصيلاً لذلك في : عمل المرأة في الميزان ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ص ١٧٦ – ١٨٦ .

وأودعتها السجن ، ولكن ذلك لم يفت في عضدها ... ومما كتبته في رسالتها تحت عنوان : (التجارة في النساء) : إنه لا يوجد اليوم مكان تعامل فيه المرأة العاملة على أساس عملها بل على أساس الجنس[1] .

وقامت جامعة كورنل (١٩٧٥م) باستفتاء عن رأي المرأة العاملة في الاعتداءات الجنسية أثناء العمل من مختلف القطاعات ، وقد أجابت ٧٠٪ منهن أنهن قد تعرضن لهذه المضايقات أثناء العمل ... ووصفت ٥٦٪ منهن أن الاعتداءات كانت جسمانية وخطيرة .

الواقع المؤسف في المدارس والجامعات :

« لقد ظل سعار الجنس يزداد في جميع المجالات حتى وصل انهيار الأخلاق إلى حد أن أصبح الأمريكيون يعتقدون أن بقاء البنت عذراء قد يسبب لها الإصابة بمرض السرطان ، لذلك فهم يتخلصون من العذرية بسرعة »[2] .

وجاء في إحصائية أمريكية أن التعليمات صدرت إلى جميع مدارس نيويورك بإنشاء غرفة ولادة في كل مدرسة !!! وقد بلغ عدد الطالبات الحوامل دون زواج في مدارس نيويورك وحدها : (٢٤٨٧) حاملاً في عام ١٩٦٩م ، ودلت الإحصائيات الحديثة أن ربع طالبات المدارس الثانوية حبالى ، وأن البكارة مفقودة البتة[3] .

ولم تنج الجامعات من براثن هذه الاعتداءات ، ففي استفتاء في جامعة كاليفورنيا في بركلي عام ١٩٧٧م ظهر أن خمس الطالبات قد تعرضن لنوع من الاعتداء الجنسي من الأساتذة والمشرفين على الدراسات العليا[4] .

وقد انتقلت العدوى إلى بعض الجامعات في ديار المسلمين ، فقد نقل شاهد

---

(١) انظر تفصيلاً لذلك في : عمل المرأة في الميزان ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ص ١٧٦ – ١٨٦ .

(٢) مجلة الدعوة المصرية العدد : ١٣٩٨/٢٦هـ عن كتاب العلمانية د. سفر الحوالي .

(٣) الموضة في التصور الإسلامي ص ٥٦ نقلاً عن خطر التبرج والاختلاط لعبد الباقي رمضون ص ١٣٧ .

(٤) عمل المرأة في الميزان ص ١٩١ .

عيان مناقشة رسالة دكتوراه في الإعلام في إحدى الجامعات العربية نقل إلينا الحادثة التالية فقال : « ومما يؤسف له حقاً أنني رأيت بأم عيني لدى حضور المناقشة باحثاً حصل في نهاية المناقشة على درجة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى ، يسرع عقب تلاوة قرار اللجنة إلى معانقة الأستاذة المشرفة على الرسالة ، فضجت القاعة بالزعيق ، والصفير والصياح والهياج ، لهذه اللقطة الإعلامية الفذة .

ومن غريب ما قرأت في إحدى الصحف بعد شهور من ذلك ، أنه قد أسند إلى هذا الدكتور الجديد منصب رئاسة مكتب إقليمي عربي للاهتمام بالأطفال العرب ، فيالضيعة التربية ، بل يالضيعة الإسلام في أرضه وبين أهله[1] !!!

هكذا تكون مراكز الإشعاع العلمي في حضارة القرن العشرين ؟! .

ولا يستغرب كل ذلك ، فقد كانت المخيمات المختلطة بين الفتيان والفتيات لمدة أسابيع تتم في ضواحي عدد من العواصم العربية ، ناهيك عن الاختلاط الإلزامي في عدد من المدارس المتوسطة والثانوية بين المراهقين والمراهقات ، وماذا ستكون حالة هذه الأجيال المنكوبة إلا زيادة نكبات الأمة ، ورضى بالهزائم المتكررة أمام أعدائها في الداخل والخارج ؟! .

هي غربة حقيقية على كل حال ، فطوبى للغرباء الذين يتمسّكون بهذا الدين حين ضياع التائهين .

شيوع الرذيلة على المستوى الرسمي لدى بعض الدول :

عمت الفواحش في الحضارة الجاهلية ! حتى باتت عرفاً يشجع رسمياً (عند بعض الدول) بل أصبحت القوانين الوضعية عند هؤلاء لا تعاقب على فاحشة الزنا إذا كان برضى الطرفين .

---

(١) الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون : مروان كجك ص ٩٤ نشر وتوزيع دار الكلمة الطيبة ، القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ .

تقول مجلة : (أنسفسورد الأمريكية) مصورة بعض هذا الفجور : « إن في دوائر وزارة الخارجية الأمريكية ملفاً سرياً يحتوي على أسماء وعناوين أكثر من عشرين فتاة رائعة الجمال !! جرى اختيارهن بدقة وعناية للقيام بالترفية عن كبار الزائرين السياسيين ، كلّ حسب حاجته وذوقه وشذوذه الجنسي ، ويطلق عليهم في دوائر الخارجية (فريق الحبّ)[1] .

وخلال الحرب العالمية الأولى ، ابتدعت بدعة البغاء المتطوع علاوة على البغاء التجاري المعروف ، وبلغ هذا النوع المبتكر للفحشاء من عظم الشأن أن أُكرمت النساء المحُبّات للوطن اللاتي كن خَدمْنَ الأبطال المدافعين عن أرض فرنسا ، وولدن من جراء تلك الخدمة أولاداً لا يعرف آباؤهم ، ولقّبن بلقب « أمهات زمان الحرب » ، ثم أصبح تشجيعهن وإعالتهن فضيلة خلقية عند أولي الدعارة والفجور ، وعنيت الجرائد اليومية الكبرى عناية بالغة باستمالة رجال الأعمال إليهنّ »[2] .

أما المجتمع الشيوعي فالأمر فيه أدهى وأمر ، ويصور ذلك الفساد والآلام سائح سويسري فيقول : « لقد تحطمت القيم الأخلاقية في أكثر بلاد العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، ولكن الفرق بين البلاد الشيوعية والبلاد الأخرى ، أن **الحكومات الشيوعية هي التي تسعى إلى إفساد الأخلاق**[3]... وماذا ينتظر المجتمع من أناس تحشر الأسرة كلها ، الأب والأم والفتيات والفتيان ... في غرفة واحدة ، هي غرفة نومهم وجلوسهم ومطبخهم .

وقد أوجد الشيوعيون في أمهات المدن أماكن خاصة للفساد ، ولست أقصد بيوت الدعارة ، بل أقصد تلك الحدائق الواسعة ذات الخمائل الوارفة ، التي يتوارى فيها الفجار عن أعين الناس ، أو يرتكبون الفاحشة على أعين الناس

---

(١) النفوذ اليهودي : فؤاد الرفاعي ص ١٢١ ، ١٢٢ طبعة الكويت ١٤٠٧هـ .

(٢) عمل المرأة في الميزان ص ١١٢ .

(٣) وقد تحطمت الشيوعية على يد هذه الأجيال ، بعد أن مزقها الجوع .

بلا حرج ولا مبالاة ، أو هي شوارع تترك بلا نور ليلاً لتسهيل الدعارة »[1] .

وما بالنا نستغرب مثل هذه الأمور ، وقد انتشر ما يماثلها في كثير من مدن العالم الغربي أو الشرقي المتحضر ؟! بل إن بيوت الدعارة محمية بقوة القوانين، وإنّ الأماكن العامة والشواطىء العارية تحمى بحراس الدولة وأموال الأمة .

ولا ننسى أن حفلات تخريج الضباط - حراس البلاد !- لدى كثير من بلدان العالم يخالطها شرب الخمور ، ورقص الراقصات والمغنيات الفاجرات ، وقد يستمر ذلك حتى الفجر وينام الضباط البواسل ، ولو (تحطمت الطائرات عند الفجر) وهم يغطون بنوم عميق حتى ضحى ذلك اليوم .

انتشار الشذوذ الجنسي :

رغم وفرة النساء ، وسهولة العثور عليهن ، فإننا نجد كثيراً من الظواهر التي لا يمكن تفسيرها بسهولة ... مثل انتشار حالات الاغتصاب الجنسي ، وانتشار الشذوذ ... فالغربي لا يعاني من الكبت الجنسي والحرمان ، ومع ذلك فإننا نرى زيادة مرعبة في الشذوذ الجنسي .

وقد بلغ من انتشار الشذوذ في الحضارة الغربية اليوم أن قننت القوانين بإباحته ، واعتباره أمراً طبيعياً لا غبار عليه إذا كان بين بالغين دون إكراه .

وتكونت آلاف الجمعيات التي ترعى شؤون الشاذين جنسياً ، وقد بلغ عددهم في الولايات المتحدة الأمريكية سبعة عشر مليوناً .

لقد انتشرت تلك الجمعيات في أمريكا وكندا وأوربا انتشارا واسعاً حتى أن أعضاء هذه الجمعيات أصبحوا من الوزراء والشخصيات البارزة .

وقد خصصت بعض الجامعات في تلك الديار منحاً دراسية للشاذين

---

(١) عائد من الجحيم : أنطوان دومازة ١٩٧٢م ص ٥٦ ، وما بعدها .

جنسياً ... ولا يمكن الحصول على تلك المنحة إلا إذا كان المتقدم مصاباً بالشذوذ الجنسي[1] .

وقد ذكرت بعض الإحصائيات أن عشرين مليوناً من المجتمع الأمريكي يمارسون الشذوذ بصفة تنظيمية علنية .

ونشرت بعض الصحف : « أن وفداً يبلغ تعداده عشرين شخصاً يمثلون منظمات اللواطة والسحاق في الولايات المتحدة قاموا بمقابلة مساعِدَة الرئيس كارتر للمطالبة بحق حرية العمل في المؤسسات العسكرية ، وللسماح بمزيد من اللواطة في مكتب التحقيق الفدرالي ، ووكالة الاستخبارات ووزارة الخارجية ، ومنح صفة معفى من الضرائب لمنظماتهم[2] ... وأسوأ من هذا أن تطالب البرلمانات في دول الشمال (اسكندنافية) باعتبار عقد الرجل على الرجل عقداً قانونياً مشروعاً يقام في الكنيسة ، بل لقد تم عقد فعلي في إحدي الكنائس بولاية كاليفورنيا »[3] .

أخطار مدمرة تهدد حضارة التيه والضياع :

لقد تحولت تلك الديار إلى ماخور كبير يترنح بالفضائح وتحطمه الخمور والمخدرات وأمراض الجنس ، مما بدأ يظهر أثره واضحاً على الأجيال الجديدة ، وشكاوى السياسيين الكبار .

« فقد قرر كندي في تصريحه الخطير عام (١٩٦٢م) أن مستقبل أمريكا في خطر ؛ لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات ، لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين .

ذلك لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والجسدية والنفسية .

---

(١) انظر عمل المرأة في الميزان ص ١٤٠ - ١٤٤ .

(٢) مجلة المجتمع العدد : ٣٥٠ نقلاً عن كتاب العلمانية د. سفر الحوالي .

(٣) مجلة الدعوة المصرية العدد ١٣٩٨/٢٦هـ نقلاً عن كتاب العلمانية السابق .

وفي روسيا صرح خروشوف عام ١٩٦٢م كما صرح كندي بأن مستقبل روسيا في خطر ، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها ؛ لأنه مائع منحل ، غارق في الشهوات »[1] .

« ورجل فرنسا (تبان) صرخ في أول بيان أخرجه للفرنسيين عقيب هزيمة فرنسا أمام فيالق هتلر : إن الذي هزم أمته ليست ألمانيا ، بل الفجور الذي جعل من الفرد الفرنسي عبداً لا يخالفه » حتى أن قادة الجيش الفرنسي منذ أوائل القرن العشرين ، ما زالوا يخفضون من مستوى القوة والصحة البدنية المطلوبة في المتطوعين للجيش الفرنسي ، وذلك لكونهم مصابين بمرض الزهري . وعدد المصابين بهذا المرض خمسة وسبعون ألفاً في السنتين الأوليين من سني الحرب العالمية الأولى .

ويموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بأمراض الزهري المختلفة كل عام .

« وفي أمريكا : يموت ما بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهري الموروث وحده ، كما تبلغ نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في إحدى المدن ٤٨٪ وإن نسبة البيوت المحطمة تقفز فترة بعد فترة ، كلما زاد الاختلاط وكثرت الإباحية ....

وأعلن رئيس أمريكا أنه لم يصلح سوى مليون شاب أمريكي للخدمة العسكرية من بين ستة ملايين تقدموا للتجنيد ، وذلك حسب إحصائية عام ١٩٥٠م .

كما وقعت ٤,٥ مليون جريمة كبرى عام ١٩٦٨م ... إذ أصبح العنف حقيقة أساسية في المجتمع الأمريكي » .

ومن المضحكيات المبكيات أن الشرطة والتي من المفروض أن تحمي الشعب ، أصبحت هي التي ترتكب الجرائم بحقه ، فهناك شرطي أمريكي اغتصب (٢٣ فتاة) خلال ثلاثة أشهر .

(١) جاهلية القرن العشرين ص ١٦٤ ، ١٦٥ للأستاذ محمد قطب .

« وفي السويد : انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين ، وارتفاع مستمر في عدد المواليد غير الشرعيين .... » .

« وفي المجر : أعلن البروفسور المجري أن عدد حالات الإجهاض التي تحدث في العالم تبلغ ٣٠ مليون حالة سنوياً » .

« وفي إنجلترا : يبلغ العدد الإجمالي لحوادث الإجهاض عام ١٩٧١م (٨٠٧٢٣ حادثة) والأرقام في زيادة مستمرة »[1] .

هذا ما سارت إليه المجتمعات الغربية ؛ بسبب ما شاع فيها من مجون وفجور وإباحية وهو المصير المرير ، والنهاية المدمرة إذا استمرت الأحوال هكذا من الفوضى الجنسية .

وهذا الاتجاه هو الذي أدى إلى سقوط الامبراطورية الإغريقية ثم الامبراطورية الرومانية قديماً ، وإنه لتغير جذري غزا المجتمعات في القرن العشرين ، ولم يكن له نظير في الجاهليات القديمة .

هذا هو المصير الخطير في الحياة الدنيا ، أما عقوبة هذه الفواحش في الآخرة فأشد وأدهى ، ويصورها الحديث الشريف ، في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في مرتكبي الزنا :

عن سمرة بن جندب في حديث طويل فانطلَق فأتينا على مثل التنور ، فإذا فيه لغط وأصوات ، فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم اللهب ضوضأوا (الضوضاء أصوات الناس وجلبتهم) ، قلت ما هؤلاء ؟ قال : انطلق .... إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني »[2] .

---

(١) خطر التبرج والاختلاط لعبد الباقي رمضون من ص ١٣٧ - ١٤٨ باختصار وتصرف نقلاً عن الموضة في التصور الإسلامي .

(٢) رواه البخاري والترمذي : انظر الحديث في تيسير الوصول : ٢٠٨/١ ، وفي جامع الأصول : ٥٣٠/٢ - ٥٣٤ ، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة ص ٢٥٥ .

وفي هذا الحديث بيان جزاء هؤلاء العصاة ، والعقوبة المنتظرة لهم .

وأخيراً :

فهذه صورة من مآسي المرأة ، والناس في المجتمعات الجاهلية المعاصرة ...

بل نافذة تطل على جحيم تلك الحياة بما فيها من أرق وانحراف ...

وكان بودنا لو تجنبنا الحديث عن هذا الهبوط المشين في حضارة التيه والضياع ، خلال هذا الفصل ....

فقد كان ذلك ثقيلاً على نفوسنا ، وهو ثقيل على نفوس القراء من إخوتنا المؤمنين والمؤمنات ... إلا أننا أردنا أن نحذر من خداع اللاهثين وراء سراب تلك الحضارة .

حتى لا يسرعوا في السقوط إلى الهاوية السحيقة التي يجرون الأمة إليها .... فيغرقون ويُغْرقون مَنْ معهم .

وحتى لا يعم فسادهم ، وتزداد شرورهم ، ولتقوم الحجة ، ويُصدع بالحق ، فلا تضطرب الموازين ، فيهلك مَنْ هلك على بينة ، ويفوز مَنْ فاز على بينة ، والله غالب على أمره ولو كره الكافرون ، ومهما انحرف المخادعون المتحللون

الخاتمة

بعد هذه الجولة الطويلة مع المرأة في الجاهلية والإسلام ، معتمدين على كتاب الله وسنة رسوله ثم الشعر الجاهلي .

تبين لنا خلال البحث أنّ المرأة في الجاهلية العربية كانت معززة حيناً، مهضومة الحقوق مهيضة الجناح حيناً آخر .

كانت تقوم لأجل العرض حروب وغارات ، كما كان بعض العرب يئدون البنات وهن على قيد الحياة ... كان الزواج يتم بعقد متعارف عليه ، كما كانت هنالك أنواع من أنكحة الجاهلية، فيها الانحراف أو المشاركة والمجانة ... مما فصلنا فيه القول .

فكانت مكانتها مضطربة بين علو وهبوط شأن كل جاهلية لا تحتكم إلى شريعة السماء .

أما الجاهلية المعاصرة فقد تبين لنا أنها أكثر فساداً وأشد مجوناً ، فالعري الفاضح وشيوع الرذيلة ، وانتشار الاختلاط بين الجنسين ، وخاصة في ديار الغرب، قد فاق كل جاهلية حتى عادت ببهيمية الغاب تسيطر بلا وجل ولا حياء ، إذ ليس لدى القوم قاعدة شرعية يحتكمون إليها، بعد هروبهم من تعاليم الكنيسة المحرفة، أو التوراة المهجورة المحرفة أيضاً .

وليس لديهم عادات رفيعة المستوى تخفف عندهم بعض الغلواء والانحراف مما ينبيء عنه واقع القوم ، وواقع من يقلدهم في بلاد المسلمين ، وقد فصلنا الحديث عن هؤلاء في الباب الثالث من هذا الكتاب .

وعرفنا المرأة المسلمة يكرمها الإسلام أماً وزوجة وابنة ، عرفنا دورها البناء في قيام الأسرة المسلمة المعطاء ، وفي تربية الأجيال الخيرة .

« ذلك أن الإسلام وضع لكل من الزوج والزوجة والآباء والأبناء حدوداً واضحة ، يتميز فيها حق كل فئة عن حق الفئة الأخرى ، وهي حقوق متكافئة منسجمة، تؤدي إلى ملء القلوب بالحب وملء البيوت بالنعيم، وملء المجتمع بالنسل الصالح الذي يبني ولا يهدم ، يسمو ولا ينحدر .

هذه الحقوق أقامها الإسلام على دعامتين من العدل والحب ، ولا ينبع خير في هذه الحياة إلا منهما ، ولا يستقيم شأن في المجتمع بدونهما »[1] .

لقد أحل الإسلام المرأة المكانة اللائقة بها في جميع المجالات : الإنسانية والاجتماعية والمالية .

كان للمرأة المسلمة دورها العظيم في تلاحم المجتمع المسلم ، وإشاعة جو الفضيلة والمودة والعفاف (فلا تخرج إلا محجبة في تعلمها) وكان تاريخنا الإسلامي يذخر بالعالمات، والمثقفات من محدثات وفقيهات وشاعرات، وفي نساء الصحابة وفي مقدمتهن أمهات المؤمنين ، مَنْ رَوَيْن لنا ألوف الأحاديث النبوية ، كل ذلك حسب هدي هذا الدين وتعاليمه .

وأباح لها العمل خارج المنزل بما يناسب فطرتها وأنوثتها ، مراعياً الفروق الطبيعية بين الذكر والأنثى، على يأن تبقى تربية الأجيال هي الأساس في مهنة المرأة المسلمة، ويالها من مهنة لإعداد الأجيال الصالحة المؤمنة .

وكان للمرأة المسلمة دور فعال في مجال الدعوة إلى الله، فيما يبيحه الشرع الحنيف مع بنات جنسها ومحارمها ...

لقد سارت المرأة في عالمنا الإسلامي قروناً متطاولة تغمرها السعادة ، وتؤدي دورها في بيتها ومجتمعها ، إلى أن هبت رياح التغيير فران عليها الخمول والكسل ، وغمرتها عادات وتقاليد معظمها ليس من الإسلام ...

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية : د. مصطفى السباعي ص ١٤٠ .

ثم ثارت في مطلع هذا القرن دعوات هدامة حاولت إخراج المسلمة من منزلها لتزاحم الرجال في أعمالهم باسم التحرر والتقدم .

وتحمل وزر هذه الدعوة أناس خدعوا بحضارة التيه والضياع ، من سياسيين ومفكرين وحركات نسائية ...

وقد خطط اليهود والنصارى لإفساد المرأة المسلمة ؛ لأنها القلعة الحصينة المتبقية أمامهم فحاولوا التخريب عن طريق وسائل الإعلام المختلفة ، ومن خلال المؤسسات التعليمية ...

وقد حصل كل ذلك بسبب أن هذه الأمة ابتعدت عن عقيدتها وتحكيم دينها ، مما سهل عملية الغزو الفكري وسمومه .

وما تزال المؤامرة على المرأة المسلمة مستمرة ، وما يزال الصراع قائماً ، حتى وصلت الأمور إلى ما هي عليه من كفاح مرير بين قوى الخير يحدو أصحابها الإيمان، ومسيرة سلف هذه الأمة .

فقوى الشر والانحراف، يقوي أصحابها عدو متربص خارج الحدود ، وأتباع ناعقون من العلمانيين وعملاء التغريب .

إلا أن العاقبة للمتقين ، والأمل ما يزال قوياً في كتائب الإيمان يحدوها الشوق إلى تحقيق كتاب الله، وتعاليم رسوله صلى الله عليه وسلم، بتربية جادة لبناتنا على الكتاب والسنة. من أجل تحقيق مجتمع الفضيلة والطهر كما كان عهد القرون المفضلة. هذا وإن أعوان الشر ضعفاء ، إذا وجدوا من أهل الحق قوة وتعاضداً ، وتطبيقاً لما يقولون ، والخير في هذه الأمة موجود إن شاء الله تعالى .

اللهم ألهمنا الإخلاص والسداد والصواب في أقوالنا وأفعالنا ، وجنبنا الزلل والخطأ إنك على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين .

المصــادر والمــراجع

١ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : د . محمد محمد حسين – مؤسسة الرسالة الطبعة السادسة /١٤٠٣هـ .

٢ - أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود : عطا الله بخيت المعايطة – رسالة ماجستير من جامعة أم القرى /١٤٠٩هـ .

٣ - أثر الخادمات الأجنبيات في تربية الأطفال : عنبرة حسين الأنصاري – رسالة ماجستير طبع /دار المجتمع عام ١٤١١هـ .

٤ - أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع بشبه القارة الهندية ، رسالة دكتوراه إعداد : خادم حسين إلهي بخش /دار حراء للنشر، والتوزيع عام/١٤٠٨هـ .

٥ - أحكام القرآن : الجصاص – دار الكتاب العربي /لبنان .

٦ - الأخوات المسلمات : محمد محمود الجوهري ومحمد الخيال – دار الدعوة ، الأسكندرية .

٧ - أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام : محمد حامد الناصر – الطبعة الأولى .

٨ - أخلاقنا الاجتماعية : د . مصطفي السباعي ، الطبعة الثالثة /المكتب الإسلامي .

٩ - إرواء الغليل : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

١٠ - أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : د . على جريشه – دار الاعتصام/ ١٣٩٨هـ .

١١ - الأسرة الأدواء والدواء : د . أحمد محمد أحمد – جامعة قطر/١٩٨٦م .

١٢ - الأسرة والمجتمع : د .على عبد الواحد وافي/١٩٤٥م .
١٣ - الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون : مروان كجك - دار الكلمة الطيبة القاهرة ، الطبعة الثالثة .
١٤ - الإسلام والحضارة العربية : محمد كرد علي ، الطبعة الثالثة/١٩٦٨م - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
١٥ - الإسلام والحضارة الغربية : د .محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة - الطبعة الخامسة ، بيروت .
١٦ - أشعار الشعراء الستة الجاهليين : طبعة دار الفكر/١٤٠٢هـ /الأعلم الشنتمري .
١٧ - الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، دار الكتاب العربي .
١٨ - الأصمعيات : تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، طبعة دار المعارف الخامسة .
١٩ - أعلام النساء : عمر رضا كحالة ، المطبعة الهاشمية - دمشق .
٢٠ - الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ، طبعة دار الكتب .
٢١ - الأمالي : لأبي على القالي ، طبعة دار الكتب .
٢٢ - الإنسان ذلك المجهول : الكسيس كاريل ، تعريب : شفيق أسعد فريد ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثالثة/١٩٨٠م .
٢٣ - البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير ، دار الفكر/١٩٧٨م .
٢٤ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الآلوسي ، الطبعة الثانية دار الكتب العلمية بيروت .
٢٥ - بلاغات النساء : ابن طيفور ، طبعة القاهرة .
٢٦ - البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٧ - التاج الجامع للأصول : الشيخ منصور ناصيف/ إحياء الكتب العربية/ عيسى الحلبي .
٢٨ - تأملات في المرأة والمجتمع : محمد المجذوب ، مؤسسة الرسالة .
٢٩ - تاريخ الأمم والملوك : الطبري - روائع التراث العربي - دار سويدان - بيروت ط ٢ .
٣٠ - تاريخ العرب قبل الإسلام : د . جواد علي - دار العلم للملايين - بيروت ومكتبة النهضة بغداد - الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦م .
٣١ - الترغيب والترهيب : الحافظ زكي الدين المنذري - مطابع قطر الوطنية الطبعة الثالثة .
٣٢ - التربية الإسلامية وفلاسفتها : محمد عطية الأبراشي - مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر/١٣٩٥هـ .
٣٣ - تربية الأطفال في رحاب الإسلام : محمد الناصر ، خولة درويش - مطبعة السوادي - الطبعة الأولى .
٣٤ - تفسير سورة النور : أبو الأعلى المودودي .
٣٥ - تفسير الكشاف : للزمخشري ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .
٣٦ - تفسير البغوي : تحقيق - النمر - ضميرية - الحرش ، الطبعة الأولى .
٣٧ - جاهلية القرن العشرين : محمد قطب ، دار الشروق/١٤٠٢هـ .
٣٨ - جمهرة أنساب العرب : ابن حزم - دار الكتب العلمية - بيروت/ط ١ ١٤٠٣هـ .
٣٩ - حجاب المرأة ولباسها في الصلاة وغيرها : ابن تيمية ، المكتب الإسلامي - دمشق .
٤٠ - الحجاب : أبو الأعلى المودودي ، دار النيل للطباعة .
٤١ - الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار : محمد عطية خميس ، دار الأنصار/ القاهرة .
٤٢ - حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة : السيد محمد صديق

حسن خان القنوجي البخاري ، مؤسسة الرسالة/بيروت ط١/١٣٩٦هـ .
٤٣ – حصوننا مهددة من داخلها : محمد محمد حسين – المكتب الإسلامي ، الطبعة الخامسة .
٤٤ – حضارة العرب : جوستاف لوبون ، المطبعة العصرية بمصر .
٤٥ – حقوق النساء في الإسلام : السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة التراث الإسلامي /القاهرة ، الطبعة الثانية .
٤٦ – الحماسة : لأبي تمام ، تحقيق د . عبد الله عسيلان عام/١٩٨١م .
٤٧ – الحياة السياسية عند العرب : محمد الناصر – مكتبة السنة ، مصر / ١٤١٢هـ .
٤٨ – حياة الصحابة : محمد يوسف الكاندهلوي – دار القلم – دمشق .
٤٩ – الحيوان : للجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، طبعة الحلبي/ ١٩٤٥م .
٥٠ – ديوان حسان : دار بيروت للطباعة والنشر/١٩٨٣م .
٥١ – ديوان الأعشى : دار بيروت للطباعة والنشر/١٩٨٣م .
٥٢ – ديوان حاتم الطائي : دار صادر بيروت/١٩٦٣م .
٥٣ – ديوان الخنساء : دار الأندلس للطباعة والنشر/١٩٨١م .
٥٤ – ديوان عامر بن الطفيل – بيروت دار صادر/١٩٥٩م .
٥٥ – ديوان عنترة : تحقيق : عبد المنعم شلبي – المكتبة التجارية، القاهرة .
٥٦ – ديوان عروة بن الورد ، دار صادر ، بيروت .
٥٧ – ديوان عبيد بن الأبرص : تحقيق وشرح د . حسين نصار عام ١٩٥٧م .
٥٨ – رياض الصالحين : الإمام النووي – دار المأمون للتراث ، دمشق ١٤٠٢/ ط الرابعة .
٥٩ – الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة : خولة درويش /مكتبة السوادي ط ٣ .

٦٠ - الزحف إلى مكة : د . عبد الودود شلبي ، الزهراء للإعلام العربي ، قسم النشر /القاهرة الطبعة الأولى /١٤٠٩هـ .
٦١ - سير أعلام النبلاء : الإمام الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية .
٦٢ - السيرة النبوية لابن هشام : مصطفى البابي الحلبي وأولاده/ مصر ، الطبعة الثانية .
٦٣ - سلسلة الأحاديث الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني /المكتب الإسلامي - عمان - الدار السلفية - الكويت ، الطبعة الثانية .
٦٤ - شبهات حول الإسلام : محمد قطب - دار الشروق .
٦٥ - شرح السنة : الإمام البغوي - تحقيق : زهير الشاويش ، شعيب الأرناؤوط - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية .
٦٦ - الشعر والشعراء : ابن قتيبة تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر - دار المعارف/ الطبعة الثالثة ١٩٥٨م .
٦٧ - شرح القصائد العشر : التبريزي - دار الباز للنشر /مكة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
٦٨ - الصحافة والأقلام المسمومة : أنور الجندي .
٦٩ - صحيح الجامع الصغير وزيادته : الشيخ ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي /الطبعة الثانية .
٧٠ - صحيح سنن النسائي /الشيخ ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج /١٤٠٩هـ .
٧١ - صحيح مسلم بشرح النووي : دار الفكر للطباعة والنشر .
٧٢ - الصهيونية العالمية وأرض الميعاد : علي إمام عطية ، القاهرة ١٣٨٣هـ .
٧٣ - طبقات الأطباء : ابن أبي أصيبعة .
٧٤ - طبقات الأمم : صاعد الأندلسي - طبع بيروت .
٧٥ - طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي - تحقيق : محمود محمد شاكر - طبعة المدني /القاهرة .

٧٦ – عائد من الجحيم : أنطوان دومازه /الطبعة الأولى ١٩٧٢م .
٧٧ – العصر الجاهلي : د . شوقي ضيف – طبعة دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة /١٩٦٠م .
٧٨ – العقد الفريد : ابن عبد ربه – طبعة لجنة التأليف بمصر ١٩٥٠م .
٧٩ – عيون الأخبار – ابن قتيبة – طبعة دار الكتب المصرية .
٨٠ – عون الباري : أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري / ١٤٠١هـ .
٨١ – عمل المرأة في الميزان : د . محمد علي البار ، الطبعة الثالثة .
٨٢ – عودة الحجاب : محمد بن إسماعيل المقدم /دار طيبة – الرياض .
٨٣ – العلمانية : د . سفر الحوالي . الطبعة الأولى .
٨٤ – الغارة على العالم الإسلامي : ال . شاتليه ، ترجمة : مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب – الدار السعودية للنشر .
٨٥ – الفتاوى : ابن تيمية جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم /مكتبة المعارف ، الرباط /المغرب .
٨٦ – الفتاوى النسائية : محمد بن صالح العثيمين . مطبعة سفير ، الرياض .
٨٧ – فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري : الإمام ابن حجر العسقلاني / دار الريان للتراث /الطبعة الأولى .
٨٨ – في ظلال القرآن : سيد قطب – دار الشروق ، الطبعة التاسعة .
٨٩ – فوات الوفيات : ابن شاكر .
٩٠ – قبسات من الرسول : محمد قطب – دار الشروق ، الطبعة الثامنة .
٩١ – قولي في المرأة : مصطفى صبري (شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقا) المطبعة السلفية – القاهرة /١٣٥٤هـ .
٩٢ – الكامل /ابن الأثير – دار الفكر – بيروت ١٩٧٨م .
٩٣ – ماذا عن المرأة : د . نور الدين العتر – دار الفكر – الطبعة الثالثة / ١٣٩٩هـ .

٩٤ - المحبر : ابن حبيب ، منشورات دار الآفاق الجديدة /بيروت .
٩٥ - مجمع الأمثال : الميداني - المطبعة البهية المصرية /القاهرة .
٩٦ - مختصر منهاج القاصدين /ابن قدامة المقدسي ، مكتبة دار البيان ، مؤسسة علوم القرآن .
٩٧ - مسند الإمام أحمد بن حنبل : توزيع دار الباز - مكة المكرمة .
٩٨ - مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي - المكتب الإسلامي ، توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
٩٩ - مذاهب فكرية معاصرة : محمد قطب - دار الشروق - ١٤٠٣ هـ .
١٠٠ - معجم الشعراء : المرزباني ، مكتبة المقدسي /القاهرة ١٣٥٤هـ .
١٠١ - المفضليات : تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف /الطبعة السادسة .
١٠٢ - معجم البلدان : ياقوت الحموي - طبعة دار السعادة بمصر .
١٠٣ - المغني : ابن قدامة ، مكتبة الرياض /١٤٠١هـ .
١٠٤ - مصنف ابن أبي شيبة : الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة /الدار السلفية .
١٠٥ - المرأة في التاريخ والشرائع : محمد جميل بيهم - بيروت /١٩٢١م .
١٠٦ - المرأة المسلمة : وهبي غاوجي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية /١٣٩٨هـ .
١٠٧ - المرأة بين الفقه والقانون : د . مصطفى السباعي - المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة /دمشق .
١٠٨ - المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم : عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح - الكويت - الطبعة الأولى /١٤٠٠هـ .
١٠٩ - المرأة في التصور الإسلامي : عبد المتعال الجبري - مكتبة وهبة/ الطبعة الخامسة .
١١٠ - المرأة في القديم والحديث : عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى /١٩٧٩م .

١١١ - المرأة المتبرجة /عبد الله التليدي - دار ابن حزم ، بيروت /١٤١١هـ .
١١٢ - المرأة في الشعر الجاهلي : د . أحمد الحوفي ، دار نهضة مصر ، القاهرة / ١٩٨٠م .
١١٣ - المرأة في عالمي العرب والإسلام : عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى /١٩٧٨م .
١١٤ - الموشح : المرزباني ، المطبعة السلفية بمصر /١٣٤٣هـ .
١١٥ - الموضة في التصور الإسلامي : الزهراء فاطمة بنت عبد الله /مكتبة السنة / ١٤١١هـ .
١١٦ - الملل والنحل : الشهرستاني ، تقديم وإعداد الدكتور عبد اللطيف محمد العيد ، طبع مكتبة الأنجلو المصرية /الطبعة الأولى /١٩٧٧م .
١١٧ - النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب ، والأمم السامية : محمد جمعة ، مطبعة السعادة /القاهرة .
١١٨ - النفوذ اليهودي : فؤاد الرفاعي /الكويت ١٤٠٧هـ .
١١٩ - لسان العرب : لابن منظور المصري .
١٢٠ - واقعنا المعاصر : محمد قطب - مؤسسة المدينة للصحافة : الطبعة الأولى .
١٢١ - همجية التعاليم الصهيونية : بولس حنا سعد - دار الكتاب العربي بيروت .
١٢٢ - المجلات والدوريات : مجلة البيان : المنتدى الإسلامي - لندن .
مجلة حواء . مجلة الدعوة المصرية . مجلة المجتمع . مجلة المسلمون . مجلة المصور . جريدة المساء . جريدة الأخبار . جريدة الشرق الأوسط .

الفهـــرس

فهـرس المـوضـــوعات

المـوضـــوع	الصفحة